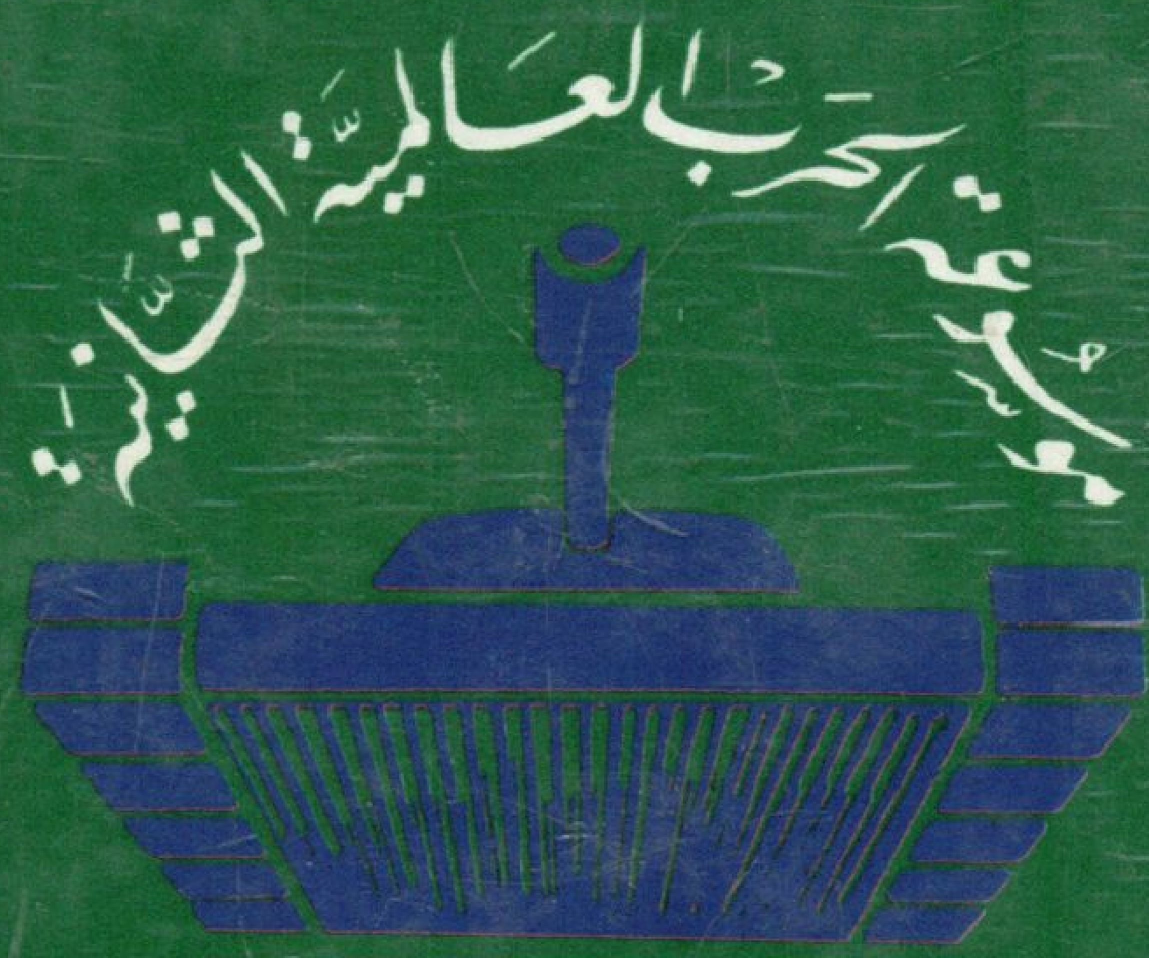


الحرب العالمية الثانية

المجلد السابع







٧

الحرب العالمية الثانية



إعداد وتنفيذ
قسم البحوث والدراسات التاريخية
دار الآفاق الجديدة

المجلد السابع

منشورات دار الآفاق الجديدة بيروت



• يهود بولونيون يصلون الى «أوشفيتز».

• استعمال قاذفات اللهب للقضاء على من تبقى من المقاومة (فرصوفيا).





ثورة فرصوفيا

في اول آب، وبالتحديد في الساعة الخامسة بعد الظهر اندلعت «ثورة فرصوفيا»، فراحت المفارز تنبثق من كل صوب مهاجمة المحطة المركزية ومركز البريد ومستودعات الجيش الالماني، وجسور «الفيستول»، وما هي الا ثوان قليلة حتى كانت مدينة المليون نسمة تتخبط في الدم والدمار.

كانت فرصوفيا، وهي اول عاصمة احتلها هتلر، تعيش منذ ١٩٣٩ حياة حزينة ومحمومة على السواء، وهي تعكس الواقعة القاسية المعقدة التي حلت ببولونيا. في البدء حالت هزيمة فرنسا وتحالف ستالين - هتلر المتين دون أي انتفاضة وطنية. فمن الشرق المنضم للاتحاد السوفياتي لم تكن تصل سوى شائعات مشوشة عن ابادة الطبقات المالكة ونفي السكان. وفي الغرب كانت المانيا قد استعادت حدودها كما كانت قبل ١٩١٤، ولكن موسعة بشكل ملحوظ، ولم يبق من آثار الدولة البولونية غير حكومة عامة تضم مقاطعات الوسط. وكانت فرصوفيا التي خسرت مكانتها لصالح كراكوفيا قد فقدت حتى لقب عاصمة تلك الرقعة الدائرة.

ثم جاءت الحرب الالمانية الروسية لتبث الامل في سكان فرصوفيا، وتعيد

لهذه المدينة اهمية عسكرية بالغة، فجسراها الحديديان وجسورها البرية الثلاثة قد جعلت منها ممر «الفيستول» الرئيسي، كما جعل مركزها في الوسط منها المرحلة الاكثر اهمية بالنسبة للمؤخرات الالمانية، فأقامت فيها ادارات عسكرية ونصف عسكرية وطبعت فيها جريدتان المانيتان يوميتان. كان الدمار الناتج عن حصار ١٩٣٩ سطحياً، وبعدما تعاقبت عمليات القصف الانكليزية والاميركية على المانيا شهدت العاصمة البولونية الكبيرة اتساع حظوتها لدى السلطة العسكرية في الرايخ الثالث.

كانت المشكلة اليهودية تنطرح في كل ناحية من نواحي بولونيا التي تعد ٥ ملايين يهودي من اصل ٢٧ مليون نسمة يشكلون مجموع سكان البلاد. وقد اجبر الالمان اليهود في الحي اليهودي الواقع وسط المدينة، وراء الحي الحكومي مباشرة، ببناء حائط علوه اربعة امتار ومحيطه ١٨كلم. وكان هذا الحي يكتظ قبل الحرب بنحو نصف مليون نسمة، وقد جاء نحو ٢٠٠ الف يهودي آخر مطرودين من مقاطعتي «بوزن»، و«مارثيغو» ليضيفوا اليه عبئاً آخر.

ولم تلبث القوات الالمانية ان انقضت على هذا الحي، تارة باجتياحه بواسطة قاذفات اللهب، وطوراً بقصفه بواسطة الطائرات، واحياناً بتجويع سكانه او ترحيلهم وابادتهم بالجملة.

والى جانب كارثة الحي اليهودي الذي تحول قاعاً صفصفاً، كانت هنالك كارثة اخرى لا تقل رهبة وفي بولونيا بالذات، وهي تتناول العشرة آلاف ضابط بولوني الذين اسرهم الروس عام ١٩٣٩، فهؤلاء قد عرف مصيرهم نهائياً، بحيث انهم يرقدون تحت اشجار غابة «كاتين».

فالحكومة البولونية والصليب الاحمر الدولي كانا يبحثان عن هؤلاء المفقودين منذ ثلاث سنوات، وكان الجنرال «سيكورسكي» قد تباحث مع «ستالين» في الموضوع اثناء زيارته الى موسكو، فاجابه الاخير بسخرية ظاهرة: «إنني اخال بولونييك قد لاذوا بالفرار عبر منشوريا. «وفي شباط ١٩٤٣، عندما اكتشف الالمان ثماني حفر مشتركة بالقرب من «سمولنسك» لم يخامر الشعب البولوني ادنى شك في المسؤولين عن تلك المجزرة الرهيبة.

لقد سببت الانتصارات الروسية قلقاً بالغاً للبولونيين، لسبب واحد وهو أن الروس هم اعداء حقيقيون للبولونيين لا يقلون عداء عن الالمان انفسهم، وعلى اثر هلاك «سيكورسكي» في حادث طائرة ارتفع صوت خلفه الضعيف «ميكولاجيك»

• استعملت القطارات « متاريس » اثناء المعارك.



• توزيع المؤن في « فرصوفيا » بواسطة الصليب الأحمر.

ليرتطم بالآداب الانكليزية والاميركية حيال الحليف السوفياتي، مستنزلاً عليه من جراء ذلك تعنيفاً شديداً من «روزفلت» وحتى «تشرشل» نفسه. فقد كان «ميكولاجيك» يطالب بحدود بولونيا الشرقية كما رسمت سنة ١٩٢٠، لكن الاميركيين والانكليز قد اعترفوا لستالين بشرعية معاهدة التقسيم التي وقعها مع هتلر. واما استعادة الحريات الديمقراطية في بولونيا فلم تكن اقل صعوبة من اعادة الحدود الاقليمية، فقد اقامت موسكو سلفاً في «لوبلين» الحكومة الموالية وكما كانت الحال بالنسبة لفرنسا كانت المقاومة البولونية تتخذ شكل حرب اهلية، ولكن الجيش الاحمر كان، على خلاف ما هو في فرنسا، مقبلاً، وهو بمثابة السلطة المدنية للشيوعية حاملاً معه فوق دباباته شعار هدم النظام الطبقي وسيطرة الطبقة العاملة.

كان حظ بولونيا في الحرية ضئيلاً للغاية، ويرتبط بامرين اثنين، اما التحرير، واما التفاوض بين الحلفاء الغربيين والاتحاد السوفياتي. واكب رؤساء الجيش السري على هذه الاعجوبة يرومون تحقيقها، فراحوا يسعون الى احلال الانضباط الصارم بين جنودهم العاملين في الخفاء، وابعاد مبادىء الارهاب عنهم، وكان في نية هؤلاء الرؤساء اقامة ثورة منظمة ذات قالب عسكري تعمل على اقامة نظام قانوني على وجه السرعة.

كان اسم المخطط العام «بورزا» اي «عاصفة». وكان القائد الاعلى الذي حمل اسم الجنرال «بور» هو الكولونيل «كورموفسكي» عينه الذي تركت له الحكومة البولونية في لندن مجال اختيار الساعة المناسبة لمباشرة التنفيذ. لم يكن الكرملين قد اعطى اية ضمانات لكن الجيش الاحمر كان قد احتل نصف بولونيا. فالثورة اذاً، يجب ان تندلع في الحال، والا فاتت الفرصة الى الابد. فلقد شرع الالمان في الانصراف الفعلي.

وعلى الرغم من دعوة الاذاعة السوفياتية البولونيين الى حمل السلاح باستمرار ومهاجمة العدو الممقوت من كل صوب، وبكل وسيلة، فلم تكن مكاسب التمرد البولوني الاولى مرضية ما فيه الكفاية. ثم راح المتمردون يحاصرون المباني التي كانت تحتلها الادارات الالمانية ولكن دون ان يتم الاستيلاء على اي منها، وهوجم المطاران من غير جدوى.

وبعدما تم احتلال المحطة المركزية لفترة قصيرة استعادها الالمان. واما الكتيبة التي كانت موكلة بالاستيلاء على ضاحية «زوليبورز» فلم تنجح في محاولتها الاولى، كذلك لم ينجح



• استشهاد فرصوفيا في آب عام ١٩٤٤.

الاستيلاء على جسور الفيستول الى حد ان ضاحية «براغا»، التي تبعد ١٠ كيلومترات عن المقدمات السوفياتية قد بقيت منفصلة عن معقل الثورة الرئيسي، فعمدت الدبابات الالمانية الى سحق العصيان فيها خلال ساعات معدودة.

وعلى خلاف ذلك كان الجنرال «بور» قد استولى فعلياً على «ستاري مياستو»، والجزء الاكبر من قلب «وولا» ومن حيها العمالي. وإن كانت الجسور بعيدة المنال فقد اوقفت حركة النقل على الفيستول بصورة تامة بعدما كانت تشمل في الليلة الفائتة ٢٠٠ قطار. واستولى الثوار على مخزونات كبيرة من المؤن حلت مشكلة التموين بصورة موقتة، كما استولوا على كمية الاسلحة، وحتى على دبابتين من طراز «تيغر» اصلحتا تحت وابل القصف، واصبحتا بذلك العنصر المصفح الاول للجيش البولوني المنبعث. وابلغ «بور» لندن بأنه قادر على المقاومة حتى دخول الجيش السوفياتي الى فرصوفيا.

لكن حصل ما لم يكن في الحسبان اذ حشد المارشال «مودل» قوة اجهاز تضم الفرقتين المصفحتين ٤ و١٩، وفرقة المظليين «هيرمان غورنغ»، وفرقة الصاعقة «فايكنغ». واما الفيلق السوفياتي الثالث المدرع فقد ابيد في ثلاثة ايام من ٣١ تموز الى ٣ آب، لكن ضربة الايقاف المحكمة التسديد هذه لم يستطع مودل استغلالها بسبب النقص في عدد المشاة، والنقص في الوقود. وفي ٥ آب تلاشت الازمة. فقد استدعيت

قوات الصدام نحو الشمال حيث كان الخطر على بروسيا الشرقية يتفاقم، ولم يبق امام رأس جسر «براغا» سوى فرقة للمشاة خائرة القوى، فضلا عن بعض عناصر الفرقة المصفحة ١٩.

لكن ستالين كان قد اتخذ قراره القاضي بوقف أية مساعدة للمقاومة البولونية، وعندما جاء «ميكولاجيك» في ٣ آب الى موسكو للتفاوض مع ستالين، للمرة الأخيرة، والطلب اليه بنجدة الجيش السري اجابه ستالين بلهجة صارخة: «عن اي جيش تتكلم؟ ما قيمة جيش لا يملك مدفعية ولا دبابات ولا طائرات؟»

وقد لاحظ سكان فرصوفيا ان تحولاً فعلياً قد طرأ على ساحة المعركة، فالمدفع الروسي الذي كان يدوي على ضفة الفيستول اليمنى منذ ٢٥ تموز قد سكت، والطائرات السوفياتية التي كانت تملأ السماء زئيراً قبل الثورة غاب زئيرها كلياً، في حين راحت تشكيلات صغيرة من طائرات «شتوكا» الالمانية تضرم النار في المدينة دون اي تصد لها. وفي ٤ آب انزلت طائرتان بريطانيتان للمرة الاولى، بعض صناديق الاسلحة والذخيرة بواسطة المظلات، وبفضل مبادرة طياريها البولونيين ولا ريب. وفي الليالي التالية عادت طائرات اخرى تنقل الحد الضروري الادنى لتمديد المقاومة. كانت القواعد الجوية الروسية على مسافة بضع دقائق الا ان رصاصة سوفياتية واحدة لم تقدم المقاتلي فرصوفيا.

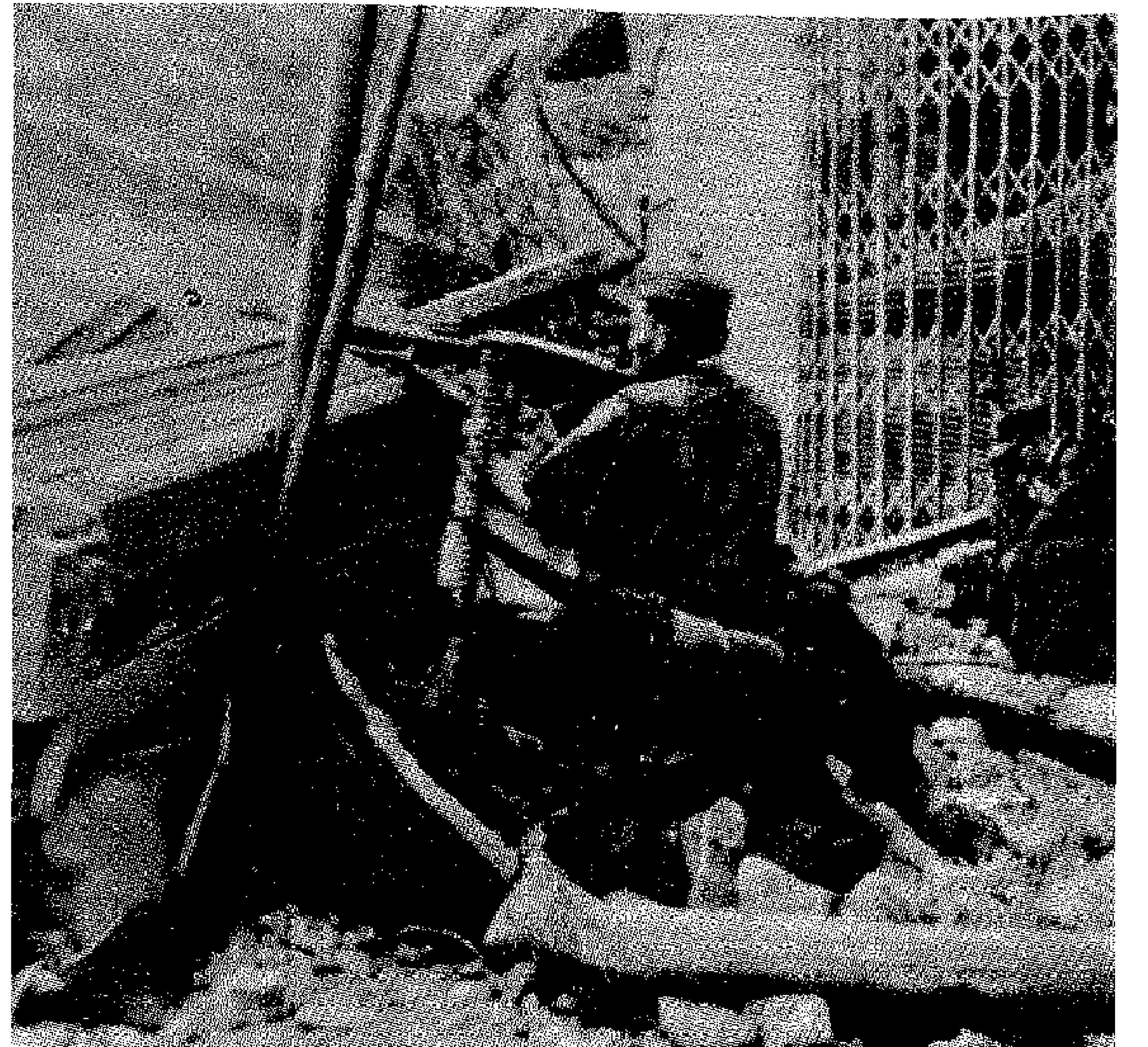
وثارت ثائرة «تشرشل» فراح يحرض ستالين لافتاً انظاره للسخط والموجة المعادية للسوفيات اللذين تولدا في انكلترا بسبب التخلي عن الثوار، واجاب ستالين بأن حكومته تريد التنكر «للمغامرين وتلك الزمرة المجرمة»، وطالب تشرشل عندئذ بأن يسمح للطائرات الملكية التي تمون فرصوفيا بالهبوط في «بولتافا»، كما تفعل الطائرات التي كانت تسحق المانيا ذهاباً واياباً. فرفض ستالين مرة اخرى. واما «روزفلت»، الذي كان عاضد رئيس الوزراء البريطاني بتحفظ، فقد تراجع سريعاً، وكان قادة الطيران الاميركي اكثر صراحة عندما طالبوا بوقف مهات التموين عن البولونيين «لأن من شأنها ان تعرض علاقاتنا مع الاتحاد السوفياتي للخطر...»

في فرصوفيا اتخذ القتال اشكالاً وحشية، لقد استعملت مختلف انواع الاسلحة في اخضاع المدينة، من دبابات تيغر، الى الآليات الموجهة من طراز «غوليات»، الى المدافع من عيار ٣٨٠ ملم، الى مدافع الهاون الهائلة من



• ثوار فرصوفيا

• قتال الشوارع في فرصوفيا.



طراز «كارل» ومن عيار ٦٠٠ ملم التي تطلق قذائف زنة طنين. كانت العمليات بامرة «هملر»، اما المشتركون في القمع فهم فوج الصاعقة دير ليفانجر»، والكتيبة الروسية «كامينسكي» الخ... وفي حي «وولا» ابيد مرضى المستشفى عن بكرة ابيهم، وكذلك المصابون بالسرطان في معهد «كوري». اما «بور» فقد رفض الاقتصاص من الاسرى لديه.

استمر القتال طيلة شهر آب، وقد اعلن الروس والالمان اكثر من مرة ان

مغامرة فرصوفيا قد انتهى امرها، الا ان اذاعة «بليسكافيكا» كانت تذيع، في كل مرة، تكذيباً طناناً. والحقيقة ان الالمان قد تمكنوا من استعادة «وولا» والحي اليهودي القديم، وفي ٢٩ آب اضطر «بور» الى اخلاء «ستاري - مياستو» عبر المجارير، لكن الثوار ظلوا يحتفظون بوسط المدينة بدءاً من حدائق «ساكس» الى منتزه «لازينيكي»، كما يحتفظون بثلاث مناطق داخلية هي: «زوليبورز» و «موكوشوف» و «شيرنياكوف».

ولكن الوضع كان آخذاً في التفاقم. فكل يوم يستعر حوالي ٣٠ حريقاً. المياه اصبحت نادرة، والطقس بالغ الحرارة، ورائحة الجثث تسمم الاجواء، والمرض يزحف الى الاجساد المنهكة وما هو اشد من المرض كان يتمثل في التحقير السوفياتي المستمر عبر اذاعة موسكو. وعلى الرغم من ذلك كله فلم يستسلم «بور» للانذار الذي وجهه اليه «فون - ديم باخ - زالفكي» الذي عرض على الثوار معاملتهم بموجب قوانين «لاهاي» اذا هم استسلموا، ولكنه متوعداً اياهم بالابادة، اذا ما اصروا على القتال اليائس.

في ١٠ ايلول عاد المدفع الروسي فجأة الى القصف، وهلل البولونيون لعودة القتال بين الروس والالمان، لكن هذا التهليل لم يدم طويلاً اذ ما لبث المدفع الروسي ان لاذ بالصمت مجدداً تاركاً فرصوفيا اسيرة الحصار.

في ١٦ ايلول سقطت «تشيرنياكوف» واحتل الالمان شارع «جيروزوليمسكاريا» فشطروا بذلك القطاع الاوسط شطرين وبدأ المدنيون يموتون عطشاً. وفي ١٩ ايلول قامت ١١٠ طائرات بعملية انزال في فرصوفيا بواسطة المظلات فالقت بـ ١٨٠٠ صندوق قال «بور» ان تسعة من كل عشرة منها قد سقطت في الاحياء التي كانت في ايدي الثوار. ومع ذلك سيصمد «بور» حتى ٢ تشرين الاول، وهو اليوم الرابع والستون للحصار. وبعدما جدد الالمان عرضاً مشرفاً للاستسلام عاد «بور» واذعن للامر الواقع.

في تلك المرحلة من اوائل تشرين الاول ١٩٤٤ كانت فنلندا قد وقعت مع روسيا معاهدة صلح تؤمن لها البقاء، وفي البلاد البلطيقية تمكن الالمان من فك اسر مجموعة جيوشهم الشمالية، لكن هتلر رفض ان يعيد قوات «شورنر» الى المانيا المهددة. وفي بولونيا عرف الوضع استقراراً شاملاً دعا هتلر الى القول: «الآن قد ولى الصعب..» واضاف: «لقد كنت مصيباً فمصير الحرب يتقرر الآن في الجنوب!.»

ماك آرثر يستولي على "غينيا الجديدة"



• جنود الفرقة «٢٤» ينزلون في خليج «تاناميرة».

في ١٢ آذار عام ١٩٤٤ وضعت اللمسات الأخيرة على الستراتيجية الأميركية الخاصة بالمحيط الهادىء في الوقت الذي كانت الحرب في هذه البقعة من العالم تدور ببطء وتكاد عملية اخضاع «رابول» توشك على النهاية. وبموجب تلك الستراتيجية كان على الجنرال «ماك آرثر» والأميرال «نيميتز» ان يباشرا عمليتين متوازيتين باتجاه طوكيو بالاعتماد على طريقين منفصلين في آن واحد: ففيما يسلك «ماك آرثر» طريق الأدغال، اي «غينيا الجديدة»، و«المولوك» و«الفيليبين» يسلك الآخر طريق جزر المرجان، اي «المارشال» و«كاريان» و«الكارولين» و«البونين».

وكان هناك شريك ثالث هو الجنرال «ستيلويل» الذي ما انفك يعاني في «تشونغ - كينغ» من الدسائس الصينية والنظريات الوافدة من واشنطن، اما العمليات، التي اخرتها معارضة تشرشل، فقد بدأت في «برمانيا» مستهدفة الافراج عن «تشانغ كاي تشك»، واشعال الحرب مجدداً في الصين، والتمهيد لغزو اليابان.

وعلى الرغم من سحق «رابول» ذلك المرفأ الصغير في المحيط الهادىء، فلم يعمد اليابانيون الى الجلاء عنه، وهو الذي كان بالنسبة اليهم منطلقاً هجومياً رائعاً على ««زيلندا الجديدة» و«اوستراليا»»، بل حفروا تحت الجبال ٥٠٠ كلم من الانفاق والسراديب، ولم تصب حاميتها بخسائر تذكر على الرغم من القصف المدمر. أما القيادة الأميركية فقد ارتأت عدم فتح تلك المدينة حقناً للدماء، لكن يكفي ان «ماك آرثر» قد اطمأن الى هذا الوضع، وبات في استطاعته مباشرة مسيرته نحو الغرب، ولقد تمكن من حشد قوات ضخمة في منطقة جنوب شرقي المحيط الهادىء رغم شكاواه المتواصلة لواشنطن، وبذلك بلغ عدد الخاضعين لامرته ٧٥٠ الف رجل من الطيارين والبحارة والجنود. فالطيارون يشكلون سلاح الجو الخامس بقيادة الجنرال «جورج ك. كيني، بينما يشكل البحارة الاسطول السابع الذي يقوده الاميرال «توماس ك. كنكايد»، في حين ان الجنود يؤلفون ٨ فرق اميركية، و٧ فرق اوسترالية بقيادة الجنرال الاوسترالي السير «توماس بلامي»، ولكن هذه القيادة كانت شكلية في حين ان «ماك آرثر» كان هو الآمر الناهي في كل شيء.

حتى ذلك الحين لم تكن شرارة الحرب قد طالت غير الساحل الجنوبي من «غينيا الجديدة، حيث وزع اليابانيون مجموعة من القواعد الجوية



• سكـان قرب رأس «آنـديبـاديرز» يحيطون ببعض الجرحى الاميركيين والاستراليين.

والبحرية الصغيرة على طول الخلجان والجزر والسهول الساحلية النادرة. اما فكرة «ماك آرثر» في المناورة فكانت تهـدف الى تخطي بعضهـا، واحتـلال البعض الآخر قصد التقدم انطلاقاً من مركز استناد الى مركز آخر. ولدى وصوله الى «فوجيلكوب»، شبه الجزيرة الشبيـــه برأس العصفور، لن تعود «مندناو»، اقرب جزر الفيليبين، تبعد اكثر من ٥٠٠ ميل بحري تنتشر خلالها جزر ارخبيل المولوك.

لم يكن اليابانيون يتوقعون هجوماً على غير القواعد الثلاث التي بقيت في حوزتهم في القسم الشرقي من «غينيا الجـديـدة» وهي: «مـاذنـغ»، «هـانسابـاي»، و«ويواك». وكـان الجيش الثـامن عشر الصغـير، بقيـادة الجنرال «هـاتزو اداشي» متيقظـاً باستمرار بانتظار وصول بعض النجدات ليسد بهـا الثغرات الـتي فتحهـا في صفوفه هزائم «ابوازيا». لكن بسالة «ماك آرثر» قـد قامت على القفز فوق

هـذا الحشد المعـادي للـبروز غربـاً في قطاعات أقل تحصيناً.

لم تكن «هولنديا» الوقعة على بعد ٦٠٠ ميل غربي «هنساباي»، لتتوقع شيئاً، وهي المحلة الصغيرة المهجورة حتى من الطيور. ولم يلق فيها اليابانيون سوى بعض المرسلين بينهم بضعة المان عوملوا بوحشيـة متنـاهيـة. وفي تلـك المحلة، وبين خليج «هومبولت» وخليج «تاناميره» بالذات كانت تبنى مطارات ثلاثة ببطء، لكن الانتصارات الاميركية قد بعثت النشاط في هذه الأعمال.

لقد كانت المفاجأة تامة. فالأميرال «اندو» الذي وصل قبل بضعة ايام ليستحث نخوة العمال اتجه صوب جبال «سيكلوب» حيث فقد اثره الى الأبد. وفي خليج «هومبولت» نزلت الفرقة ٤١ دون ان تلقى اي مقاومة، اما الفرقـة ٢٤ الـتي نزلـت في خليـج «تاناميره» فلم تلق هي الأخرى سوى مقاومة الطبيعة. ولم يطل الوقت حتى التقت الفرقتان ٢٤ و٤٠ في المطارات الثلاثة دون ان تفقدا سوى ٢٤ قتيلا، فيما تم القضاء على اكثر من ٣ آلاف يابـاني، وبعـد نجاح الحملة استؤنفت الأعمال في المطـارات الـتي جعلت من «هولنديا»، فيما بعد، احدى القواعد الكبرى في جنوب المحيط الهادىء.

في شرقي «هولنديا» نزلت الفرقة ٤١ في مركز ارسالية «اثياب» الصغيرة بهـدف تركـيز حـاميـة جـانبيـة في وجـه الجيش الياباني الثامن عشر ما لبث فيلـق بكـاملـة بقيـادة الجنرال «شارلز ب. هـال» ان التحـق تـدريجيـاً بفوج المشاة ١٦٣ على مجرى «الدرينيومور» هادفاً «ماك آرثر» من وراء ذلك حماية مؤخراته في طريق تقدمه نحو الغرب.

وهكـذا راحـت الخطـة تطبـق تـــدريجيـــاً. ففي ١٨ أيـــار استولى الامـيركيون عـلى جزيرة «واكـدي» الساحليـة، ثم عـادوا الى الساحـل للاستيلاء على مركز «سارني» الاداري الصغير بعدما خاضوا معركة قاسية في فـجاج «لون تري هيل». وفي ٢٧ ايار يمموا جزيرة «بياسك» الواقعة وسط الخليج العميق الفاصل بين كتلة «غينيا الجديدة» وشبه جزيرة «فوجيلكوب»، وهكـذا غـدت الفيليبـين في متنـاول قاذفات القنابل، لكن صعوبة الأرض في هـذه الجزيرة من تيـارات وصخور مرجانية عرقلت عملية النزول الى البر خصوصاً وان قوات الهجوم، التي تشمل فوجين تابعين للفرقة ٤١، ضعيفة، فيما قوات الـدفـاع، الخاضعة لسلطة قـائـد نشط هو الكولونيل «كوزومي»، كانت تضم احـــد افضـــل افواج الجيش الامـــبراطوري هو فوج المشاة ٢٢٢. وكانت اهداف المهاجمين هي مطارات

«ايشلبرغر»، ولم يسقط مطار «موكمر» الا في ٨ حزيران، لكنه لم يكن صالحاً للاستعمال لانبساطه تحت مواقع اليابانيين.

لم يتمكن اليابانيون من رد هجومي «هولنديا» و«واكدي» لكن «كوزومي» استطاع ان يجعل من «بياسك» نقطة توقف فوجهت شطر «غينيا الجديدة» الغربية امدادات جوية وبحرية ضخمة، في مقدمتها اللواء الرابع البرمائي الذي قدم من الفيليبين، لكن البسالة اليابانية ما لبثت ان تلاشت اذ ارتدت حملة اولى تتألف من بارجة و٤ طرادات و٦ مدمرات على اعقابها في ٣ حزيران بناء لتقرير خاطىء وضعه كشّاف خيل اليه انه قد ابصر بعض حاملات الطائرات. واعادت المدمرات وحدها الكرة في حزيران، وهي تقطر قوارب مسطحة مليئة بالجنود، فأغرقت تشكيلة من طائرات «ب - ٢٥» «الهاروسامي»، ثم ولى الاميرال «ساكونجو»، الإدبار مخلفاً قواربه في مواجهة اسطول يقوده الاميرال الانكليزي «كروتشلي». فتعقبه الكومودور «جاريل» بسرعة ٣٥ عقدة على رأس ٨ مدمرات اميركية، فأصاب «الشيراتويو» الا ان امراً بالعودة صدر عن «كروتشلي» وهبوط الظلام قد تضافروا لانقاذ الفرقة المعادية.



• ماك آرثر..

صغيرة ثلاثة اصطفت جنباً الى جنب في سهل صغير هي: «موكمر»، «بوروكو»، و«سوريدو»، لكن الفجاج التي امتدت دونها قد أوقفت تقدم الهجوم، وارغمت المهاجين على تنظيم مناورة ساقتهم الى المرتفعات، وارغمتهم بالتالي على الاستعانة بقوات اخرى، وحتى بجنرال جديد هو الجنرال



• ماك آرثر يعلن تحرير «لايت».

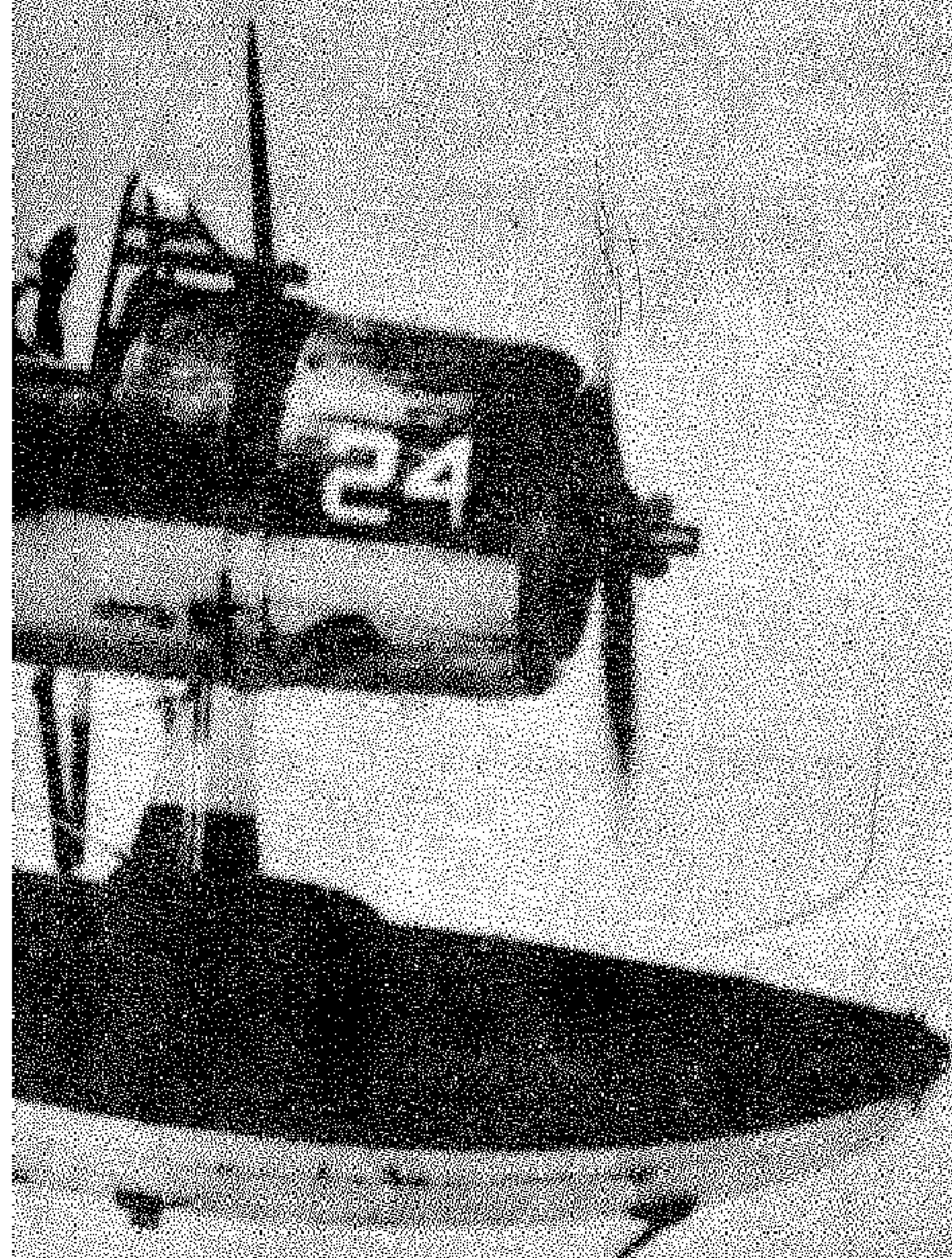
لم تكن « بياسك »، في الواقع، سوى نسخة طبق الأصل عن « غواد الكانال » ولم يسقط المطاران الآخران الا في ١٨ و ٢٤ حزيران، واعقبت ذلك حرب كهوف استمرت حتى ٢٠ آب، لم يتمكن الاميركيون خلالها من اسر اكثر من ٢٠٠ رجلاً من أصل ١٠ آلاف رجل اما الباقون فقد لقوا حتفهم، ان صرعى الرصاص واما انتحاراً واما جوعاً.

وفي شرقي « هولنديا » دارت رحى معركة اخيرة، وقد تلقى « اواشي » امراً بإعادة جيشه الثامن عشر نحو « فوجيلكوب »، عن طريق الأدغال، ولما كان الأمر صعب التنفيذ آثر مهاجمة الخطوط الاميركية على « الدرينيومور » فتمكن من عبور النهر في ١١ تموز غير ان فرقه الثلاث لم تكن تضم غير ٢٠ الف مقاتل، ففتكت بهم الحملة الاميركية المعاكسة فتكاً ذريعاً، فعاد « اواشي » الى « ويواك » محطماً. وبعد « بياسك » استولى الاميركيون على جزيرة « نويمفور »، وفي « فوجيلكوب » تركوا قاعدة « سورونغ » الرئيسية جانباً مكتفين بمدرجي « مار » و « سنسبور » الجويين، وختمت بذلك العمليات الهجومية في غينيا الجديدة، لكن قنابل المدافع والطائرات اخذت في ١٥ ايلول تقصف جزيرة « موروتاي »، فيما راحت قوارب الانزال وسفنه تمخر العباب متجهة اليها في خطوط باتت معهودة.

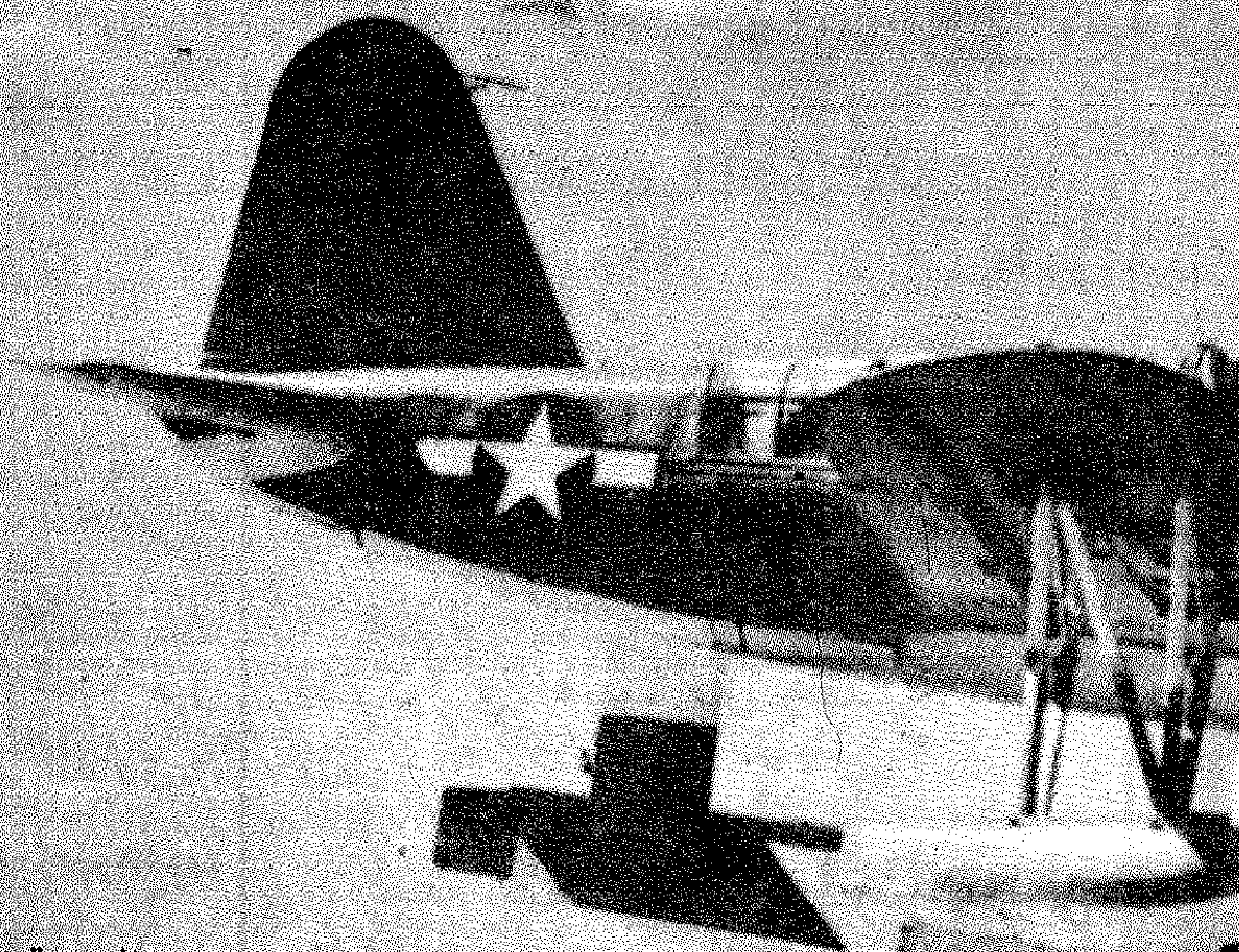


• جنود اميركيون يطلقون النار في « غينيا الجديدة ».

اختراق حزام الأمن الياباني



• طائرة اميركية جومائية ترقب عمليات النزول.



• جنود البحرية الاميركية يصلون البر.



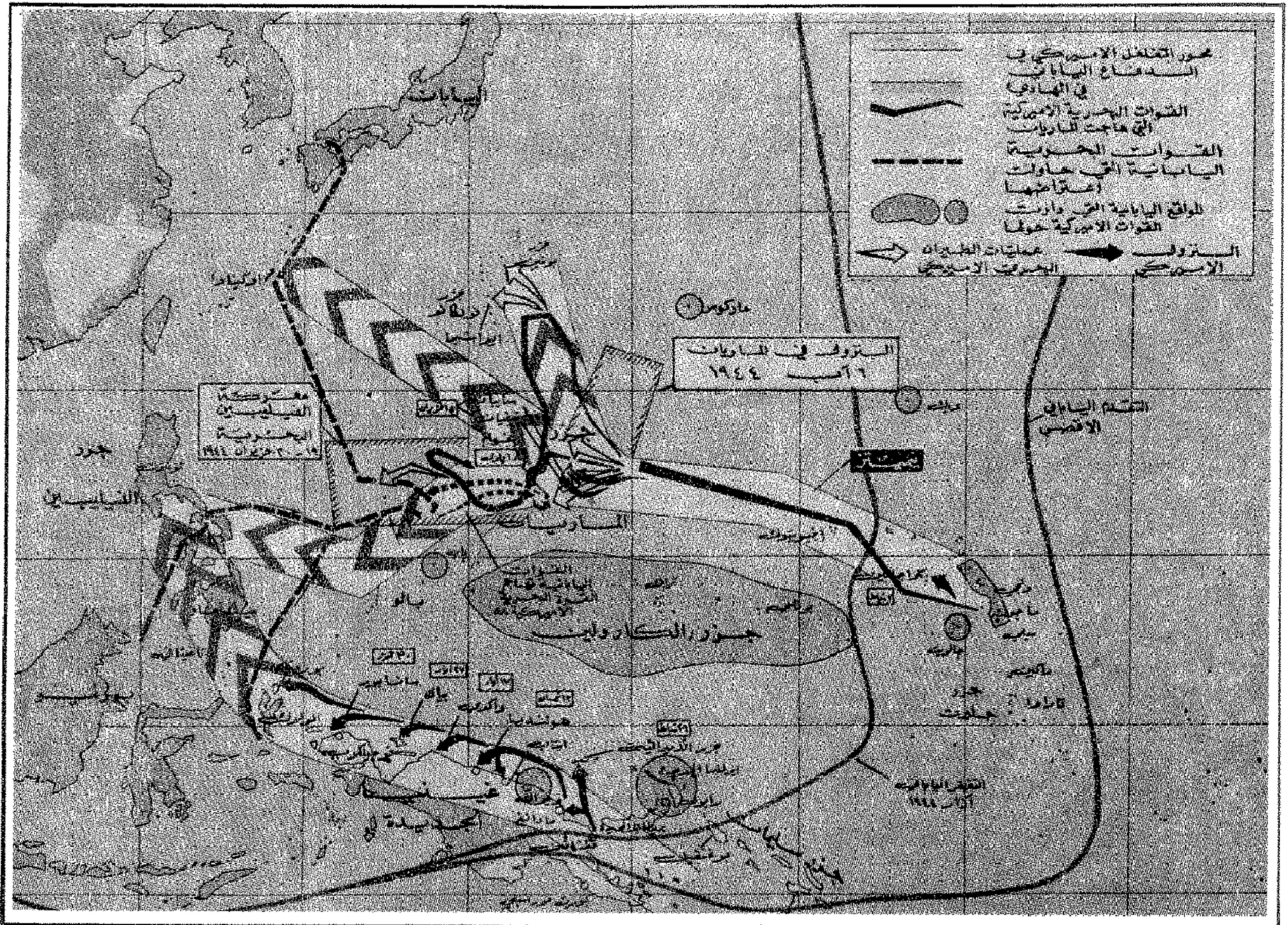
في تشرين الثاني عام ١٩٤٣ بدأت المسيرة الى طوكيو عبر طريق الجزر المرجانية، وذلك في اعقاب احتلال جزر «جلبرت»، وكانت المرحلة الثانية هي ارخبيل «مارشال» الذي يضم ٣٢ جزيرة تبلغ مساحتها الاجمالية ضعفي مساحة فرنسا. وكانت اليابان تعتبر هذا الأرخبيل مع «الكارولين» و«الماريان» ملكاً شرعياً لها بعدما منحتها جمعية الأمم انتداباً عليها دون السماح لها باستخدامها للأغراض العسكرية، لكن اليابان كانت تتجاهل هذا الخطر. وكانت «الماريان» اقرب الارخبيلات اليها. اما الكارولين ذات قاعدة بحرية كبيرة (تراك) فيها انطلق السهم الياباني على اوستراليا، وعلى مسافة الف ميل الى الشرق. وفي وسط المحيط الهادىء، كانت «المارشال» قائمة في منتصف الطريق بين الفليبين وهاواي.

وعلى الرغم من معارضة قواه فقد قرر «نيميتز» ان يهاجم «كواجالين» الواقعة في قلب الارخبيل الأخير بالذات، وهي اكبر مجموعة جزر مرجانية في العالم تضم ١٠٠ جزيرة صغيرة تنبثق من ارض تحد الشاطىء عن كثب ويبلغ محيطها ٢٠٠ ميل. وكانت هناك نقطتان لها اهمية عسكرية هما: «كواجالين» بالذات، وجزيرتان صغيرتان متصلتان بواسطة كتلة صخرية، وهما «روا» و«نامور» الواقعتان الى الشمال الشرقي.

وفي الساعة ٩ من نهار ٣١ كانون الثاني انطلق الهجوم فاتبعت الأساليب نفسها التي اتبعت في الهجوم على جزر «جلبرت»، اذ استخدمت فرقة المشاة البحريين الرابعة التي هاجمت «روا» و«نامور» وفرقة المشاة السابعة التي هاجمت كواجالين بضع مئات من الجرارات والدبابات البرمائية. وفي غضون ٧٢ ساعة لم ينج من المدافعين البالغ عددهم ٨٦٧٥ رجلاً سوى ٢٦٥ رجلاً وقعوا في الأسر وثلثاهم من العمال الكوريين ومن اصل ٤١٤٤٦ من الجنود ومشاة البحرية الاميركيين الذين اشتركوا في الهجوم قتل وفقد ٢٧٢ رجلاً فقط.

لقد اصاب هذا النصر الاميركي الكامل والسريع اليابانيين بالذهول، اذ بقيت قواتهم البحرية والجوية في «الكارولين» مجمدة في حين سلمت ست قواعد من قواعدهم الثماني في جزر «مارشال» لكنها لم تتمكن من التدخل قط. ولسوف يعمد الاميركيون الى الاستيلاء على واحدة من هذه القواعد الست، وهي قاعدة «اينيوثيوك»، دون الاهتمام بالقواعد الأخرى التي راحت حامياتها اليابانية تحتضر ببطء.

وفي الوقت الذي استولى فيه



● دليل العمليات الجارية في المحيط الهادىء [شباط - آب ١٩٤٤]

« نيميتز » على جزر مارشال لم يكن ماك آرثر قد تحرك بعد باتجاه « هولانديا »، وكان هذا الأخير قد أكد ان التحرك كان بمثابة « اندفاع ضعيف » مبرراً مطالبته مرة اخرى بوضع قوات الهادىء بكاملها تحت امرته، على اعتبار المحيط الهادىء هو الطريق الستراتيجية الوحيدة الباقية نحو اليابان، ثم طالب ماك ايضاً بالتخلي عن العمليات المخططة لانجاز غزو « جلبرت » و « مارشال ». وعلى الرغم من المناقشات الحادة التي قادها في واشنطن رئيس أركان ماك آرثر. فان ستراتيجية الهادىء الأوسط سوف يتم تنفيذها على يد الأميرال « كينغ » بالذات.

كانت عملية غزو اوروبا على وشك الانجاز عندما بوشر بتنفيذ عملية برمائية ضخمة اخرى في الطرف الآخر من « نورمانديا ». ففي ٦ حزيران وفيما كان جنود ايزنهاور يهبطون شواطىء « كوتنتان » و « كالفادوس » كانت القوة البحرية ٥٨ التابعة للأميرال « ماك ميتشر » تقلع من قاعدة « ماجورو » المؤقتة في ارخبيل مارشال، وهي تضم

٨٧ سفينة قتال، من بينها ١٣ حاملة طائرات و٧ بوارج سريعة. وكانت مهمتها تتمثل في تأمين السلامة العامة لقوات الغزو والتي كانت تسبح في اتجاه جزيرة «سايبان» التي وقع عليها الاختيار لكي تكون نواة النزول الأول. ومن «كواجالين»، وفي جزر الاميرالية راحت القاذفات البرية التابعة لاسطول الجو الخامس والحادي عشر تساند الفرقة لسحق القواعد اليابانية الواقعة في مجال يمكن من التدخل، وهي «بيليليو» و«ياب» و«بولاوات»، وخصوصاً «تراك». كانت تلك المهات خطرة للغاية بالنظر الى لما تتضمنه من طيران طويل الأمد خلال طريق العودة فوق مساحات بحرية موحشة، وفي طائرات لا تخلو من اصابات المدفعية المضادة للطائرات.

في ظلال هذه القوة تحركت قافلتان هائلتان باتجاه «الماريان» اولاهما القوة البحرية ٥١ التي تحمل فرقتي المشاة البحريين ٢ و٤ وفرقة الجيش السابعة انطلاقاً من «هاواي». اما القافلة الثانية فهي تتمثل بالقوة البحرية ٥٢ التي كانت تنقل من «غواد الكانال» فرقة المشاة البحريين الثالثة. فكان هنالك ٧٧ ناقلة، و٣٤ سفينة شحن و٢٤ سفينة انزال محملة بالرجال والعتاد، وكان في مواكبتها اسطول ضخم آخر مؤلف من ١٤ حاملة طائرات، و٧ بوارج قديمة، و١٢ طراداً خفيفاً وثقيلاً و١٢٢ مدمرة الخ.

لم يكن كل هذا العدد والعتاد (٦٦٤ سفينة و١٢٧٥٤١ جندياً) في مستوى العملية النورماندية، ولكن الرحلات البحرية كانت اطول بما يراوح بين ٢٠ و٣٠ ضعفاً: ٣,٥٠٠ ميل من «هاواي» و٢,٤٠٠ ميل من «غواد الكانال». كان المجهود العام مماثلا، ولكن الفارق الوحيد الذي يميزه من النزول النورماندي هو انه كان اميركياً بكامله إنه تعبير عن قوة لا يمكن وضعها، خصوصاً وانها لم تكن على الساحة منذ اربع سنوات، وانها قد ولدت دون ان تغير وجه الحياة اليومية للشعب الذي أفرزها إلا في جوانب قليلة.

لقد تحولت جزر «الماريان» من جزر مرجانية الى ذرى سلسلة طويلة من البراكين، وهي تشكل قوساً ذات انعطاف ضئيل من الشمال الى الجنوب، وهذه القوس تمتد على ٥٠٠ ميل من «فارالون دي باجاروس» حتى «غوام». واما سفوحها الخضراء فتعلو مئات الامتار. كان طقسها لا يزال استوائياً دون ان يكون فيها الجزرة وبيئة كتلك التي نجدها في ادغال جزر «سليمان» و«غينيا الجديدة». وللماريان قصة طريفة تبدأ مع «ماجيلان» الذي



• جنود سوفيات في جبهة لينينغراد.

اطلق عليها اسم «جزر اللصوص» اشارة الى خفة ايدي الوطنيين «الشاموروس» الذين قدموا لزيارة سفنه. ولكنها لم تلبث ان حملت اسماً اكثر تشريفا، وهو «الماريناس» تيمناً بـ«ماريا آنّا» النمساوية زوجة فيليب الثاني. وقد اهمل الاسبان هذه الجزر، الا ان الألمان ابتاعوها، وحصل عليها اليابانيون باستثناء «غوام» التي اكتفت اميركا بالاحتفاظ بها بعد انتصارها على اسبانيا سنة ١٨٩٩، وغايتها منها ان يكون لها فيها مستودع للفحم بين الفيليبين وهاواي، ولكن اليابانيين انتزعوها منها بعد «بيرل هاربور» بأيام.

فضلاً عن «غوام» كانت جزر الماريان الكبرى هي «روتا» و«تينيان»، و«سايبان»، وكانت هذه الأخيرة، وهي العاصمة العسكرية للأرخبيل، مقر الجيش الياباني الواحد والثلاثين. بقيادة هيديوشي اوباتي»

والفرقة المدعمة ٤٣ بقيادة الجنرال «يوشيتغروغو سايتو». وكانت عدة الحامية، بما فيها التشكيلات البحرية، تبلغ ٣١٦٤٩ رجلاً. وكان يحتل الجزر الأخرى ١٨٥٠٠ رجل في «غوام»، و٨ آلاف رجل في «تينيان» وبضع مئات من الرجال في «روتا». وكان المجموع تحت امرة «شويشوي ناغومو»، الاسم اللامع في مأثرة «بيرل هاربور» والذي اودت به كارثة «ميدواي» من ارفع مراتب الاسطول الى قيادة محلية قاتمة. كان موجوداً في «سايبان» لكنه لم يكن يلعب فيها سوى دور وهمي.

كان التنظيم الياباني متيناً، الا ان المخطط القاضي بمعاونته عن طريق قوات مستقدمة من «منشوريا» قد ذهب ضحية للغواصات الاميركية، وقد فقدت اكثرية القوافل بعضاً من سفنها، الا ان نسبة الرجال الذين تم انقاذهم كانت هامة.

بدأ غزو «الماريان» في ١٥ حزيران، وهو الموعد الذي حدد مسبقاً، وكانت الأمرة للجنرال «هولاند سميث». منطقة النزول كانت تمتد من كلتا ناحيتي رأس «افتينا»، وكانت الفرقة الثانية الى اليسار على الشاطئين «الأحمر» و«الأخضر»، والفرقة الرابعة الى اليمين على الشاطئين «الأزرق» و«الأصفر». وكانت تنتصب في صدر المنطقة، في الطرف الداخلي، سلسلة من الجبال تبلغ ذروتها ١٥٥٤ قدماً، وفي المواقع الأمامية كان البحر الأخضر يتحطم على صخور المرجان ثم تسترخي مياهه داخل بحيرة مساحتها بضع مئات من الأمتار. والى جنوبي الرأس، وفي قطاع فرقة المشاة البحريين الرابعة، كانت المنازل اليابانية في مدينة «شاران كانووا» الصغيرة قد تهافتت في اشداق النار باستثناء مدخنة مصنع للسكر ظلت منتصبة بلونها الأسود الفاحم. وفي الساعة ٨,٥٠ تقدمت ٣٤ سفينة انزال نحو الشاطىء، وما لبثت ان قذفت بـ٧١٩ جراراً ودبابة برمائية راحت تنتظم بشكل موجات انقضاض. وكان المهاجمون مزمعين على عدم التوقف، ولو لبرهة واحدة، على الشاطىء، بل على الانقضاض بالنزول المصفح وثبة واحدة نحو خط القمم، ثم الانحدار حتى خليج «ماجيسيين».

إلا ان امر الانطلاق قد تحطم مع تحطم الأمواج العاتية على الجرارات والدبابات البرمائية وتفكك ارتالها. وتحت وطيس النار الحامية المنطلقة من رأس «افتينا» انحرفت الفرقة الثانية نحو الشمال وتشابكت كتائبها على الشاطئين «الأحمر» و«الأخضر». واجتازت الفرقة الرابعة «شاران

كانووا » بسرعة، ولكنها صادفت صعوبات في الانبساط نحو الشمال والجنوب، وكانت تعوز المصفحات البرمائية القوة اللازمة للتملص من الحواجز المضادة للدبابات، وبعدما غدت مرمى سهلاً للنار تخلى المشاة البحريون عنها للتقدم مشياً على الأقدام او زحفاً. لقد آمنت القيادة الاميركية ايماناً اعمى بجعل النزول آلياً تماماً، وعند هبوط الليل كان المهاجمون قد استولوا على نصف المنطقة « د - ١ » فحسب، ان الجنرال « يوشتزوغو سايتو »، الذي حل مكان « اوباتي » المجمد في « غوام »، فقد بعث الى طوكيو بمذكرة جاء فيها: « ان الجيش ٣١ سيشن هذه الليلة هجوماً مضاداً بكامل قواه، وسيبيد العدو... »

وفي الساعة الثانية صباحاً انطلق الهجوم فعلا، وراح يصب الحمم على مشاة البحرية في الفرقة الثانية فقتل منهم المئات، الا ان المدافعين ههنا، كما كانت الحال في « النورماندي »، لم يعرفوا كيف يفيدون من ساعة الضعف في المهاجمين، الأمر الذي أتاح لهؤلاء القدرة على ارساء رأس الجسر.

لكن حدثاً جديداً جاء يزرع القلق في نفوس البحارة. ففي الساعة ١٨,٣٥ من الليلة السابقة ابصرت الغواصة فلاينغ فيش اسطولاً للعدو ينبثق من مضيق « سان برنادينو » بين جزر « لوسون » و « سامار » في اتجاه الشرق. لم تمض نصف ساعة حتى كانت غواصة اخرى هي « سيهورس » تعلن عن وجود تشكيلة من البوارج في عرض « ميلداناو » في اتجاه الشمال والشمال الشرقي. وكانت الوجهتان تؤديان الى هدف واحد، هو « الماريان ». لقد كان الاسطول الياباني قادماً لانتزاع سيادة الهادىء من ايدي الاميركيين، ولطالما تاق الى هذه المقابلة الحاسمة، الى ثأر « ميدواي ». فبعد مقتل « ياماموتو » قام خلفه « مينييشي كوغا » ببناء استراتيجية على هذا الانتظار، متجنباً العمليات المتفرقة، موفراً قواه لليوم الأوحد الذي سيمحو الهزائم جمعاء. وفي ٣١ آذار ١٩٤٤ اختفت طائرة جومائية بين « بالو » و « دافاو » وقتل « كوغا »، ولكن المذهب بقي هو ذاته في عهد خلفه الاميرال « سوموتويودا »: اعادة تنظيم الاسطول اولا، ومن ثم خلق وضع استراتيجي مناسب، وسحق العدو.

لم تكن قوة اليابان الصناعية البحرية والجوية في مستوى فتوحاتها الاسطورية عام ١٩٤٢، اذ انها اتت ببعض المواد الأولية كالقصدير والمطاط والنفط دون ان تأتي بالترتيبات الصناعية الضرورية للإفادة منها، وعلى

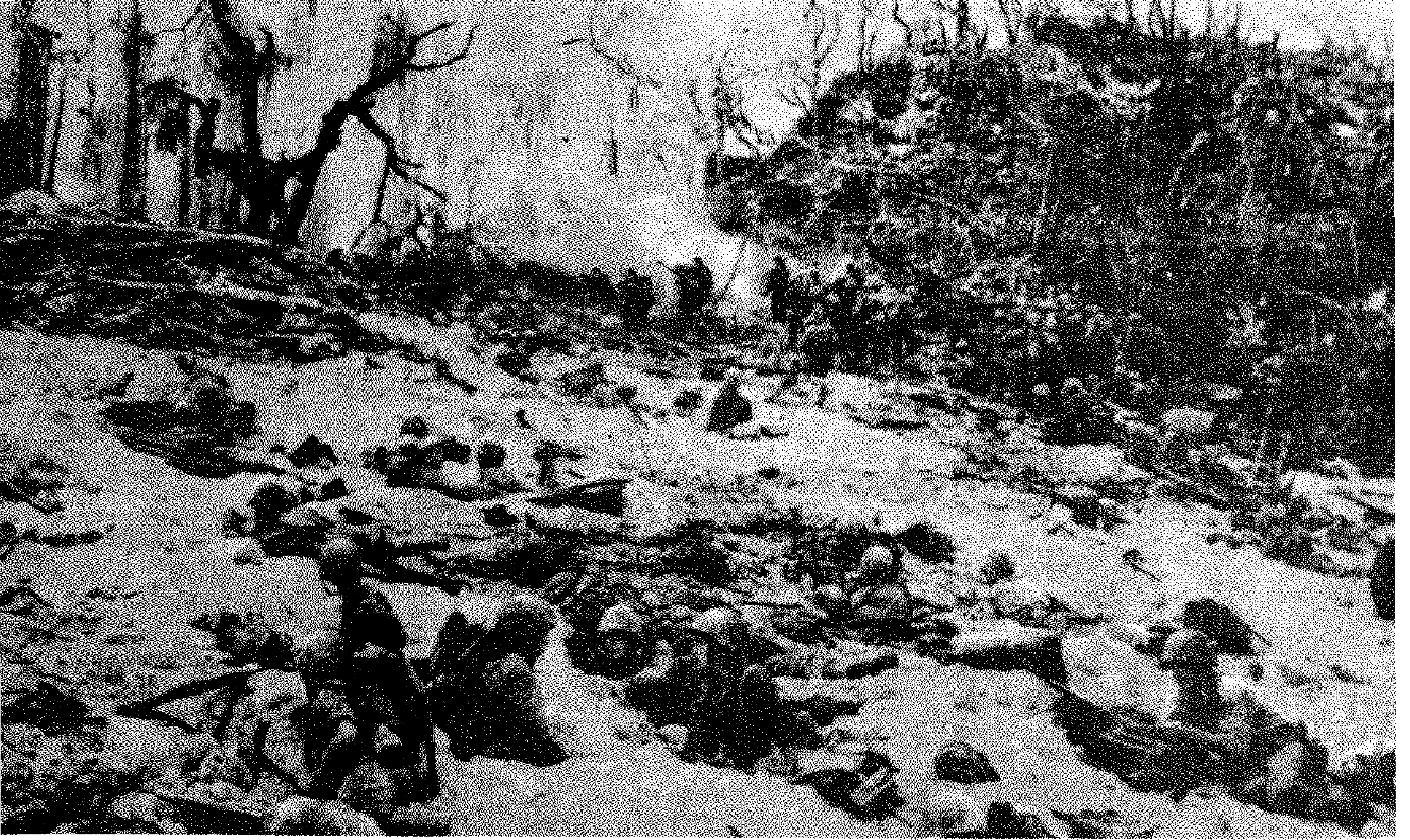


• سوفياتيون عسكريون امام النار على ضفة نهر « الدنيبير ».

هذا الأساس كان على اسطولها ان يستعمل النفط الخام الآتي من « بورنيو » على الرغم من الأخطار الجمة المحيقة بعمليات نقله. وبفضل ذلك قامت اليابان بمجهود محموم، وبأعمال ضخمة ولكنها ارتجالية، ادت الى خلق حاملات جديدة للطائرات وأساطيل جوية جديدة صغيرة، لكن ثغرات مخيفة كانت كامنة في تلك القوقعة التي اعيد بناؤها. لم يكن قد طرأ على الرادار اي تحسين، وكانت وسائل الدفاع المضادة للغواصات بدائية، ولم تكن الطائرات مصفحة، ولا مزودة بالخزانات ذات السداد الذي يمنع تسرب الغاز. واما الطيارون فلم يكن لديهم سوى خبرة سطحية، ولم يكونوا مدربين سوى تدريب تافه.

كانت الأركان العامة البحرية قد تاقت الى الوضع الستراتيجي الملائم في جنوبي غربي الهادىء وعملت على تحضيره. وكان الحلم الياباني هو في ان يخوض الاسطول الاميركي الكبير مثلث: « ياب - ميندناو - غينيا الجديدة » الواقع على مقربة من « الفيليبين » لحل مشكلة التموين في نطاق القواعد البرية التي تعوض ضعف الطيران البحري، وأتت حملة « ماك آرثر » الى « بياك » تحمل على الظن بأن هذا الحلم قد اوشك ان يتحقق. وكانت مفرزة قوية تضم البارجتين الجبارتين « ياماتو » و « موساشي » قد بعثت مسبقاً كمقدمة الى « باتجان » في « المولوك ». وكان معظم الاسطول، وخصوصاً فرق حاملات الطائرات الثلاث، ينتظر بالمرصاد بين « الفيليبين » و « بورنيو »، ولكن اميركا، بدلاً من ان تزج بنفسها في شباك جنوبي غربي الهادىء، سددت ضربتها في قلب المحيط الى « الماريان »، وطوكيو منها على مدى نشاط القاذفات!

وهكذا فان حزام الأمان الوطني الياباني قد أوشك ان يخرق، واذا بالخطر يحدق بالوطن الأم وبرأس الامبراطور على السواء! لم يكن بميسور



• جنود اميركيون في جزيرة «إنجي».

البحرية الامبراطورية ان تسمح باحتلال «الماريان» فتقف كما وقفت حيال غزو جزر «المارشال» مكتوفة الأيدي. ومن خلال طريقين، غربي «ميندناو» وشرقيها، تحرك الاسطول السريع بامرة الفايس اميرال «جيزابورو اوزاوا»، صاعداً باتجاه «الفيليبين» حيث كان المخطط العدو يوجه صدمته الحاسمة. كان اسطول «الشمس المشرقة» الأخير هذا مهيباً اذ يتألف من ٤ حاملات طائرات ثقيلة، ٤ حاملات طائرات خفيفة، ٥ بوارج، ١١ طراداً ثقيلاً، طرادين خفيفين، ٢٨ مدمرة. وكان هذا الاسطول يضم اكبر حاملة طائرات في العالم، هي حاملة «تايهو» التي تم بناؤها حديثاً، كما يضم حاملتين من المحاربات القديمات المثقلة بالظفر والمثخنة بالجراح. وقد بلغ عدد الطائرات المنقولة جراً ٤٢٩ طائرة اي ضعفي عدد الطائرات المغيرة على «بيرل هاربور». ولكن الخروج لملاقاة العدو لم يكن شبيهاً بالرحلة السوية في كانون الأول عام ١٩٤١، تكبدت القوة خسائر ألبستها ثوب الحداد، ومن جملتها مدمرة، وذلك بسبب بعض الحوادث والاصطدامات. واما مصير الهجوم الذي شنته الغواصات على انه ملحق للعملية فقد فشل فشلاً ذريعاً. واما الغواصات



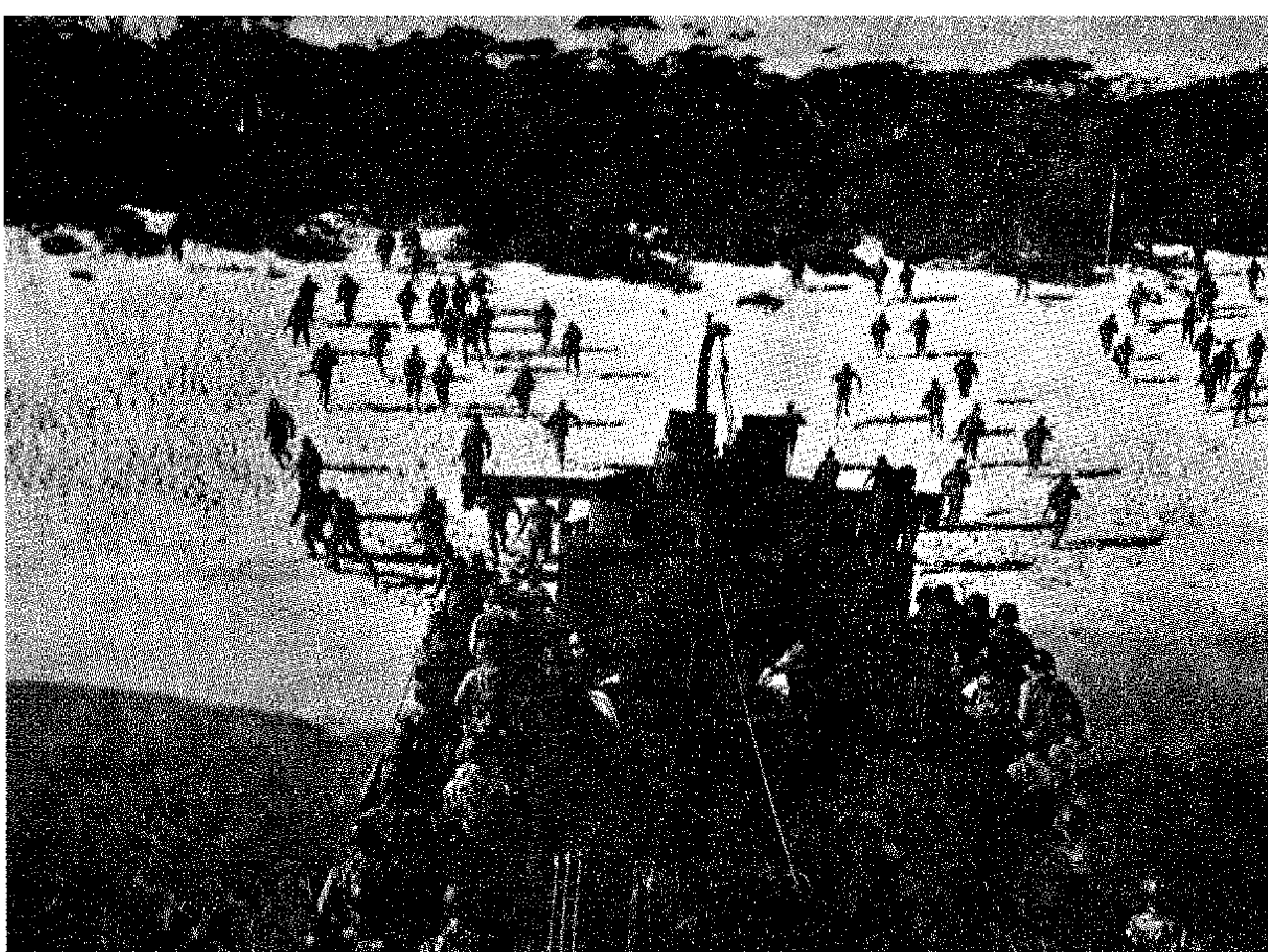
• من صور حرب المحيط الهادىء.. النار تلتهم كل شيء.

الـ ٢٥، التي كانت مولجة بتطهير بحر «الفيليبين»، فانها لم تستطع اغراق سفينة واحدة، وقد دمرت ١٧ غواصة منها.

وأمام «سايبان» انبرى القائد الأعلى للاسطول الخامس الاميرال «ريمون سبروونس» للاتصال في الحال بالفايس اميرال «تورنر» قائد القوات البحرية للمساندة المباشرة تسمت هذه القوات قسمين: فالبوارج القديمة، وجزء من الطرادات والمدمرات، قد واصلت مهمتها مستمرة في تركيز رأس جسر «افتينا». وأما الباقي فقد انضم الى القوة البحرية ٥٨ للانقضاض على العدو العائم. وفي وجه الجيش البحري الياباني انتصبت ٧ حاملات طائرات كبيرة، و٨ حاملات خفيفة تقل ٩٥٦ طائرة متعددة الأجناس، تحرسها وتحميها ٧ بوارج سريعة، و٢١ طراداً، و٦٩ مدمرة. ففي البحر وفي الجو على السواء كان التفوق الاميركي بنسبة ١ ضد ٢.

يوم ١٩ حزيران كان يوماً بالغ الصحو، وكان الاميرال «ثويودا» ينعم بتفوق ثمين بفضل كشافيه الذين قاموا

• دبابات برمائية تنطلق نحو الشاطىء.

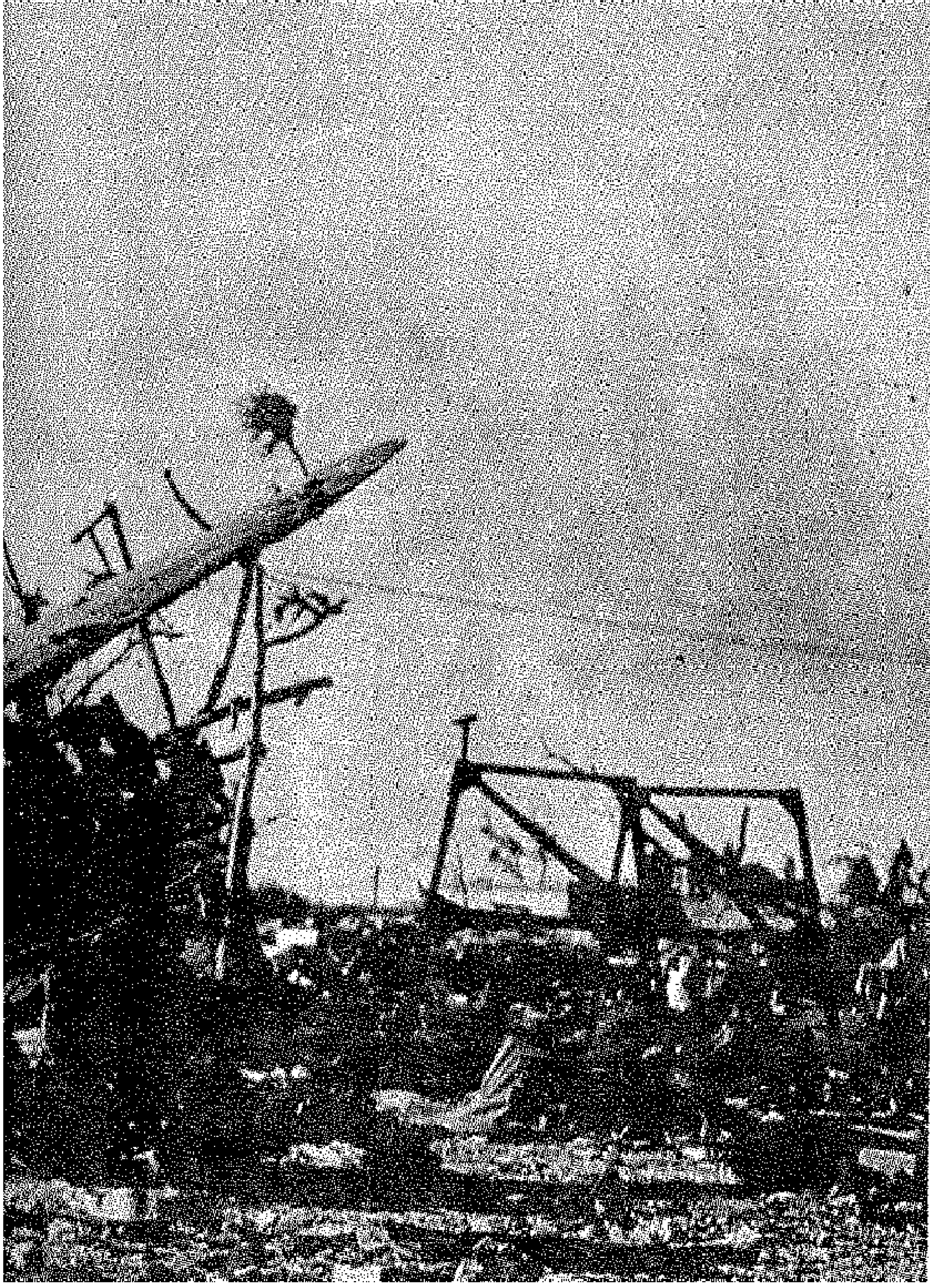


• جنود اوستراليون يتدربون على النزول في بلادهم.

بعمل جيد، فقد كان عالماً بموقع العدو، وكان يتمتع بتفوق آخر هو احد نتائج الضعف والتخلف: فطائراته التي لم تكن مصفحة، كانت اكثر خفة من الطائرات الاميركية، وأوسع مجالاً للعمل منها: ٤٠٠ ميل مقابل ٣٠٠ ميل. وهكذا كان العدو بمتناول يده، فيما كان هو نفسه بعيداً عن مرماه: انه الوقت مثالي لشن الهجوم.

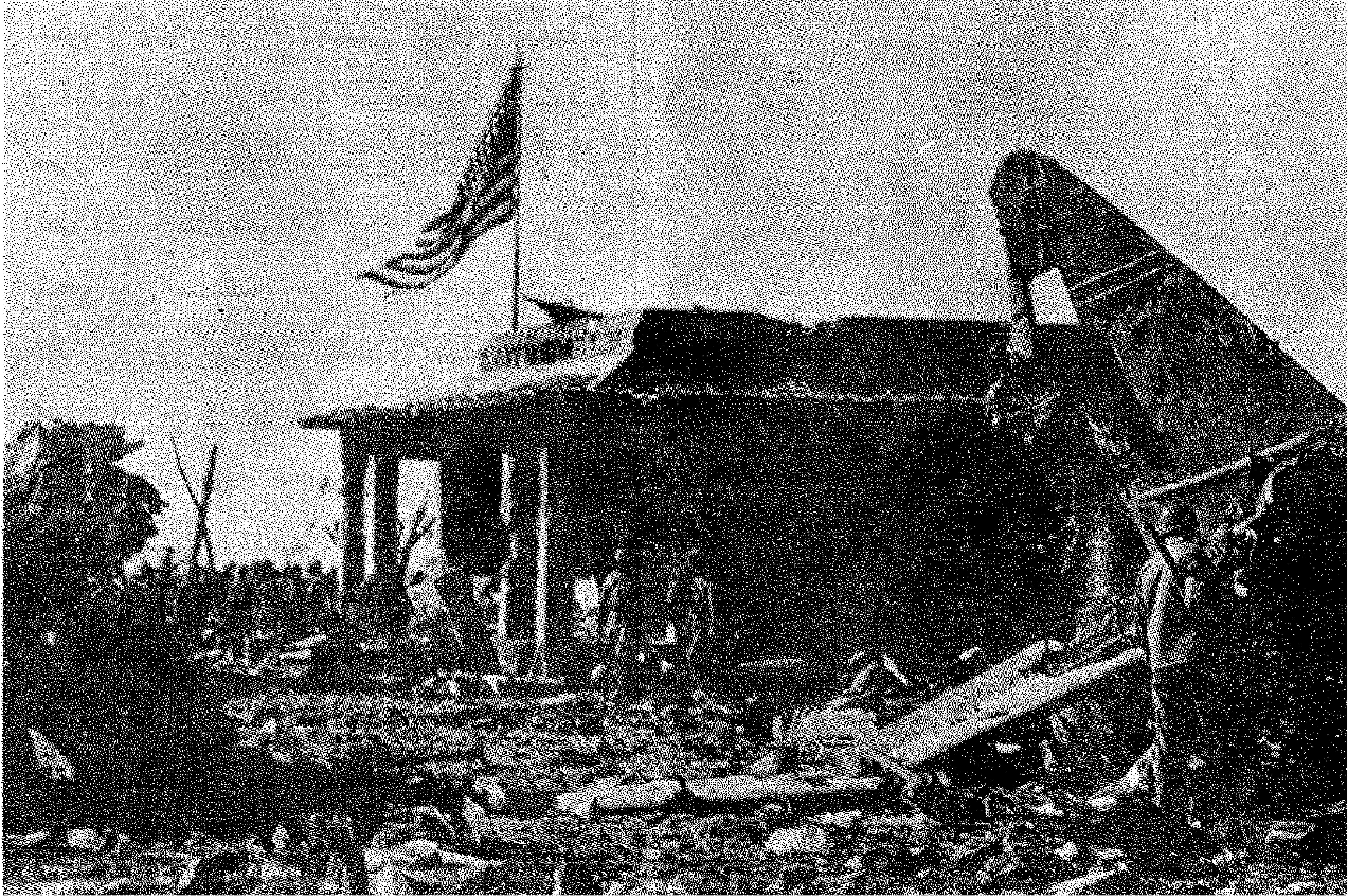
ففي الساعة ٨,٣٠ اقلعت ٦٤ طائرة دفعة واحدة من على متون سفن المقدمة. وفي ٨,٥٦ انطلقت ١٢٨ طائرة من فرقة «اوزاوا»، وكان في عدادها طائرة المساعد الأول البحري «ساهيو كوماتسو» الذي ما لبث ان شاهد خط طوربيد كان منطلقاً نحو «تايهو»، فانقض عليه منتحراً لانقاذ السفينة الكبرى. واما الفرقة الثانية فقد اطلقت ٤٧ طائرة في الساعة العاشرة، ثم صدر امر في الساعة ١١ موجه الى الفرقتين ١ و٣ بأن تطلقا ١١٤ طائرة اخرى. فقد القى «اوزاوا» على العدو بأربعة اخماس قواته، محتفظاً بحفنة من المقاتلات لحماية سفنه.

لم يتمكن الاميركيون من العثور على موقع العدو، الا ان الرادار قد انقذهم اذ كشف لهم المكان الذي يتواجد فيه اي على بعد ١٦٥ ميلاً، وللحال اندفعت الطائرات في الجو، ثم دارت



اشتباكات حامية الوطيس غربي السفن وجنوبيها، وقد تكبد المهاجمون خسائر جسيمة للغاية. ومن اصل الـ٣٧٥ طائرة التي اطلقها «اوزاوا» تمكنت نحو من ٤٠ طائرة او اقل من مقاربة السفن، كما تمكنت طائرة واحدة فقط من تسديد ضربتها، فأصابت «الساوث داكوتا» وقتلت ٢٧ بحاراً دون إحداث اضرار خطيرة في البارجة. لقد كان الثمن في نهار ١٩ حزيران باهظاً للغاية بالنسبة لليابانيين اذ فقدوا ٣١٥ طائرة، اما الاميركيون فقد فقدوا ٢٩ طائرة.

كان الطوربيد الذي اوقفه المساعد الأول البحري منتحراً واحداً من ستة



• من معارك جزر « مارشال » عام ١٩٤٤.

اطلقتها الغواصة « الباكور » على « التايهو » سفينة الاميرال « اوزاوا » فلم يصبها منها غير واحد، الا ان الأضرار كانت طفيفة.

ولم تنقض ساعتان حتى كان طوربيد آخر يصيب « الشوكاكو » اصابة خطرة، مما اضطرها الى تخفيض سرعتها والخروج من التشكيلة، حيث راحت تكافح النار التي شبت في داخلها والتي زادها اضطراماً الوقود الذي كان يتسرب من الخزانات غير المحكمة السداد والسيئة الوضع. وبعد الساعة ١٥ بقليل بلغت النار احد انبار الذخيرة فدوت للحال سلسلة من الانفجارات مزقت « الشوكاكو » ارباً. وقد بقيت « الزويكاكو » هي الناجية الوحيدة من حاملات الطائرات الست التي شنت الهجوم على « بيرل هاربور ».

وفوق « التايهو » حصل تطور مخيف، اذ فتقت صدمة الطوربيد الأنابيب المعدنية، وقطعت اوصال الخزانات، وامتلأت السفينة بخليط متفجر مؤلف من بخار الوقود ومن الهواء حاول من في السفينة عزله دون جدوى. فحدث ما كان متوقعاً: ففي الساعة ١٥,٣٢ دوى انفجار عنيف

نسف الجسر وراح يلتهم اعماق السفينة. واقبلت المدمرة «واكاتسوهي» لتنقذ صورة الامبراطور وتنقل «اوزاوا» الى الطراد «هاغونو». وما كاد الاميرال ينجو من سفينته حتى اجتاحت النيران «تايهو» واجهزت عليها عند الساعة ١٧,٠٦ حيث غرقت، وتمكن ٥٠٠ من مجموع ضباطها وبحارتها الـ٢١٥٠ من النجاة بفضل المدمرات.

لم يكن ذلك النهار بأقل مأساوية من «ميدواي» اذ خسر «اوزاوا» اثنتين من سفنه الرئيسية، ولم يبق لديه سوى نحو من ١٠٠ طائرة في الوقت الذي كان الاسطول الاميركي، بالمقابل، سليماً معافى، ومع ذلك فقد اوهم «اوزاوا» نفسه، بفضل حزمه الشديد، بانه لم يخسر المعركة، وبأن العدو قد تكبد هو الآخر خسائر فادحة. وابلغت قاذفات «الزويكاكو» انها قد اصابت قلب الهدف في احدى حاملات الطائرات وأحد الطرادات الكبرى. وأكد طيارو الفرقة الأولى انهم خلفوا وراءهم اربع حاملات طائرات فريسة للهب. وقد جاء في تقرير آخر النهار: «لا شك ان اربعاً أو خمساً من حاملات طائرات العدو فضلاً عن بارجة واحدة وطراد كبير، قد اغرقت او انها ارغمت على ترك القتال. وهذا لا ينفي كذلك احتمال كون سفن اخرى قد انفجرت او



غرقت...» وكنتيجة لهذا الاقتناع او التوهم كان «اوزاوا» مصمماً على استئناف القتال في غضون يومين، اي في ٢١ بعد ان يملأ خزاناته بالمازوت قبل يوم من هذا التاريخ.

لكن القادة الاميركيين الذين سجلوا انتصاراً واضحاً اظهروا الكثير من التأني والتعقل، وامتنعوا عن ارسال



• الوصول الى الشاطــــىء.. جنود البحريـــــة الاميركية.

كشاف منفرد قد يرغم على الهبوط في متاهات المحيط دون ان يكون له اي امــل في النجــاة، وبزغ صبــاح ٢٠ حزيران والاسطول الاميركي يسير في خط مواز لسير العدو ولكن دون ان يعلم بذلك الا في الساعة ١٥,١٥ عندما التقطت دوريات ما بعد الظهر رسالة مشوشة تشير الى العثور على العدو. ولم تنقـض دقـائـق قليلـة حـتى كـان مـلازم البحرية «نلسون» يؤكد انه رأى سفن «اوزاوا» بأم العين. وعمد الى تصحيح التقدير الخاطىء الذي اعطاه عن موقع هذه السفن الذي يبعد ٢٥٠ ميلاً.

وسرعان ما اتخذ «ميتشر» الأميرال



الذي لا يتجاوز طوله ١,٦٤ متر ووزنه ١٣٥ ، القرار القـــاضي بشن الهجوم. وبعد ١٠ دقائق فقط كانت ٢١٦ قاذفة ونسافة ومطاردة تحلق في الفضاء. وفي اللحظة الأخيرة اوقف موجة ثانية مماثلة.

كانت الشمس على وشك ان تغوص في مياه البحر عندما بدأت العملية في الساعة ١٨,٢٠. ففي الجهة اليابانية قبلت ٣٠ مطاردة مواجهة القتال غير المتكافىء ببسالة، وقد تمكنت فعلاً من تخفيف حدة الهجوم دون ان تتمكن من تحطيمه او صده، فاشتعلت النيران في حاملة الطائرات «هييو» وغرقت بعدما اصابتها الطوربيدات. واصيبت «الزويكاكو» و«الستيودا» بأضرار، وكذلك البارجة «هارونا»، وأغرقت ناقلتا بترول ثمينتان للغاية. ولو ان «سبروونس» و«ميتشر» توافرت فيهما جرأة اكبر لكان الانتصار اكبر هو الآخر، ومع ذلك فان الصدمة اليابانية كانت ضخمة، اذ فقدت في صبيحة ١٩ حزيران ٣٩٥ طائرة من اصل ٤٣٠ طائرة، وهذا يعني ان الطيران الياباني المنقول بحراً قد دمر بأكمله، وظل مشلولاً حتى نهاية الحرب.

وبفضل ما يتمتع به من عناد وحزم أصدر «اوزاوا» رغم الهزيمة المنكرة



• عبر ثلوج شتاء ١٩٤٣ - ٤٤.. تراجع «كيروفوغراد» المأسوي.

التي لحقت به، امرا يقضي بشن هجوم ليلي بواسطة السفن، ووضع الاميرال «كوريتا» في المقدمة باتجاه العدو، لكن سفنه لم تكن تملك من المازوت مقداراً يكفي لهذه العملية، فدعى «كوريتا» الى العودة، وتحرك الاسطول الياباني السريع شطر اليابان يجرجر اذيال الخيبة.

وفيما كانت الطائرات الاميركية تغادر ساحة القتال اثناء الليل كان الوقود ينخفض لديها بلا انقطاع، الأمر الذي ادى الى سقوط بعض الطائرات ونفاد الوقود لدى الطائرات الأخرى الآن بعض نقاط. واما «ميتشر» الذي تملكه القلق فقد راح يحسب حساب الوقت اللازم لهبوط الطائرات على سفح السفن خلال الظلمة، وهي عملية لم تكن لمعظم الطيارين بها اي خبرة، فاتخذ قراراً جريئاً، وأمر بإضاءة السفن، واطلاق الأسهم متعرضاً لارشاد الغواصات الى موقعه. ومع ذلك فقد بقيت الخسارة فادحة، اذ من جملة الطائرات الـ٢١٦ كانت ٢٠ طائرة فحسب قد اسقطت في المعركة، ولكن ٨٠ طائرة هبطت في البحر او تهشمت على سطح حاملات الطائرات. وفي اي حال، مكن انتشال الطيارين من الماء من تخفيض الخسارة في الارواح الى ٣٨ ضحية. وهذا، لعمري، ثمن زهيد للمعارك البحرية بالنسبة لمن ينتصر فيها، اذا ما قيس بالمذابح البرية.

صحيح ان الهزيمة البحرية قضت على مصير «سايبان»، إلا ان الاستسلام غير وارد في القاموس الياباني فاستمر الصراع على ضراوته المعهودة.

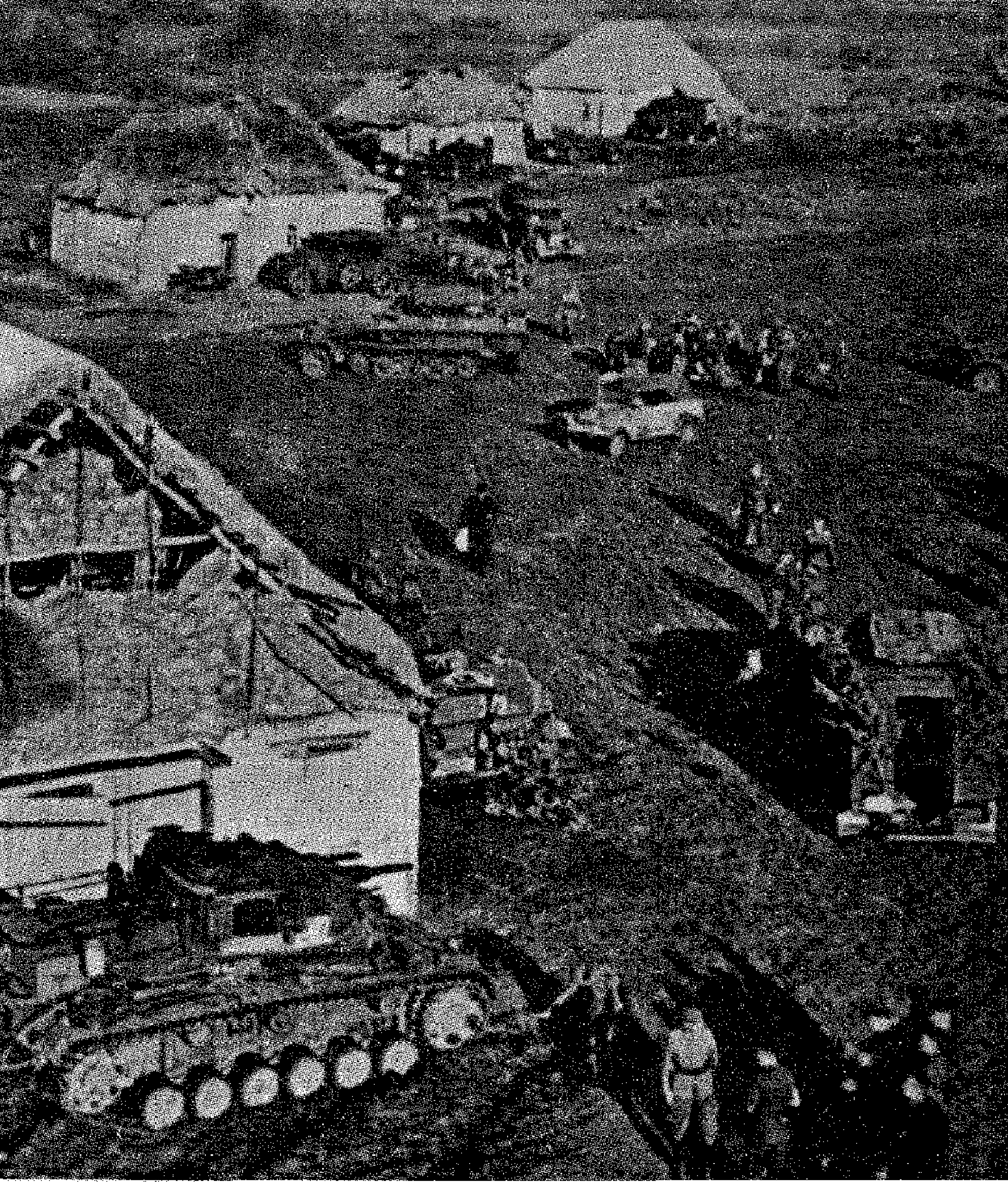
في ١٧ حزيران استطاع الاميركيون السيطرة على مطار «اسليتو» الرئيسي. وفي اليوم التالي ادركوا خليج «ماجيسيان» حيث راحوا يطهرون جنوبي الجزيرة، فوضع «هولند سميث» الفرقة ٢٧ التابعة للجيش الاميركي بين فرقتي مشاة البحرية الخاضعتين لأمرته، وعطف خط هجومه بغية فتح الوسط

والشمال. كانت الفرقة ٢٧ بقيادة «رالف سميث» الذي جعله «هولند» مسؤولاً عن النتائج الضعيفة التي حققها رجاله في الخط الممتد عند اصل جبل «توبوتشاو»، وهو الخط الذي يطلق عليه اسم: «وادي الموت». ثم ما لبث ان عزله من منصبه بعد موافقة «تورنر» و«سبروونس»، مستبدلاً به احد رجال مشاة البحرية الجنرال جارمان. ولسوف ينشأ عن هذا التدبير الحازم نزاع حاد سيمتد الى مجالي السياسة والصحافة، فيغذي حملات انصار «ماك آرثر» الذين كانوا يطالبون باسناد قيادة المحيط الهادىء كاملة الى رجلهم العظيم. ولقد ثبتت موضوعياً صعوبة استخدام فيلق مشاة «البحرية» ووحدات الحرس القومي العامل كفرقة المشاة ٢٧، جنباً الى جنب، فالمستوى العسكري بينها بالغ التفاوت.

لقد بلغ اليابانيون ادنى درجات الضعف والوهن، اذ لم يبق لهم مدفع واحد، وأفواجهم لا يضم الواحد منها اكثر من ٣٠٠ رجل في احسن الأحوال، وهم يفتقرون الى الماء، اما الاميركيون فهم يتقدمون تحت غطاء هائل من النار. مستخدمين قاذفات اللهب لتطهر المغاور، ساحقين اي مقاومة بواسطة الطائرات وقنابل البوارج. وبعد استيلائهم على جبل «تابوتشاو» انصرفوا الى احتلال «غازبان»، عاصمة الجزيرة الصغيرة، الأمر الذي دفع «ساثيو» الى اصدار الأمر بشن هجوم انتحاري ليل ٧ - ٨ تموز، إلا انه عمد قبل ذلك الى قطع شريان معصمه بسيفه. ثم اجهز عليه ضابط الخدمة بطلقة مسدس. وفي مغارة مجاورة عمد الأميرال «شوبشوي تاغومو»، بطل «بيرل هاربور»، الى الوسيلة عينها واضعاً حداً نهائياً لحياته.

كاد الهجوم الياباني يضم كل اليابانيين دون ان يكون لمعظمهم غير حراب او مدى مغروسة بالقصب «لقد تمكنوا اثناء الليل من السطو على بطاريتين مدفعيتين، وشردوا كتائب عدة، مما أثار الذعر في نفوس الاميركيين. فأخذوا يلقون بأنفسهم في البحر جماعات جماعات، واجتازوا بحيرة «المرجان» ولجأوا الى صخر «تاناباغ» حيث اقبلت المدمرات عند الفجر لالتقاطهم. واخيراً تمكنت المدفعية والدبابات من إبادة الشراذم اليابانية حتى الرجل الأخير فبلغ عدد الضحايا ٤ آلاف مقابل ٤٠٦ اميركيين.

في ٢١ بدأ الهجوم على «غوام» بنزول مزدوج قامت به فرقة مشاة البحرية الثالثة واللواء الاحتياطي الأول. وبعد اربعة أيام من بدء هذا



• دبابات المانية تستعد للهجوم.

الهجوم بوشر الهجوم ايضاً على «كينيان» وقد قامت به فرقة مشاة البحرية الرابعة. وفي غضون اسبوع واحد تم فتح هذه الجزيرة بعد ابادة رجال الحامية البالغ عددهم ٨ آلاف رجل إبادة كاملة. أما «غوام» التي تتميز بالوعورة والسعة، فقد استوجبت مزيداً من الوقت ومزيداً من المعارك، الى ان قضي على المقاومة فيها في العاشر من آب باحتلال جبل «سانتا روزا» وقتل «اوباتي» قائد الجيش الياباني الحادي والثلاثين إلا ان جماعات من اليابانيين الذين ابوا الأستسلام لجأوا الى ادغال «غوام»، لكن ذلك لم يغير في الأمر شيئاً. فحزام أمن اليابان قد خرق وباتت طوكيو بمتناول طائرات «ب - ٢٩» الاميركية، وقد تم ذلك بعدما دفع الاميركيون ثمناً لاحتلال جزر «الماريان» ٢٣٧٩٥ رجلاً بين قتيل وجريح ومفقود، وهو، في الواقع، عدد ضخم بالنسبة لحملة ضمت ١٥٠ الف رجل.

معركة النورماندي

• مدنيون المان يفرون بعد غارة جوية حليفة.



الوضع رديء في « مانس ». والجيش السابع وفر للقوات الاميركية فرصة تدمير افضل وحداته الآلية الكبرى. ولدى انكفائه في الاتجاه الجنوبي الشرقي متجاهلاً ما بلغه من اوامر صريحة حازمة، فقد اتصاله بالشاطىء، وفتح ثغرة في الجدار الذي كان يحصر الاجتياح في الآجام النورماندية بمنتهى الصعوبة. وغدا اخشى ما تخشاه القيادة الالمانية العليا، وهو وصول القوات الآلية المعادية الى ارض حرة طليقة، أمراً واقعاً ناجزاً.

والواقع ان « فون كلوغي »، ما أن علم بثغرة « افرانش » حتى هرع الى مقر قيادة الجيش السابع حيث صب جام غضبه على المنفذين، وكان على يقين من ان الجبهة متصدعة حتماً، هنا او هناك، عاجلاً ام آجلاً. وكان قد أحال الى قيادة الجيش العليا المذكرة التي وقعها « رومل » قبل اصابته بجرحه، والتي دارت على استحالة متابعة القتال، وطلب مقابلة الفوهرر ليعرض عليه الجلاء عن فرنسا حتى « السين » على أقل تقدير، فرفض هتلر استقباله كما رفض العودة الى الجبهة الغربية زاعماً ان حالة اذنيه لا تسمح له بركوب الطائرة.

كان هدف « كلوغي » من تسلمه ادارة الجيش السابع التكتيكية بنفسه سد ثغرة « افرانش »، ولذلك لم يحسب حساباً لتخطيه حقوق « هاونسر » دون ان يجرؤ على تنحيته عن قيادته. ثم اوعز الى الجنرال « فاهر جاشر » قائد الفيلق ٢٥ بان يقيم حاجزاً على طول خليج « مون - سان - ميشال ». كانت القوات المرابطة في « بروتانيا » تعاني من فصل افضل عناصرها عنها



• الجنرالان « باتون » و « برادلي ».

ابتداء من فرقتي المظليين ٣ و ٥ مروراً بفرق المشاة ٧٧ و ٢٧٥ و ٣٥٣ غير ان « كلوغي » قد رأى ان من حقه ان يضعفها حفاظاً على المهمة الأساسية التي اشارت اليها مذكرة قيادة الجيش الألماني العليا الأخيرة اذ قالت: « مصير الحرب رهن بحصر الغزو في « النورمندي ».

ولكن سبق السيف العذل! فقد ساعد الاهمال الالماني على تسليم الاميركيين منفذاً للخروج من المقاطعة التي كانوا يشقون فيها وينزفون منذ ٦ حزيران. فلما ان استولوا على « افرانش » في ٣١ تموز حتى انطلقت احدى طلائع الفرقة المصفحة الرابعة الى جسر « سيلون » الذي يبعد عن جنوبي المدينة ٦ كيلومترات الذي عبرته القوة التابعة للكولونيل « كلارك » عند الساعة السابعة مساءً واتخذت على الضفة الثانية من النهر الجاري تحت الجسر ما يلزم من التدابير للدفاع عن قرية « بونتوبول ».

في اليوم التالي، وكان الأول من آب، عاد « جورج باتون » الى المسرح قائداً للجيش الثالث وكان « باتون » هذا قد انتظر على غير طائل في « انكلترا » حتى ٦ تموز معززاً بذلك اعتقاد الألمان بأن النزول الحقيقي لم يجن بعد، الا انه حصل على اذن بعبور « المانش » مع اركان عامة صغيرة وكان مكلفاً بمهات صعبة ومتعددة مثل مراقبة الفيلق الثامن وقد طلب اليه ان يبقى في الخفاء لإطالة امد الحياة. وكانت الصفعة المشؤومة التي وجهها للجندي « بينيت » في صقلية والتي اوغرت صدور الأمهات الاميركيات حقداً عليه لا تزال عبئاً على وضع « جورج باتون » ولقد وعده « ايزنهاور » بان يسند اليه قيادة جديدة على الرغم من هذا الاعتبار مقابل تعهده بان يتذرع بالصبر قبل ان ينبس بأي كلمة، وبأن يتمالك نفسه اذا ما شعر بدنو الغضب. ولقد كان « باتون » جديراً بأن يجثو متضرعاً في سبيل الحصول على سانحة لخوض القتال.

كان مخطط غزو « اوروبا » ينص على ايجاد مجموعتي جيوش بتجزئة الجيشين اللذين اشتركا في النزول جزئين: المجموعة ٢١ وهي تضم الجيش البريطاني الثاني والجيش الكندي الأول، والمجموعة ١٢ المؤلفة من الجيشين الاميركيين الأول والثالث، المجموعة الأولى بقيادة « مونتغمري » والثانية بقيادة « برادلي » وكان قواد الجيوش هم « السير مايلز دمبسي » و « كريرار » و « هود جيز » و « جورج باتون » الأصغر.

كان من المعلوم ان « مونتغمري » سيشرف على العملية بمجملها، كما يستلم





• ملصقات في هولندا وبلجيكا تعبر عن معاناة المدنيين من الغارات الجوية.

قيادة مجموعة جيوشه بانتظار ان يتسلم ايزنهاور القيادة المباشرة لقوات الحملة في ايلول، كما هو متفق عليه مبدئياً. إلا ان مونتغمري كان يبدي امتعاضه من هذا الحل الانتقالي انطلاقاً من النظرة التي كان يكونها عن ايزنهاور، فهو يصفه بالشخصية الساحرة والمنسق البارع، «ولكنه ليس بالرئيس الجدير بالرئاسة» على حد قوله في المذكرات التي كتبها صديق مونتغمري «آلان بروك». وكان مونتغمري يرمي بان يكتفي ايزنهاور بالقيادة الاسمية، في حين يتولى هو بنفسه القيادة الفعلية.

في ٢٣ تموز باشرت المجموعة البريطانية للجيوش نشاطها في حين كانت مجموعة الجيوش الاميركية لا تزال جامدة بسبب بعض الأمور التنظيمية، وما لبث ايزنهاور ان فرض سلطته على برادلي محدداً له الأول من آب حداً اقصى لولادة مجموعة الجيوش ١٢، على ان يحتفظ الجيش الأول الاميركي المؤلف من ٢٢ فرقة قوامها مليون رجل

بالفيالق ٥ و٧و١٩، مع اكبر عدد من الفرق والدوائر والأركان العامة الأكثر أهميــة، وضمــت الى الجيش الثــالــث الفيالق ٨ و١٢ و١٥ و٢٠، ولكن لم يكن لهذين الفيلقين الأخيرين في فرنسا غير اجزاء، وكان الفيلق ١٥ قد ولد منذ امد قصير. والفيلق الوحيد الذي كان جاهزاً بالفعل هو الفيلق الثامن الذي كان يضم الفرقتين المصفحتين ٤ و٦، وفرقــتي المشاة ٨ و٧٩، فــألقــى «باتون» بهما في الثغرة، وقد أقام مع مونتغومري رهــانــاً قيمتــه ٥ لــيرات سترلينية على انه سيكون في «بريست» يوم السبت المقبل.

كــانــت طريــق «بونتورسون» هي المعبر الوحيد، وكان هذا المعبر يتمثل في جسر «بونتوبول» الذي يبلغ عرضه خمسة أمتــار فتــدفــق عــبره سيــل من الآليات على انواعها، مضاءة المصابيح وكأنها لا تخشى الطيران. وقد اهملت قواعــد المسيرة كــافــة، الا ان الجيش الأميركي ما لبث ان خرج من الوهن الشديد بعدما اشرقت شمس تموز في اعقــاب الأمطــار وحرب السيــاجــات القاهرة.

كــانــت اوامر «بــاتون» بسيطــة للغاية: الفرقتان المصفحتان ٤ و٨ باتجاه «رين»، والفرقتان المصفحتان ٦ و٧٠ باتجاه «بريست». واذ التقى «باتون» صديقه «بوب غرو»، قائد هذه الوحدة الأخــيرة الــذي كــان ينظم بنفسه سير العناصر على طريق «بونتورسون» شد على كتفه بيده الفولاذية وقال له: «خذ بريست!» واذ اعترض «غرو» قائلاً ان ٤٠٠ كلم تفصله عنها اجابه «باتون»: «لا اخالك تتركني افقد الليرات الخمس التي راهنت بها مونتغومري».

لقد حسب القيمون على مخطط غزو اوروبا حساب حملة شتائية في فرنسا، اذ كان على الجيوش الحليفة ان تحل في كــانون الثــاني عــلى خــط «ايفيــل - اميانس - لاوون - ريمس - تروا»، فلا يمكن بالتالي ان يتم تحرير اوروبا الغربية قبل الصيف التالي. وفي هذا المخطط كانت «بروتانيا» عتبة هذا الغزو، وكانت اعمال ضخمة قد اعدت لتحسين مواصلاتها الفاسدة، وقد نظر في بنــاء مرفــأ كبــير في ظــل رصيــف «كيبورون» الطبيعي. وكــــان عــــلى الجيش الثالث بكامله ان يجهد في غزو شبه الجزيرة الارموريكانية في الوقت الذي يقوم فيه الجيش الأول المنبسط نحو «اللوار» بحماية جانبه.

بيد ان الأفكار تتطور والجرأة تسير قــدماً. واما مونتغومري الــذي كــان متورعــاً في مخططــاتــه، جريئــاً في استراتيجيته فقد كان السباق الى رؤية جــادات أسرع الى النصر. وكــانــت

● مصفحات
تعبر « أرجنتان



● الجنرال « باتون »
في سيارة عسكرية.

المرحلة البروتانية تبدو له من دون جدوى، وقد بدا له ان استخدام جيش مؤلف من ٤ فيالق في وجه فرق المانية هرمة اربع امر لا مبرر له. وكان «باتون» يفكر بالطريقة نفسها، وكان افضل مرؤوسي «باتون يفكرون على طريقة قائدهم، وكان الجنرال «جون س. وود» قائد الفرقة المصفحة ٤ قد وصل امام «رين» منذ عشية الأول من آب، واذ وجد المدينة محمية استدار حولها، ولكنه، بدلاً من ان يسير باتجاه «فان» و«لوريان» وفقاً لأوامره سار على الجير. وبعدما دعاه قائد فيلقه «ميدلتون» للاتجاه الى «موربيهان» أطاع مرغماً وهو يقول: «ليس «لوريان» هو الموضع الذي ينبغي ان اذهب اليه، بل «شارتر» فالخطة والوحي يقفان ههنا وجهاً لوجه. واما المناورة التي ستعجل في خاتمة معركة فرنسا فقد انبثقت في الساحة نفسها نتيجة لاصطراع الواقعين الفكريين هذين.

في ٣ آب جاء في يوميات مونتغومري: «انني ابعث بالفيلق الاميركي الثامن بمفرده الى بروتانيا. ان في الأمر لمبالغة». فلقد تقدم في اتجاه «رين» جزء من فرقة المشاة الثامنة، ولم تطأ أرض بروتانيا عجلة واحدة من عجلات فرقة المشاة ٧٩ التي استدارت نحو «لافال» و«لومانس»، وكانت الفرقتان المصفحتان الرابعة والسادسة هما الوحيدتان اللتان توغلتا غربي خط «سان مالو - سان نازير»، حيث وجدتا بعض المشاة وعددهم ٢٠ الف جندي فرنسي تابعين للكولونيل «ايون» الذي هبط بالمظلة في فرنسا قبل ٦ حزيران، ولقد تحرر تسعة اعشار المنطقة تلقائيا، فأشرعت الأبواب ودخلت الدبابات الاميركية المدن.

في ٣١ تموز القى هتلر خطاباً نازياً دعا فيه الى اعلان الموانىء الفرنسية اماكن حصينة. دنكرك، كما كاليه وبولون، ولوهافر، وبريست، وسان مالو، ولوريان، وسان - نازير، ولاروشيل، وزويان. وقد علل هذا الاعلان بأن القوات التي تحتل المرافىء كانت مهددة بدمار اكيد اذا ما خاضت القتال في الساحات المنفتحة، ولذلك عليها ان توصد ابواب اوروبا البحرية، وان تحتفظ بالقواعد التي يمكن لحرب الغواصات ان تنطلق منها من جديد بعد انزال طراز ٢١. وبعدما خاب امل الفوهرر عند سقوط «شيربورغ» السريع، امر بأن يحقق في اوضاع القادة، وبأن تدرس حالتهم العقلية فأقال بعضهم، وجعل الآخرين يؤدون قسماً خاصاً. وبناء لهذا الأمر الهتلري قامت العناصر المشتقة في الفيلق الالماني

٢٥ بالتراجع الى المرافىء، بدلاً من ان تحاول الافلات باتجاه الشرق. ولو ان الجرأة والثقة كانا اكثر فعالية لدى الجنود الفرنسيين لتمكنوا من الاستيلاء عنوة على «لوريان» ولكن السانحة افلتت من ايديهم، ووصلت الفرقة المصفحة السادسة امام «بريست» في السابع من آب، ولكن لم يكن لديها الامكانات للإغارة على موقع هام كذاك. وبذلك خسر «باتون» رهانه! وكان حصار سان - مالو هو الحصار الوحيد الذي بوشر فيه للحال بواسطة مجموعة قدمتها فرقة المشاة ٨٣ وبنحو ١٢ الف رجل لم يعرف الكثيرون منهم بندقية من قبل، قام الكولونيل «اندرياس فون اولوك» بالتمركز على ضفتي مصب «الرانس»، واذ تلقى انذاراً أخيراً يطلب منه الاستسلام، أجاب بانه سيدافع عن سان - مالو حتى آخر حجر فيها.

لقد انحرف زحف «باتون» نحو الشرق دون ان يلقى امامه أي اثر للعدو، لا في «البيرش» ولا في «المين». باستثناء الحواجز المهملة والمخربة، او بعض جنود التموين الذين يقعون في الاسر مهللين لانتهاء الحرب، وراح المدنيون ورجال الدرك والعصاة يقودون الارتال ويمحون ما علق في نفوس الاميركيين من انهم يحررون الناس مكرهين، وهو انطباع قد خلفه استنكار القرويين الذين غاظهم الا تحترم القنابل الابقار والماشية. ففي «لافال» مثلاً، حيث كانت كتيبة المانية تدافع عن الجسر قاد رجال الشرطة البلدية الاميركيين الى احد سدود «المايين»، ووصلت فرقة المشاة ٧٩، المنقولة من الفيلق الثامن الى الخامس عشر، الى «مانس» في الساعة ١٧ من يوم ٨، قبل الفرقة المصفحة الخامسة التي طفقت تتقدم على محاذاة ضفة «السارت» اليسرى. وقد كانت المدينة الكبيرة لساعات خلت، وهي عقدة المواصلات غربي فرنسا، مقر اركان الجيش السابع الاميركي ومستودعه المركزي. اما مجموع الفيلق الخامس عشر الذي يقوده الميجر جنرال «واد هـ. هايسليب» فقد بلغها بعد اجتيازه جسر «بونتوبولت» في اقل من ٤ ايام.

تحققت نبوءة هتلر هذه المرة، ففي الارض العراء وتحت حماية تفوق جوي ساحق زود تحريك الآليات الشامل الجيش الاميركي بالاجنحة، ووفر له قدرة على التحرك شبيهة بالتي عرفتها فرق الدبابات الالمانية عام ١٩٤٠. وقد اغرى هذا التشابه القواد الحلفاء بمحاولة تطويق القوات الالمانية في «النورماندي»، كما سبق لروندشتاد

وبوك ان طوقـــا القوات الفرنسيـــة البريطانية في « الفلاندر » وسرعان ما خطر هذا الاحتمال المثير لباتون الذي تغذت حاسته الستراتيجية بدرس عميق للتاريخ العسكري، وهو المدرسة الكبيرة الوحيدة التي تخرج القواد الكبار، ولذا قال « لهايسليب »: « لا يأخذنك العجب اذا ما تلقيت امراً بالسير نحو الشمال - الشرقي، وحتى ناحية الشمال »..

هنالك شبه آخر أخاذ بعام ١٩٤٠، الا وهو ضيق الممر الذي توغل فيه الزحف الآلي. فيوم اندفع على جسر « بونتوبولت » لم يكن عرض الثغرة يبلغ ١٠ كيلومترات، والجبهة الالمانية لم تمزق الا في طرفها الايسر، اما في ما عدا ذلك فقد تعرضت لضغط شديد لم تثبت امامه الا متكبدة خسائر لا تطاق على المدى الطويل، ولكنها كانت في الوقت الحـاضر، لا تزال صـامـدة. فـالجيش الكندي الاول لم يتمكن من الخروج من ضاحية « كين » الكبيرة، وصد الجيش الـبريطـاني الثـاني امـام « فيليـه - بوكاج »، ووقف الجيش الاميركي الاول يراوح بين « ثوريبني » و « فيل ديو - لي - بول ». امـا جولـة بـاتون فقـد كانت على غرار جولة غوديريان عقب « سيدان » اشبه بغارة منها باستثمار لنصر، وقد دعت الى ردة الفعل نفسها التي خطرت لـ « غاملان » و « فيغان »، عام ١٩٤٠، الا وهي سد الثغرة. فبينا يكتشف الحلفاء احتمال تطويق العدو ركز الالمـان تفكيرهم عـلى خنـق الممر المفتوح عبر خطوطهم وايقاع العناصر التي اجتـازتـه في الاسر. وهكـذا ايقن « هتلر » بأن مفتاح النصر في الغرب قد بات في متناول يده، اي انه قد غدا قادراً على قلب مجرى الحرب رأساً على عقب.

ولعل ما غـذى تفاؤله ايضاً هو الوضع الذي تصور الجيش الاميركي انه متـردد فيـه. فقـد تـأبط دراسة وضعها « فون نوراث » وصـف فيهـا الجيش الامـيركي « جمع هـائـل الفوضى ». وراح يعرضهـا كتميمـة او طلسم. فالجنود، وقد انخرطوا في الجيش سعياً وراء المال، ومن غير ان يكونوا على بينة ما من اجله يحاربون، جبناء لا مروءة لهم، امـا الضبـاط فجـاهلون حمقى. واضاف « هتلر » زاعماً انه ليس من جيش الا وقد تأصلت جذوره في الارض، في حين ان ما من احد يجهل ان الاميركيين قد اجتثوا من ارضهم، وان هزيمـة نكراء هـاصرة تفقـدهم عنادهم لكافية لجعلهم لقمة سائغة في افواهنا.

وصل الجنرال « فارليمونت » مساعد « جودل » الى « لاروش » - غويون » لمراقبـة الاستعـدادات القـائمة للهجوم

المعاكس الذي سيشطر الزحف شطرين. ولقد اضاف هتلر الى التعليمات التي زوده بها شخصياً الملاحظة التالية: «قل للفيلد مارشال الا ينظر الى الوراء، بل الى الامام..» ذاك ان شبهة متزايدة الثقل قد احاطت بـ«فون كلوغي»، وما ذلك غير ظاهرة خاصة فريدة لحمى الحقد التي اثارها يوم ٢٠ تموز في صفوف النازيين. فقد اعلن الرايخ «شليتر لي» رئيس جبهة العمل ان هيئة الضباط بمجملها مسؤولة عن محاولة الاغتيال وان على الشعب الالماني ان يثأر من الطبقة الارستقراطية بكاملها.

لقد اصر «هتلر»، على حشد اضخم الوسائل الممكنة من اجل تحقيق مشروع جريء وحاسم كاخضاع عنق «افرانش». فعلى جيش الدبابات الخامس ان يحل محل فرق دباباته الخمس فرقاً من المشاة يتم الاتيان بها من شمالي «السين»، وتنقل الى ناحية «مورتان». واستدعي الفيلق المصفح ٥٨ الذي لم يبق منه سوى فرقة الدبابات التاسعة من جنوبي فرنسا. وباضافة هذه الفرق الى الفرق المصفحة المسجلة لحساب الجيش السابع يصبح المجموع عشر فرق، وهو العدد الذي كانت عليه في ايار ١٩٤٠، وهكذا تبين على الخارطة ان كتلة عظيمة من الفولاذ ستحطم الممر الضيق الذي يصل جيش باتون المتهور المنفتح بشكل مروحة، بالقواعد النورماندية.

بيد ان اللوحة كانت مصطنعة زائفة، لأن التحركات التي اوعز بها هتلر صادفت عقبات كأداء لا يمكن التغلب عليها، فالفيلق ٥٨ اصطدم بشبكة من التخريب والحواجز جعلت وصوله في الوقت المناسب امراً مستحيلاً، وأخرت الهجمات التي تعرضت لها خطوط المواصلات سير فرق المشاة المكلفة بالحلول محل الدبابات، فلم تتمكن واحدة منها من عبور «السين» في ٦ آب. وبدلاً من الفرق المصفحة الخمس المفروضة لم يستطع الجيش الخامس ان يقدم غير واحدة اتلفتها معارك لم تنقطع طوال شهر. واخيراً، وبعد فناء فرقة «الفبزرليهر»، لن يتيسر الا لأربع فرق مصفحة ان تشترك بمناورة «افرانش» الكبيرة، مع العلم بأنها لا تضم اكثر من ١٥٠ دبابة او مدفع ذاتي التحرك.

اما في الجانب الأميركي فقد تدخل برادلي الحذر ليدعم جانب ثغرة «افرانش»، ففصلت فرقة المشاة ٩٠ من الجيش الثالث وكلفت بالاستيلاء على «سان هيلير - دو - هاركويه» الواقعة على مدخل فجاج «سيلون» وهي الفرقة التي تبين انها غير صالحة للاستعمال في موقعه «كوتنتان» والتي

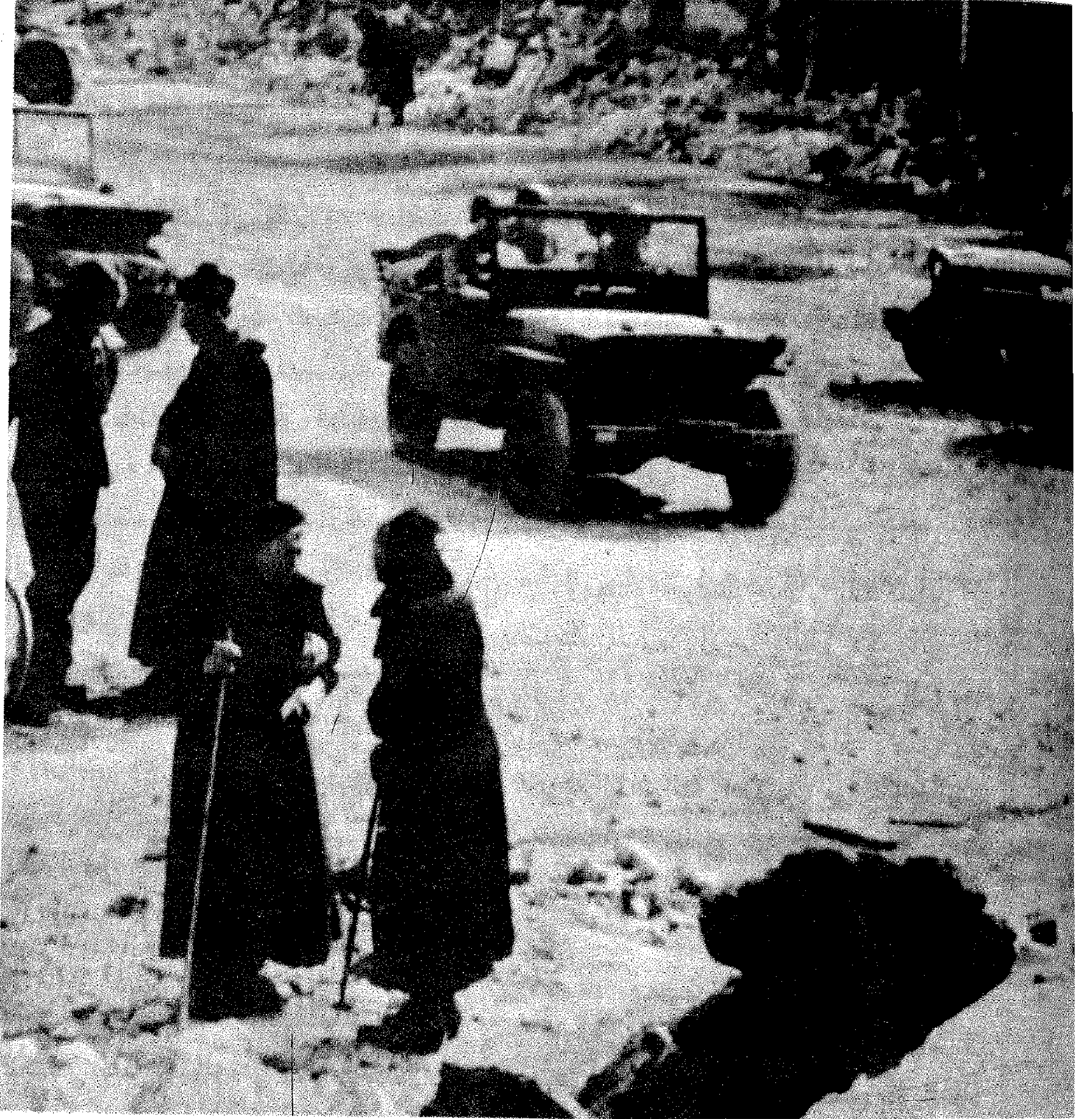
جرى البحث في حلها. ولكن اندفاعها هنا قد اثار الاعجاب، فقامت بالمهمة الموكولة اليها ووسعت الممر، وتحركت كتلة الجيش الاول كذلك من على يسارها، فاستولى الفيلق ٧ على «مورتان»، ولم يصادف غير مقاومة المانية واهية. اما الفيلقان ٥ و١٩ فقد خاضا معركة طاحنة شبيهة بمعركة «كوتنتان» الا ان القوات الاميركية قد الفت الحرب واشتد بها بأسها ومراسها. ومع ان الدبابات كانت قد سحبت من المعركة، لأن الميدان لا يمكن من استخدامها، استولى فوج المشاة ١١٦ على المرتفع رقم ٣١٩، وتسلل داخل مدينة «فير» المنكوبة المتهدمة التي استمر العمل على اخضاعها في اشتباكات تسارعية ضارية.

وهكذا، فيما كان «كلوغي» يستعد للبدء بهجومه شهد قواعد انطلاقه تنتزع منه! كان في اتصالاته الهاتفية اليومية بقيادة الجيش الالماني العليا يطلب ان يسمح له بمباشرة الهجوم ودونما ابطاء، فمصفحاته مختبئة شرقي «مورتان» في غابة «لاندبوري»، وهو مع ذلك كان يخشى ان يكتشف الطيران الاميركي مكمنها فيدمرها قبل ان تسنح لها فرصة القتال، فكان هتلر يجيب بأن حشد القوات لم يكن بعد كافيا، ويزيد جودل على ذلك فيقول انه كلما زاد



عدد الاميركيين المتوغلين في حمى «افرانش» زاد عدد الاسرى!.

حدد موعد الهجوم في السابع من آب، وكان ينبغي ان يكون بقيادة الجنرال بارون «فون فونك»، قائد الفوج المصفح ٤٨. وفي اليوم السابق ابلغ هتلر فون كلوغي هاتفياً انه بعث



• في فرنسا كما في روسيا وبولونيا.. انقاض ودمار..

اليه بـ ١٤٠ دبابة اضافية، وانه يصر على تنحية «فونك» ليحل محله قائد الجيش الخامس المصفح، «هنريك ايبرباخ»، فما كان من كلوغي الا ان ابدى احتجاجه على اساس ان ما يطلبه

هتلر من شأنه ارجاء الهجوم ٢٤ ساعة على الاقل يتسع فيها المجال لكل احتمال خطير. هذا، مع العلم بأن مركز الرصد الجوي يتنبأ للغد ضباباً كثيفاً يضاعف الحظ الالماني بتعذر تدخل الطيران

الحليف. فاضطر هتلر الى ان يلين في النهاية، وظلت الساعة الكبرى على موعدها، وهو الساعة الصفر من يوم ٧ آب.

لم تكن الخطة معقدة، فالخط الامامي يتألف من ثلاث فرق مصفحة هي فرقة الدبابات الصاعقة ١١٦ الكائنة امام «سورديفال» وفرقة الدبابات الثانية امام «سان بارتيليمي»، وفرقة الدبابات الصاعقة الثانية امام «مورتان»، وتقف فرقة الدبابات الصاعقة الاولى في النسق الثاني على اهبة الاستعداد لاستغلال اي ثغرة يمكن ان تحصل. اما الامر المفروض فهو الانقضاض المباشر على «إفرانش»، لم تكن لـ«كلوغي» اي فكرة عما سيفعله بعد ذلك، اما هتلر فكان على يقين من ان الذعر سيستبد بالحلفاء، وان الحشد الالماني الظافر سيكون في مقدوره الاستدارة نحو الشمال لاسقاط جبهة العدو بكاملها، وربما تمكنت العناصر الموجودة في النورماندي من الافلات باقصى سرعة، اما ما خرج منها من المقاطعة فسيدمر تفصيلاً.

غير ان الهجوم كان يفتقر الى الانسجام، ففي الشمال لم تتحرك فرقة الدبابات الصاعقة ١١٦ التي يقودها الجنرال كونت «شفيرن» المناهض للنازية، وفي الوسط تمّ وقف تقدم فرقة الدبابات الثانية عند قرية «مينيل آديلي»، وفي الجنوب اطلقت مدفعية الفرقة الاميركية ٣٠ نيرانها ليلاً بعدما تناهت اليها جلبة دبابات، الا ان فرقة الدبابات الصاعقة الثانية اقتحمت الحواجز وطوقت كتيبة تابعة لفوج المشاة ٢٠، ثم اجتازت خرائب «مورتان» باتجاه «سانت - هيلير - دوهاركويه»، وما كاد الفجر الضبابي الداكن يبزغ حتى كانت الفرقة تبلغ منتصف الطريق.

وفجأة تحولت السماء الدكناء الى صافية الزرقة الامر الذي دفع الرجال فوراً الى اخفاء دباباتهم في الدروب المنخفضة وتمويهها بالاعشاب قبل ان تحلق الطائرات الحليفة فوق الطريق. وحتى عودة الليل بقي كل شيء جامداً في الخطوط الالمانية، في حين ان الاميركيين عمدوا الى تقديم احتياطيهم واعداد عدتهم، كان هتلر قد وعد بغطاء جوي مؤلف من ٣٠٠ مطاردة الا ان واحدة منها لم تحلق في السماء النورماندية.

وفيما كان كلوغي مقتنعاً بأن موقعة «افرانش» قد بلغت الفشل كان هتلر يرفض ان يقتنع بهذا الواقع محملاً كلوغي مسؤولية «عدم النجاح»، ومؤكداً بأن الهجوم سيتكرر، ولكن بقيادة «ايبرباخ» هذه المرة، اما تعيين موعده

فيعود الى هتلر نفسه. وفي هذه الأثناء كـان الجيش الكنـدي الثـاني يستبـق الزحف الالماني الجديد على «افرانش» في ليل ٧ - ٨ آب يقوم بعملية جنوبي «كين» تستهدف «فاليز». وقد مضت الليلة الاولى بنجاح باهر، ولما لاح الفجر كـانـت «تيـلي - لاركنبـان» المحاصرة لا تزال تقاوم بعناد في حين ان قرى عـديـدة مثـل «روكنكور» «وكرامينيل»، و«سانت - ايتيان» كانت قد سقطت. ومن اجل استغلال هـذه الثغرة الـتي راوح عمقهـا بـين ٤ و ٥ كيلومـترات، دخلـت الميـدان فرقتان مصفحتان هما الأولى الكندية، والأولى البولونية.

في هذه الاثناء طلب «ايبرباخ» العون فجاءه الخبر من كلوغي معاكساً اذ أبلغه هذا الاخير ان الفوهرر قد سحـب فرقتـين مصفحتـين من جبهـة «كين»، وان عليه، اي ايبرباخ، ان يترك جيشه المهدد بالخطر لكي يأتي فيقود الزحف على «افرانش»، وهكذا باتت اوامر هتلر تهدد الميمنة بالانهيار قبل ان تتمكن الميسرة من الهجوم.

لكن النهار لم يكن مؤاتياً، كالليل، بالنسبة للبريطانيين، الى حد ان الفرق البولونيـة تعرضت لقصف الطـائرات الامـيركيـة خطأ، فمات منهـا رجـال كثيرون، فتـابـع الزحـف سيره ولكن ببـطء حـتى خـارت قواه عـلى بعـد ١٠ كيلومترات من «فاليز».

أثار شبه الفوز الدفاعي هذا تفاؤل هتلر. ففي حين كان يصر على ارجاء الزحـف الاول عـلى «افرانش» راح يثور ويغضب لطلبات التأجيل المتعلقة بالزحف الثاني. لقد تضامن ايبرباخ وكلوغي ليبرهنا له ان موعد ١١ آب غير عملي اطلاقاً، وان الـدبـابـات البـالـغ عددها ١٢٤ (من بينها ٤٧ دبابة من طراز «تيغر») لا تفي بالمهمة المطلوبة، ثم طالبا بالمزيد من النجدات معلنين انهما لن يتمكنا من الهجوم قبل ٢٠ آب.

وفـيما كلوغي منصرف الى منـاقشة رتنبورغ في الوسيلة التي من شأنها ان تشطر الزحف شطرين اذا به يعلم ان جيوشه النورمـانـديـة بـاتـت تحت رحمة التطويق.

كـان التهـديـد الـذي تعرضت لـه «افرانش» قـد طرح عـلى القيـادة الحليفة مشكلة عويصة: أكان عليها ان تعيد باتون ادراجه من اجل الابقاء على صلته بالشاطىء النورماندي؟ ام انهـا تجازف بقطـع حبل سدة الجيش الثـالـث الموقـت؟ لقـد قرر ايزنهـاور صبيحة اليوم الذي اخذت فيه الدبابات الالمانية تدنو من «سانت - هيلير - دو - هـاركويه»، ان يعتمـد جانـب

الجرأة المنطقية. فقد بلغت طاقة «مصلحة النقل الجوي» الفي طن يومياً، بحيث انه كان في المستطاع توفير حاجات الجيش الثالث الجوهرية مهما كانت الظروف، وباتت متابعة فتح فرنسا ممكنة على الرغم من المجهود الكبير الذي بذله هتلر لترميم جبهته النورماندية.

لقد تحول العناد الألماني الى فرصة سانحة للحلفاء من اجل تطويق الجيوش الالمانية وأسرها. وهكذا يمم باتون - الذي كان يستهدف «بريست» أولاً - شطر «الونسون» لا شطر «شارتر» مقوماً محور مسيرته بما يزيد على ٩٠ درجة حاملاً الدائرة التي بدأها منذ ثغرة «بونتوبولت» باتجاه اليسار الى ثلاثة ارباع مدارها. ومضى على ان يبلغ في تقدمه خطاً يمر في «كروج» و«سي» حيث يوافيه الجيش الكندي الأول القادم من الشمال مروراً بـ«فالیز» و«ارجنتان» فيغلق الملزمة...

وفيما كانت هذه المناورة الالتفافية قد بدأت، كان الجيش الثالث مشتتاً على مسافة ٤٠٠ كلم تمتد من رأس «فينيستير» الى ريف «مانس». فهو يقاتل على ابواب «سان - مالو» محدقاً بمدينتها القديمة المحترقة، وهو يقوم بحصار «بريست» فاصلاً من اجله فرقة المشاة الثامنة، وهو الى ذلك يسد منافذ «سان اكوريان» و«سان - نازير»، ويدرك نهر اللوار من «نانت» الى «انجيه»، ولكنه، مع هذا، يملك بسعة ما يلزمه من الحشود لتنفيذ مهمته الجديدة. فثلاثة من فيالقه جاهزة بكاملها، او بقسم منها: فالفيلق ١٥ الزاحف على «الونسون» يشكل مركز الثقل في العملية بكاملها، والفيلق الثاني عشر مستعد لتمديد عمله شرقاً، كما ان الفيلق العشرين على استعداد لحمايته عبر وصله بالجيش الأول بالقرب من «دونفرون»، وليس بين يدي الألمان لصد المناورة سوى بعض مفارز من جنود المؤخرات، والفيلق المصفح الثامن والخمسين الذي يضم فرقة الدبابات التاسعة وفرقة المشاة ٧٠٨ الوافدة من جنوب فرنسا.

لقد ازداد الفيلق الخامس عشر قوة بعد انضمام الفرقة المصفحة الفرنسية الثانية التي وطئت البر في الثالث من آب في خليج «مون - سان ميشال» وكانت بقيادة «لوكلير» الذي سار بمقدمته حيث انتزع جسور «الونسون» سليمة، وما لبث ان اجتاز غابة «ايكوف» وخرج عن طرقه المرسومة، فعرقل منطقة سير الفرقة المصفحة الاميركية الخامسة. لم تكن «ارجنتان» في المنطقة الاميركية، ولا في المنطقة الفرنسية، لأن فتحها ترك لكندي

مجموعة الجيوش الواحدة والعشرين، الا ان دورية فرنسية قد دخلتها نزولاً عند رغبة دركيين محليين، ثم ما لبثت ان انسحبت بعدما رفعت العلم الفرنسي، ولوقت قصير، على احدى نوافذ بيت المختار. وغدت «فاليز»، التي شن الكنديون هجومهم عليها من جديد على بعد ٢٥ كلم، اي ما يعادل مسيرة ساعتين بالنسبة للدبابات.

في ١١ آب رسم كلوغي امام هتلر حجم الخطر المحدق بالجيوش الالمانية، مقترحاً عليه سحب ثلاث فرق مصفحة من ناتئة «مورتان» بغية شن هجوم مضاد من الغرب الى الشرق على جانب الفيلق الاميركي الخامس عشر، فقبل هتلر المبدأ، وهو نادراً ما يقبل بفكرة اي انسحاب، لكنه راح يناقش التطبيق رافضاً التخلي عن الزحف على «افرانش» وغير سامح الا بتراجع محدود في منطقة «مورتان»، معتبراً ان مشروع مناورة المارشال كان متردداً ضعيفاً، فالواجب يقضي بتوجيه الهجوم صوب الجنوب الشرقي على «مانس» مباشرة لبتر ساق العدو عند اصلها. واذا ما أبادت الدبابات الفيلق الاميركي ١٥ استدارت ناحية الغرب وسارت على افرانش مروراً بـ«ماين» بالاشتراك مع القوات الباقية حول «مورتان».

كان التصور الهتلري يرتكز الى كثير من الأوهام، خصوصاً وان الفرق المصفحة التي يلقي بها في الميدان ليست سوى حفنة من الدبابات يقودها رجال منهكو القوى، وقد بات امر تموينها بالوقود عسيراً الى حد كبير، فضلاً عن ان قدرتها على التحرك باتت ضعيفة للغاية بالنظر الى سيطرة العدو على الجو، وهذا ما اكده ايبرباخ لهتلر في تقرير خاص، ومع هذا بقي الفوهرر رافضاً هذا الواقع والا كان عليه ان يسلم بهزيمة المانيا وانتحاره، بيد ان الغاية من هذا الرفض لم تكن ابعاد كأس الكارثة عن وطنه، بل لإطالة أيامه أطول ما يمكن.

بدأت الدبابات تغادر ناتئة «مورتان» ليل الثاني عشر من آب في محاولة لشن هجوم عام نحو منطقة «سي» خلال ليل ١٤ - ١٥ آب، لكن هذه المحاولة ظلت حلماً، اذ اضطر ايبرباخ منذ ١٣ لأن يعهد الى فرقة الدبابات الصاعقة ١١٦ المؤلفة من ١٥ دبابة فقط لا غير! امر الدفاع عن «ارجنتان». وفي الغد اضطرت فرقة الدبابات الصاعقة الأولى المؤلفة من ٣٠ دبابة فقذ لا غير! ان تفلت الجبهة من «كروج» الى «لافرتي - ماسي»، ثم قضت الحاجة على فرقة الدبابات الصاعقة الثانية المؤلفة من ٢٥ دبابة

فقط لا غير! بأن تصد الفرقة المصفحة الثانية امام «ايكوشي». اما فرقة الدبابات العاشرة، التي كان من المفترض ان تهب للنجدة، فلم تتمكن من القيام بالانتقال من «دونفرون» بسبب افتقارها الى الوقود، واما فرقة الدبابات التاسعة التي كان من المفترض ان تنضم الى قوات ايبرباخ فقد دمرها الفرنسيون عملياً في غابة «ايكوف» وفي «رستنبورغ» احتشدت حول خارطة الفوهرر مجموعة جبارة من الفرق المصفحة كي تنقض على جانب الجيش الاميركي الثالث المتهور. اما في «نورماندي» فقد انتشرت فئات من المحاربين بين «غاسي» و«فلير» تتمتع بقدرة على الصمود، الا انها عاجزة عن القيام بأي محاولة هجومية.

وفي ١٤ آب كررت مجموعة الجيوش ٢١ محاولتها فتمكنت من ابادة فرقة المشاة ٨٥ الالمانية، ومع حلول المساء كانت الفرقتان الكنديتان الثانية والرابعة على بعد ٧ كلم من «فاليز» التي قصفت بعنف لم يسبق له مثيل بحيث انه ازال كل اثر للشوارع هذا في حين ان البولونيين قد مدوا الزحف شرقي «الديف» ليزيدوا كثافة الحلقة التي تضيق وتضيق على الجيشين الألمانيين العالقين في الشرك.

لقد كان يوم ١٥ آب عام ١٩٤٤ اكثر ايام هتلر سواداً، وهذا ما اكده هو بنفسه بعد اسابيع من ذلك اليوم، ولكن القدر كان، على ما يبدو، يخبىء له أياماً أكثر سواداً.

في ليل ذلك اليوم انهال مظليو الفرقة الأولى المنقولة جواً الاميركيون والانكليز على «بروفانسا» كالسيل العرم. وفي الثامنة صباحاً هبطت ثلاث فرق اميركية بين «كان» و«هيير»، وبذلك تكون عملية «انفيل - دراغون» قد انطلقت، وهي العملية التي طالما ارجئت بسبب مناهضة تشرشل لها، الا ان الاميركيين كانوا يصرون على الابقاء عليها من اجل تحويل انظار الانكليز عن البلقان.

كانت القوات التي اشتركت في هذه العملية ناتجة اصلاً عن تجزئة جيش ايطاليا. ففي ٢٨ تموز انتزع الفيلق الاميركي السادس وفيلق الحملة الفرنسي من الجنرال «كلارك» بعدما كانا في اوج ملاحقتها، وبعد الاستيلاء على «ليفورنو» و«بيزا» و«سييني»، وقد اعيد الى جنوبي ايطاليا لكي يصار الى ابحارها من هناك شطر الساحل البروفنسالي. واما فرقة مشاة المستعمرات التاسعة، التي احتلت جزيرة «البا» في ١٧ و١٨ تموز، واما الفرقتان المصفحتان الأولى والخامسة اللتان تشكلتا في الجزائر، فقد جاءت للانضمام

الى القوات الفرنسية التي قسمت بدورها فيلقين ألّفا جيشاً واحداً فيما بعد. وأما «جوان» فقد زال عن مسرح الحرب العاملة ليحل محله الجنرال «دي لاتردي تاسيني» وذلك على الرغم من موقفه الباهر اثناء حملة ايطاليا. كان مناهضاً لعملية «انفيل»، معتبراً ان سهل «البو» كان المفتاح الستراتيجي للحرب وساحة القتال المثالية التي تقود الى «فيينا» و«براغ»، والى خط «الألب» في وقت يسير، بيد ان سياسة روزفلت السوفياتية قد قررت عكس ذلك دونما التفات الى الستراتيجية.

مع عودة هذا العدد الضخم من الجنود الفرنسيين الى ارض الوطن عادت موجة من العواطف والرعشات، الا ان الاستعدادات لم تكن مشابهة لتقلبات غزو اوروبا الا مشابهة طفيفة. ومع ذلك كانت الحملة بالغة الأهمية، وقد فرضت تحريك حوالي الفي سفينة انزال وسفينة نقل، إضافة الى ٣٠٠ سفينة حربية للمواكبة البحرية من بينها البوارج: «نيفادا»، «تكساس»، «اوكلاهوما»، وراميليز». وراحت القوافل تقترب من الشاطىء الفرنسي عبر ثماني طرق انطلقت من «وهران» ومدينة الجزائر، و«بنزرت»، و«باليرمو»، و«تارانتو» و«برنديزي»، و«نابولي»، و«كالفي». ولم يعتور العبور اي حادث سوى عارض طارىء في الساعة ٣,٤٧ بالقرب من جزيرة «الشرق» حين عكرت صفو الرحلة السفينة الالمانية «ايسكاربورت»، الا ان هذا التعكير لم يدم سوى برهة وجيزة تمكنت بعدها المدمرة «سوموز» من الاجهاز على «ايسكاربورت» بصلية واحدة. وفي هذا الوقت بالذات كان المغاوير الفرنسيون والمغاربة يطأون ارض الشاطىء في رأس «العبد» وفي ناتئة «ايسكييون»، فضلاً عن مظليي فرقة «ايربورن» الجوية الأولى. وكانت عمليتان لانزال مظليين مفتعلين قيد التحقيق امام «جنوى» و«لاشيوتات».

بدأ القصف الجوي والبحري مع طلوع الفجر، وكانت النشرة الجوية تشير الى ان الطقس ممتاز بحراً وبراً، ولذلك راحت موجات الهجوم في فرق المشاة الاميركية ٣ و٣٦، و٤٥ تحتشد دون عراقيل امام «سان رافييل» و«سان تروبي» و«كافالير» وقد وطئت جميعها الأرض - باستثناء واحدة - من رأس «كافالين» حتى ممر «انيتور» البحري الضيق.

في الجبهة الالمانية كان الجيش الالماني التاسع عشر يؤمن الدفاع عن الساحل المتوسطي بقيادة الجنرال

«فريدريك فيسي» الا ان هذا الجنرال سرعان ما استبدل بـ«فون شودنشترن». وكان هذا الجيش يقتصر على ٧ فرق تضم اقل من ٢٠ كتيبة شرقية، وعلى فرقة المصفحات الحادية عشرة التي كانت موجودة، لسوء الحظ، الى غربي «الرون» في منطقة «مونبولييه». ومنذ ساعات الصباح الأولى ظهر للقيادة الألمانية ان المنشآت الناقصة في جدار المتوسط، فضلاً عن هزال القوات المتمركزة فيها كانت عاجزة عن مجابهة الغزو الجديد.

في «نورماندي» لم يكن يوم ١٥ آب يوم هدنة، فلقد جلا الألمان عن ناتئة «مورتان» فأعاد الاميركيون احتلالها منقذين بذلك المحاصرين في الخط ٣١٧، الا ان ٧ فيالق المانية كانت محصورة بين «فلير» و«الديف» في ممر طوله ٥٠ كلم وعرضه نحو ٢٠ كلم، لم يكن الجيب قد اغلق بعد، الا ان تموينه قد بات صعباً للغاية، وكانت القاذفات الحليفة تزرع فيه فوضى دامية، ومع ذلك فلا النزول في «بروفانسا»، ولا قتال «نورماندي» المتفاوت القوى، كانا سبباً لهياج ادولف هتلر وثورته وقلقه الخانق، بل اقتناعه بخيانة جديدة. فالمارشال فون كلوغي القائد الأعلى لجبهة الغرب قد اختفى! كان قد امضى ليلة في «فول» في ١٤ في جوار «فيموتييه»، مركز قيادة «ديترتش»، وعاد الى الرحيل في الساعة ٥,٣٠ من صبيحة اليوم التالي باتجاه «نيسي»، في جوار «فاليز»، مركز قيادة ايبرباخ. ولكنه لم يصل، واما النداءات التي وجهت للشاحنة - الاذاعة التي ترافقه فقد لقيت اذناً صماء. وقد جرى البحث عنه في انحاء الجيب كلها ولكن من غير جدوى.

ولم يتورع هتلر عن تعليل الاختفاء، فقال ان كلوغي قد انتقل الى صفوف الأعداء بعدما افتضح امر تورطه في مؤامرة ٢٠ تموز وأكد الفوهرر ان الضابط المختفي ذهب الى جيب «فاليز» للاستسلام على الأقل، او للتفاوض في امر استسلام جيشه على الأرجح.

وفي مستهل فترة ما بعد الظهر رفض هتلر المزيد من الانتظار، فأمر الجنرال «هاوسر» بأن يتسلم موقتاً قيادة مجموعة الجيوش «ب»، وراح يبحث عن رجل قادر على قمع خيانة «فون كلوغي» في مهدها. وبعدما تردد في الاختيار بين «كيسلرنغ» و«مودل» اختار الثاني واستدعاه الى «رستنبورغ» للحال.

وفي الواحدة صباحاً عاد المختفي للظهور بعدما كانت القوات الحليفة قد أحرقت سيارته، واتلفت الشاحنة - الاذاعة وأصابت وقتلت رفاق رحلته.

وكان كلوغي قد امضى يومه مختبئاً في حقل من القمح، وعند الغسق راح يبحث عن سيارة ما لبثت ان وجدها بعد طول عناء، ومن ثم بقي في الطريق ساعات قبل ان يبلغ «نيسي» التي وصلها ذليلاً، مرهقاً، رث الثياب، وكان ترحيب «رستنبورغ» به برقية تمنعه من العودة الى الجيب، وتأمره بادارة المعركة من مركز قيادة «ديترتش» تحت رقابة نازي عليا!

وأطاع كلوغي الأوامر، فعاد الى «مول» حيث راح يتحدث امام «جودل» عن مشاهداته خلال «الاختفاء»، وقد استمر هذا الأخير يصغي اليه دون ان يعلمه بما سيقدم عليه الفوهرر في وقت قريب، وهو استبداله.

كان الكنديون في «فاليز»، واما البولونيون ففي «ترون» وكان الانكليز يجتاحون وادي «الاورن». وفي «بروتانيا» كان الاميركيون يجهزون على «سان — مالو» حيث نقض «فون اولوك» عهده، فرفع العلم الأبيض على القلعة! وفي اتجاه باريس استولوا على «درو» وعلى «اللوار» واستولوا على «اورليان». وفي نورماندي راحوا يشددون الضغط على قعر الجيب، فبات جلياً ان كل شيء كان ينهار، وان النهاية قد اقبلت.

والحقيقة ان الحلفاء قد فوتوا فرصة هي احدى اكبر فرص الحرب، اذ ابقوا قطاع «ارجنتلن» جامداً. ولم يكن الفيلق الاميركي الخامس عشر قد جاوز الخط الذي بلغه في ١٣ آب، وكانت اثنتان من فرقه هما الفرقة المدرعة الخامسة والفرقة ٧٩، قد سحبتا من القتال وارسلتا الى المنطقة الباريسية. واما شعبة الكلابة التي كانت تغلق جيب «فاليز» فقد توقفت من تلقاء نفسها. واما تطويق الجيش السابع، والجيش المصفح الخامس، فقد بقي منقوصاً بعدما بوشر به بصورة محكمة. فالأميركيون يتشتتون بسبب جولاتهم الميكانيكية الرحبة، بدلاً من ان يركزوا اهتمامهم على الشيء الوحيد الذي يعتبر في الحرب ذا اهمية: الا وهو افناء العدو!

لقد كان «برادلي» هو المسؤول عن هذا الخطأ. فمنذ ١٣ كان «هايسليب» قد طلب السماح له بمتابعة تقدمه، وبالخروج من منطقة مجموعة الجيوش ١٢ لاحتلال «ارجنتان»، وذلك من اجل ان يمد يده الى الجيش الكندي الأول باتجاه «فاليز»، ومن اجل اغلاق واحكام الدائرة حول العدو. وافق «باتون» بحماسة، الا ان «برادلي» مانع. اما مونتغومري القائد الأعلى للعمليات فلم يستعلم عن شيء، ولم يأمر

بشيء. واما ايزنهاور فقد كان غارقا في اوساطه الرفيعة العالية دون ان يأبه للتدخل في شؤون فيلق بسيط! وبقي «برادلي» هو الحكم المطلق، قال: «كنت بالغ الرضى لكوني بلغت هدفي، وقد استنكفت عن ان احدد لي هدفاً سواه». ان الرجال ذوي المخيلات العادية لا يمكن ان يصبحوا جنوداً عظاماً على الاطلاق. فالهدف في نظره، كان خط «تينشبري - ران - سيس - مولان لا مارش»، فيما كان متوقعاً ان تقوم في نورماندي ستالينغراد ثانية، وذلك بأسر جيشين المانيين وبتعجيل اجل الحرب عبر تسديد ضربة مادية ومعنوية قاسية الى العدو.

لم يكن كلوجي عالماً بالمهلة التي اعطيت له. وبعد تردد طويل وقلق مستبد، اصدر امراً بالجلاء عن الجيب دون الحصول على اذن من هتلر، وقد بدأ التراجع فعلاً في ليل ١٦ - ١٧ بدون السيارات نظراً الى نفاد الوقود. كان السير بطيئاً في ذلك الظلام الدامس عبر طرقات تكدست فيها الركام. ولم يبزغ الفجر، الا وارتال الجيش السابع الطويلة التي تجرها الخيل، مجمدة غربي «الاورن» امام جسر «بوتانج» الذي يعتبر ممر النهر الأوحد. وفي محاولة من كلوغي للتمويه ونقل اهتمام العدو اصدر امراً بشن هجوم على «بور - سان - ليونار» في مدخل الجيب، وقامت فرقة المصفحات الصاعقة الثانية بتدعيم ممر التسلل بطردها فرقة المشاة الاميركية التسعين من القمة التي تسيطر على ممر «الديف» في «شامبوا». وخلال النهار تمكنت ٤٥ قاذفة من طراز «هانيكل»، حولت الى طائرات نقل، من انزال بعض الذخيرة في الجيب، فضلاً عن كميات قليلة من الوقود للدبابات الأخيرة الباقية، وقام كلوغي، حتى اللحظة الأخيرة، باعباء قيادته كجندي يتمتع بخبرة فائقة.

بيد ان ساعاته كانت معدودة. ففي صبيحة ١٧ جاء «مودل» يؤكد قبول القيادة الحربية العليا باخلاء جيب «فاليز» حاملاً الى كلوغي في الوقت عينه رسالة قاسية من هتلر طلب منه فيها وضع نفسه تحت تصرفه «لأنك لم تعد صالحاً للقيام بقيادة الحرب».

وما لبث كلوغي ان اعد نص الجواب، ثم طلب من رئيس اركانه العامة «بلوفتريت» ان تكون سيارته جاهزة، وفي الساعة الخامسة استأذن خلفه بالانصراف تاركاً رسالته الى هتلر التي استهلها بالقول: «عندما تبدأ بقراءة هذه السطور لن اكون في عداد الأحياء..» ثم غسل يديه من مسؤولية

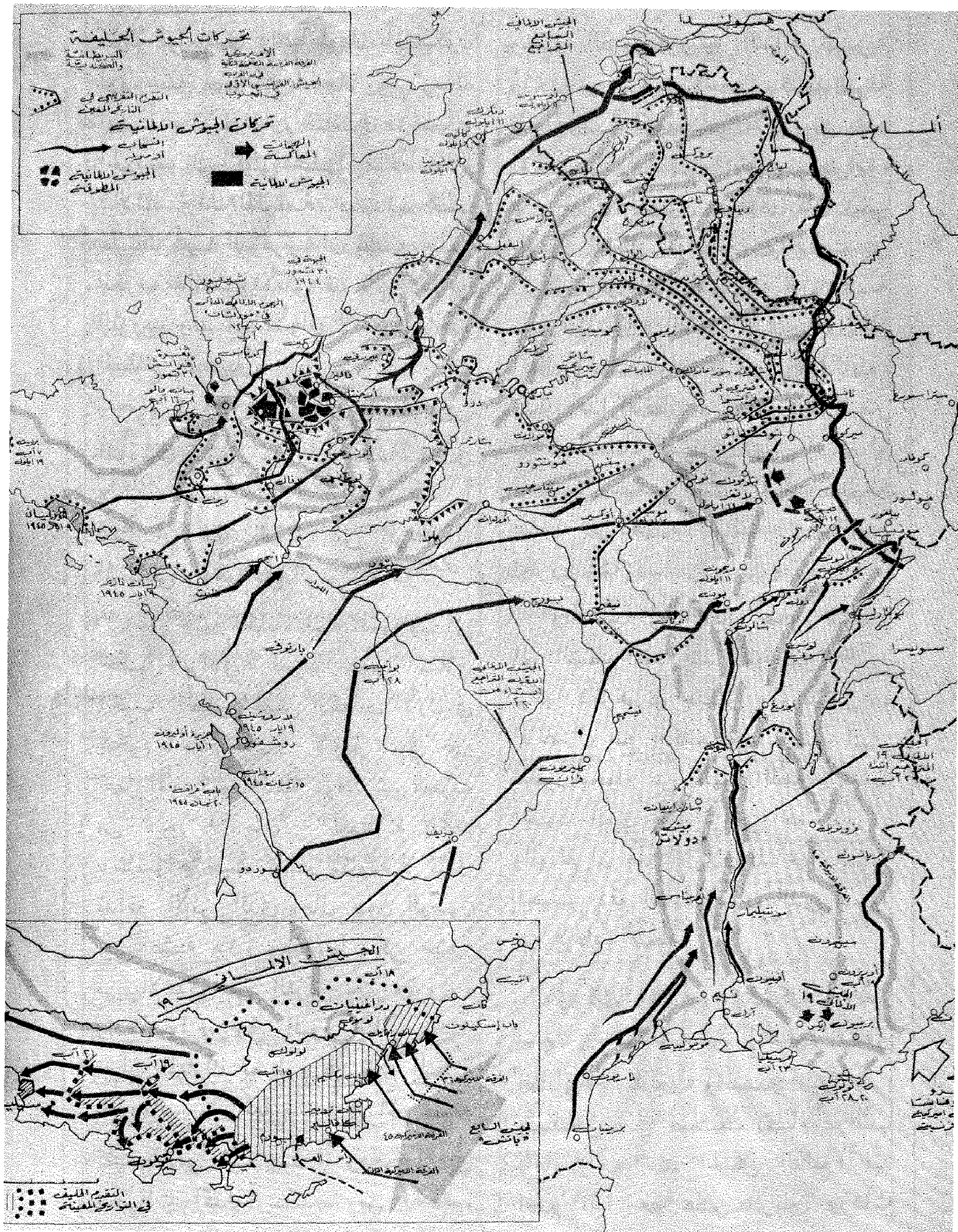
كارثة نورماندي داعياً لمودل بأن يكون اوفر منه حظاً. ومما جاء في الرسالة ايضاً: «اما اذا لم تأتك الأسلحة الجديدة التي تبني عليها آمالاً كباراً بالانتصارات المتوقعة، فعندئذ يجب عليك أيها الفوهرر، ان تضع حداً للحرب فالشعب الألماني قد تألم اكثر من اللزوم، وقد آن الأوان لاستنكار هذه الفظائع الرهيبة».

وفي صبيحة اليوم التالي اوقف المارشال كلوغي سيارته عند مدخل «متز» حيث دس كبسولة في فمه ما لبث ان حمله السائق على اثرها الى المستشفى، وهو على الرمق الأخير.

على جبهة الحلفاء تنبه المسؤولون الى خطأ «برادلي» فعزموا على اغلاق الجيب. انطلق الجيش الكندي الأول في هجوم باتجاه «سان - لامبير»، في حين جهز الأميركيون فيلقاً موقتاً شن هجومه من «بور - سان - ليونار» باتجاه «شامبوا» حيث كانت المقاومة لا تزال تدافع الأمر الذي حال دون الوصول حتى عشية ١٨، وهذا ما مكن حشداً من الاعداء من الفرار بين «ترون» و«شامبوا». وفي اليوم التالي عادت نيران المعارك تضطرم في تلك المنطقة النورماندية الرائعة ناشرة في الجو طبقة كثيفة من الدخان، ومكدسة في الطرقات اكداساً مكدسة من الحطام، ومالئة القرى بروائح النتانة البشرية والحيوانية. وقبيل العصر تمكنت الفرقة البولونية المصفحة الأولى من طرد الألمان، الذين استمروا يقاتلون بضراوة، من جبل «اورميل» الذي كان يبقي طريق التسلل مفتوحة، واندفعت في اثرهم فرقة المشاة الأميركية ٣١٧ قادمة من «شامبوا» الأمر الذي ادى الى اقفال الجيب، وان متأخراً خمسة ايام، ولكن هذا الاقفال لم يشكل ذلك النصر الباهر للحلفاء الذي كان يمكن ان يتم لو لم يتمكن نصف الجيشين الالمانيين البالغ عدد افرادهما ١٢٠ الف رجل من الخروج منه.

وبالنظر الى افتقار هجوم الحلفاء الى التنظيم فقد فقد البولونيون الذين تركوا لأمرهم في جبل «اورميل»، الاتصال مع الكنديين، وجاء انهمار المطر ليحول عن ظهور الطيران، اما المجهود البري فقد تراخى هو بدوره. والواقع ان هذا الاغلاق المتأخر والسيء للجيب، دفع القادة الألمان الذين اسروا فيه لإعادة فتحه.

في ليل ١٩ - ٢٠ شكل «اوجين مندل»، قائد فيلق المظليين الألماني الثاني، رتلين، واصدر اليهما امراً بالتحرك في صمت تام. واما «هاوسر»، قائد الجيش السابع، فقد انضم الى احد هذين الرتلين ورشاشه



تحركات الجيوش الحليفة
البريطانية
والكندية
الأميركية
تحركات الجيوش الالمانية
انسحابات
الهجمات
المعاكسة
الجيوش الالمانية
المطوقة
الجيوش الالمانية
ألمانيا
الجيش الالماني
التقدم الحليف
في التواريخ المعينة

معلق الى عنقه. وتم اجتياز «الديف» بالقرب من «سان - لامبير» عند قدم تلة انتشرت فوقها مصفحات العدو. وما ان اكتشف «ميندل» احتلال الحلفاء لجبل «اورميل»، حتى التف من حوله بالغاً «كودهار» بالقرب من دسكرة «كاماميبر» الشهيرة، والتقى هاوسر، الذي كان قد فقد احدى عينيه على ابواب موسكو، والذي اصيب لتوه برصاصة هشمت فكه. جلس القائدان في احدى الحفر التي احدثتها قذيفة ما



• الفرقة الفرنسية المصفحة تنزل في «نورماندیا».

• خريطة عملية الهجوم على «النورماندي».

حيث راحا يرتجلان هجوماً لإعادة فتح الجيب بواسطة فرقتي المصفحات الصاعقتين الثانية والتاسعة، وهما تضمان ٢٠ دبابة فقط! وبعد ذلك حمل ميندل شاحناته بالجرحى بمن فيهم هاوسر وغطاها بالصلبان الحمراء، ثم اطلقها في وضح النهار على طريق «فيموتيي»، فتوقف اطلاق النار برهة ريثما تمر بسلام.

وكما نجا ميندل نجا ايضاً عدد من كبار القادة مثل «ماهلمان»، قائد فرقة المشاة ٣٥٣، و«فون لوتفيتز» قائد فرقة المصفحات الثانية، و«ميير» قائد الفرقة المصفحة الصاعقة ١٢، وبدلاً من ان يجني الحلفاء قطافهم المثمر لم يتمكنوا الا من اسر ثلاثة جنرالات من بينهم «فون الفلدت» خليفة «فون شولتتز» على رأس الفيلق ٨٤.

لقد توصل ميندل في هجومه المعاكس شمالي جبل «اورميل» الى اعادة فتح منفذ تمكن بضعة آلاف من الرجال وبعض الآليات من اجتياز «الديف» على جسر «سان - لامبير» الذي بقي صالحاً للاستعمال، واستمر ميندل واقفاً طوال ذلك الليل الممطر المدلهم يوجه المنسحبين نحو «فيموتيي»، واضعاً بذلك نهاية لمعركة نورماندي.

نهاية فيشي

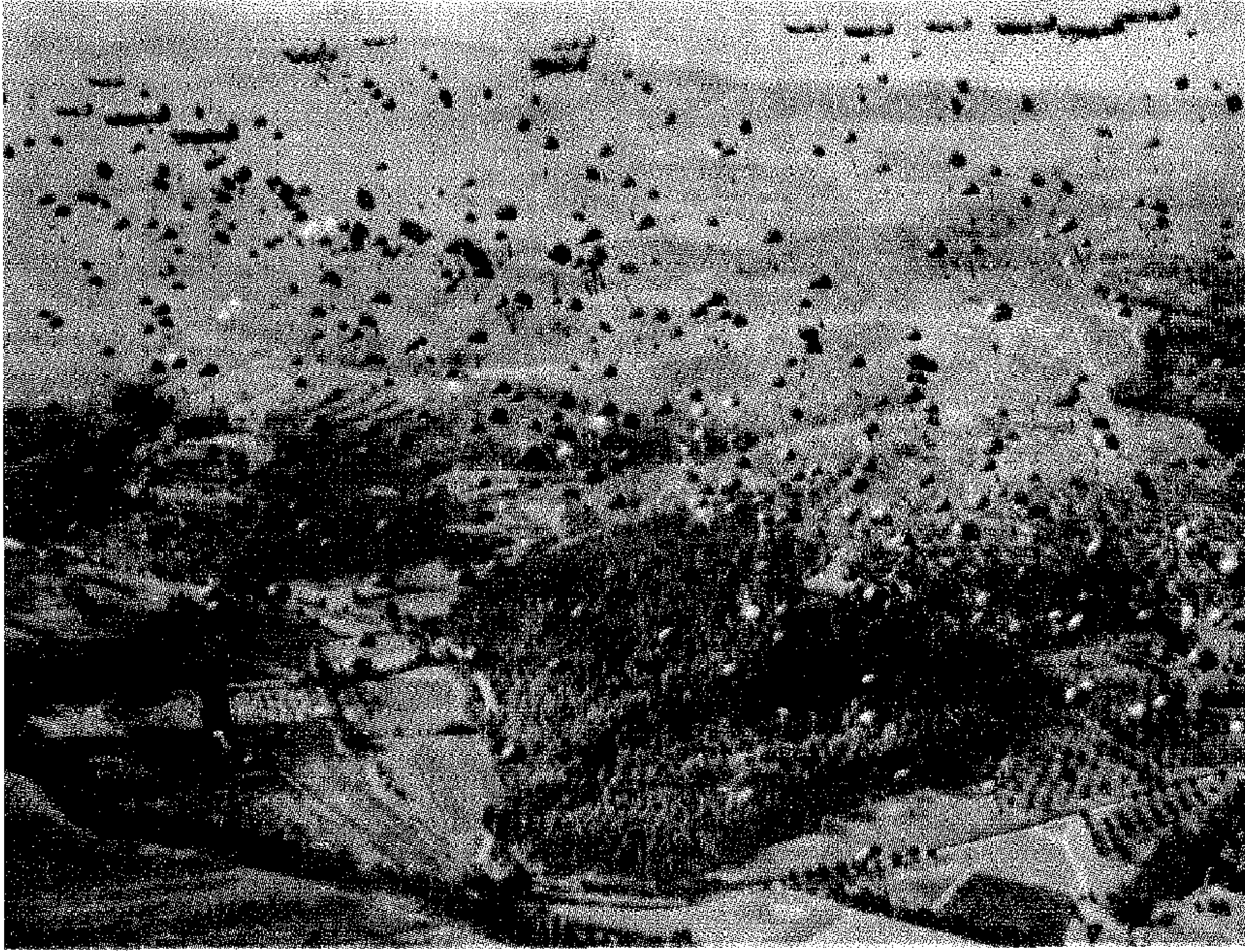
خطوة مهمة على طريق معركة تحرير فرنسا



• بيتان » أثناء خروجه من اجتماع « فيشي ».

لقد كانت معركة نورماندي، رغم كل شوائبها، حاسمة، اذ فقد الجيش الالماني من خلالها معركة فرنسا، بل فرنسا ذاتها.

كثـيرون تمكنوا، في الواقـع، من الافلات من جيب « مالـيز » غـير ان الذين بقوا فيه، من قتلى او اسرى، كانوا نخبة المحاربين، اما الجيشان اللذان كانا فيه فقد تعرضا للتدمير في حين اضحت فرق الدبابات التي القي على كاهلها عبء القتال الأثقل، اثراً بعد عين، فمن الفرقة ١١٦ مثلاً لم يبق سوى ٥٠٠ رجل ومن فرقة الصاعقة الثانية لم يبق سوى ٤٥٠ رجلاً، ومن فرقـة الصـاعقـة ١٢ لم يبـق سوى ٣٠٠ رجل وهلم جرا. اما الفرقتان



• مظليون يهبطون بين « نيس » و« مرسيليا ».

الأولى والصاعقة العاشرة فلم يبق لهما دبابة واحدة.

وعلى الرغم من كل ذلك فما انفكت نخبة المحاربين صامدة، فيما تفككت الوحدات الأخرى وراح قطيع من البشر ينساب على احد جسور « رووان » بعد ترميم قسم منه في حين مضت قوافل من الجنود تجتاز نهر « السين » على كل ما تخترعه مخيلاتهم بينما كان رجال الدرك الالمان يوجهون الفارين نحو منطقة « اميان » حيث أعيد جمع شملهم وتسليمهم.

وما عتمت المؤخرات ان بدأت ترتحل فبدأ الجلاء عن باريس، وانكمشت اركان « سان جرمان » و« لاروش - غويون » على نفسها تحت اسمنت « مرجيفال »، ولم يبق مودل، الذي كان هتلر يبني عليه الآمال العريضة، سوى قائد مرهق اضنته الجراح، فحل الجيش السابع وصهر بقاياه في الجيش الخامس المصفح الذي أعاده الى « ايبرباخ »، وأمره، بناء لتوجيهات هتلر، بان يتمسك بـ« توك » عن طريق « تروفيل - ليزيو - غاسي ». ولكنه نبه قيادة الجيش العليا الى ان كل أمل بالمقاومة جنوبي السين قد تلاشى، ورغبة منه في الحؤول دون الانهيار الشامل طلب ٣٠ فرقة جديدة ٩ منها مصفحة. ولم يكن من الممكن سحب هذه الفرق الا من الجبهة الروسية، ومودل، العائد من تلك الجبهة، كان الأدرى باستحالة هذه المهمة.

كان على الجيش المصفح الخامس ان

يلتحم بالجيش الأول المكلف حماية منطقة باريس عبر تمركزه بين «درو» و«اورليان» كما كان على الجيش الأول ان ينبسط في ما بعد على «الايون» ليتصل بالجيش التاسع عشر المتقهقر انطلاقاً من الساحل المتوسطي، وهكذا يتم بناء جبهة متماسكة تحمي مواقع اطلاق القنابل الطائرة من «الهافر» الى «بيزانسون»، وكان على الجيش الأول ايضا، الذي يحتل شاطىء الأطلسي من «اللوار» الى «البيرنيه» ان يتراجع عبر القسم الأكبر من فرنسا ليقوم بالدور الذي اوكل اليه، بيد انه كان في عجز كبير على أساس ان كلاً من فيلقيه يتألف من فرقة واحدة من الجنود الثابتين التي يبلغ اختلاط العناصر والألوان فيها حد الاشتمال على فوج هندي هو الفوج ٩٥٠ الذي قام بتشكيله العميل «شاندرابوز».

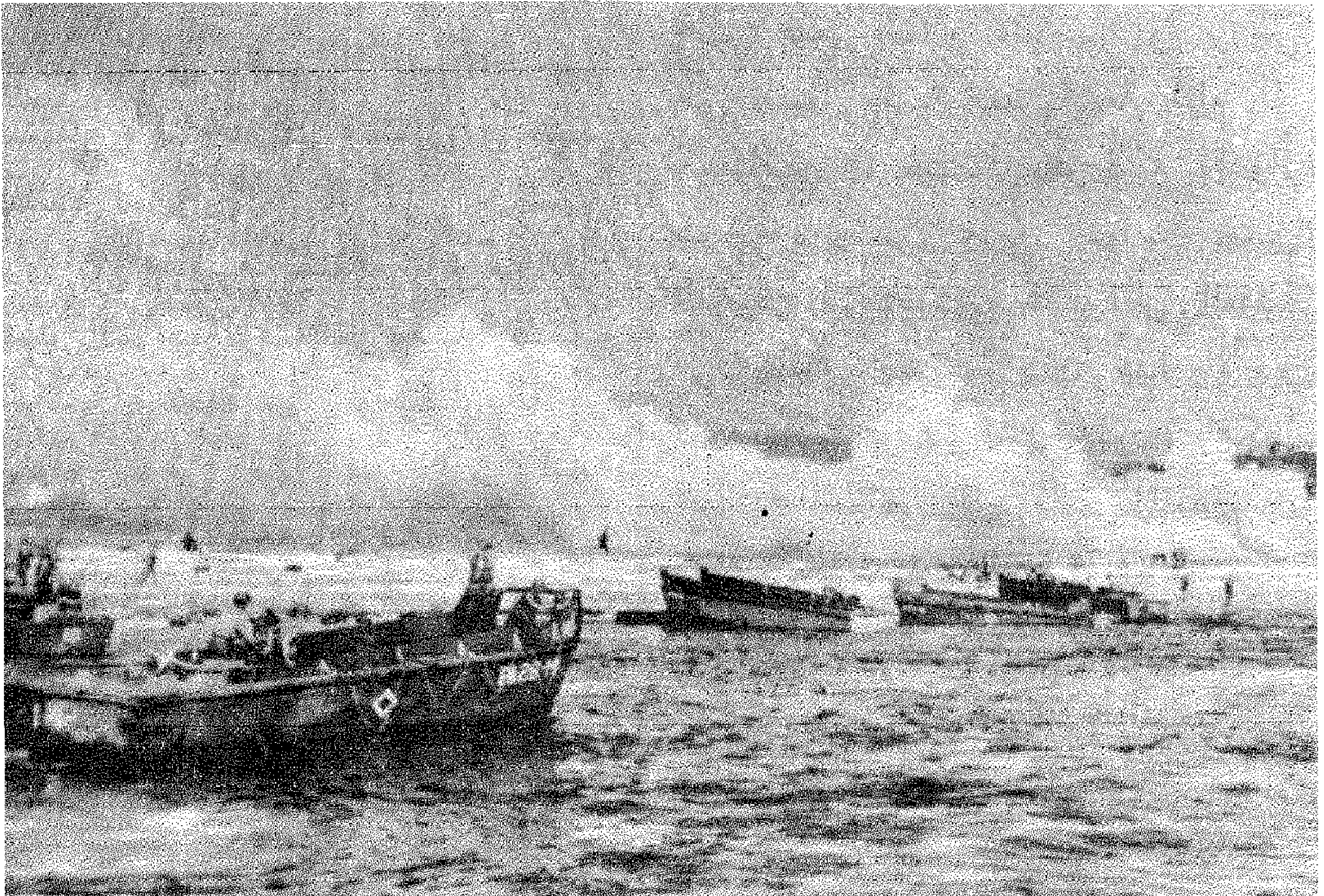
وفي ١٦ آب صدر امر يقضي بانسحاب التشكيلات غير المقاتلة الى شرقي خط يمتد من «اورليان» الى «كليرمون فران». فقذف الى الطرقات بحوالي ١٠٠ الف رجل وامرأة من الجيش الالماني لا يملكون من وسائل النقل سوى اقدامهم. وتحركت تشكيلات المحاربين بعد ذلك بيومين للحاق بالأولى باستثناء الحاميات التي تركت في الموانىء، ولكن قطع الطرقات وهدم الجسور وهجمات رجال المقاومة المتتالية جعلت السير بطيئاً للغاية.

وبعد انقضاء اسبوع على بدء التراجع، اي في ٢٨ آب لم يكن القسم الأكبر من الفيلق ٦٤، القادم من «روشيل»، قد اجتاز «بواتييه» بعد، علماً بأن «اورليان» كانت قد حددت مكاناً للالتقاء العام، الا ان الاميركيين سبقوا الألمان إليها فلم يبق لهؤلاء إلا متابعة السير شرقاً للقاء الجيش التاسع عشر.

ومع ابتعاد الجنود الألمان تحرر جنوبي غربي فرنسا ووسطها بصورة تلقائية، وهاتان المنطقتان تضمان حوالي ٣٠ محافظة تغطي ٥ مناطق من ١٢ منطقة عسكرية حاولت هيئة اركان الجنرال «كونيغ» ان تحدد بواسطتها معالم تلك الكتلة المبهمة التي تشمل القوات الفرنسية الداخلية وهي: ب (بوردو)، و٣ (مونبولييه)، و٤ (تولوز)، و٥ (ليموج)، و٦ (كليرمون فران)، فخرجت السلطات الثورية التي شكلت في المقاومة السرية، الى النور بالضجيج والصخب. كانت مدينة الجزائر قد عينت مفوضين للجمهورية، ومحافظين ونواباً للمحافظين، الا ان المؤثرات الشيوعية او الفوضوية هي التي تغلبت على عدة مقاطعات، وكاد يرافق التحرير في كل مكان استيلاء ثوري



- سكان « مرسيليا » يرحبون بقوات الجنرال « دي‌لاتر ».
- قوات امـــيركيـــة في طريقهـــا بحراً نحو « بروفنسا ».



على السلطة بحيث بات من الصعب على المؤرخين تحديد مواقفهم مما جرى ابان تلك الفوضى العفوية الجديدة وما حصل خلالها من اعدامات اعتباطية استناداً الى احكام قضائية غير نزيهة.

كانت «فيشي» تقع على حدود مقاطعة «اوفرن» للمقاومة السرية فخشيت السلطة المحتلة انقضاض رجال المقاومة عليها واختطاف المارشال «بيتان» الذي نقل في ١٧ ايار، في موكب الماني ضخم، الى قصر «فوزان» الواقع بالقرب من «رانبوبي». وما انقضى اسبوعان حتى بدل الألمان رأيهم، فقرروا، متذرعين بنزول وشيك شمالي فرنسا، ان يعيدوا من لا يزال يدعى رئيس الدولة، الى عاصمته، فأمر «بيتان» على العودة عن طريق «نانسي» و«ابينال» و«ديجون»، و«ليون» و«سانت - ايتيان» حيث استقبل بالهتافات كما استقبل في الشهر الفائت لدى زيارة قام بها الى باريس وروان، مما رسخ اعتقاده بانه ما انفك يجسد الشرعية محتفظا بمحبة الشعب الفرنسي وشجعه على توجيه رسالة الى ديغول يعرض فيها عليه ان يقاسمه السلطة خلال بضعة أشهر، حتى اذا ما انقضت الفترة الانتقالية انسحب هو من الحكم لينهي ايامه في خلوة هادئة، غير ان هذا الأثر الساذج لم يلق اي جواب قط.

انقضى حزيران وتموز بسلام، ولكن الأسلاك الشائكة ضربت حول «فيشي» واعطتها طابع الحكم العرفي، وانما دون ان تعكر طمأنينتها الخارجية، فالمآسي الفرنسية تجري في اماكن اخرى في نورماندي المنكوبة، وفي «الفيركور» حيث زهقت ارواح العديد من رجال المقاومة وفي «اورادور - سور - غلان» حيث اقدمت فرقة الرايخ على إبادة السكان عن بكرة أبيهم.

كانت فرنسا منذ عام ١٩٤٠ قد سلمت من الزوبعة التي عصفت بالعالم، واذا بالحرب تضاعف فجأة تعذيبها، لكن مدينة المياه المعدنية التي جعلت منها النكبة رأس فرنسا السياسي بقيت ساحة هدوء وسلام.

في ٨ آب غادر «لافال» «فيشي» تحت جنح الظلام متوجهاً الى باريس التي انتقل منها بعد أربعة أيام الى «نانسي»، حيث وفّر له «ادوار هيريو»، رئيس مجلس النواب، سبيل اللجوء الى مستشفى الامراض العقلية الى جانبه خصوصاً وان هذا الأخير كان قد تظاهر بمس من الجنون، وهكذا تحولت المستشفى الى ملتقى للسياسيين والذي سادت فيه الدموع.

كانت خطة «لافال» تقضي بدعوة مجلس ١٩٤٠ الوطني كي يستقبل به الحلفاء ويفاوض ديغول. وعلى غرار

بيتان كان ينوي الانسحاب او الهجرة اذا اقتضى الأمر، بعد ان يثبت اركان الشرعية الجمهورية. غير انه، على نقيض المارشال، ما كان يفكر الا بالاعتزال الموقت.

لم تصب المحاولة أي نجاح، خصوصاً وان ادوار هيريو، الذي اعيد الى باريس، قد ابدى الكثير من التخوف والتحفظ بعد النشوة التي اثارها خلاص فرنسا. فعمد الهتلريون الى توقيف رئيس المجلس واعادته الى الأسر في ضواحي برلين، ثم ارغموا لافال على نقل حكومته الى «بلفور» فرفض هذا الأخير معلناً انه سينتظر الحلفاء في فندق «ماتينيون»، فجاء الرد عليه في الساعة ٢٣ من ١٧ آب اذ اقتادته قافلة من الغستابو باتجاه الشرق، فقال، وهو يستقل السيارة: انا لست اسيراً...».

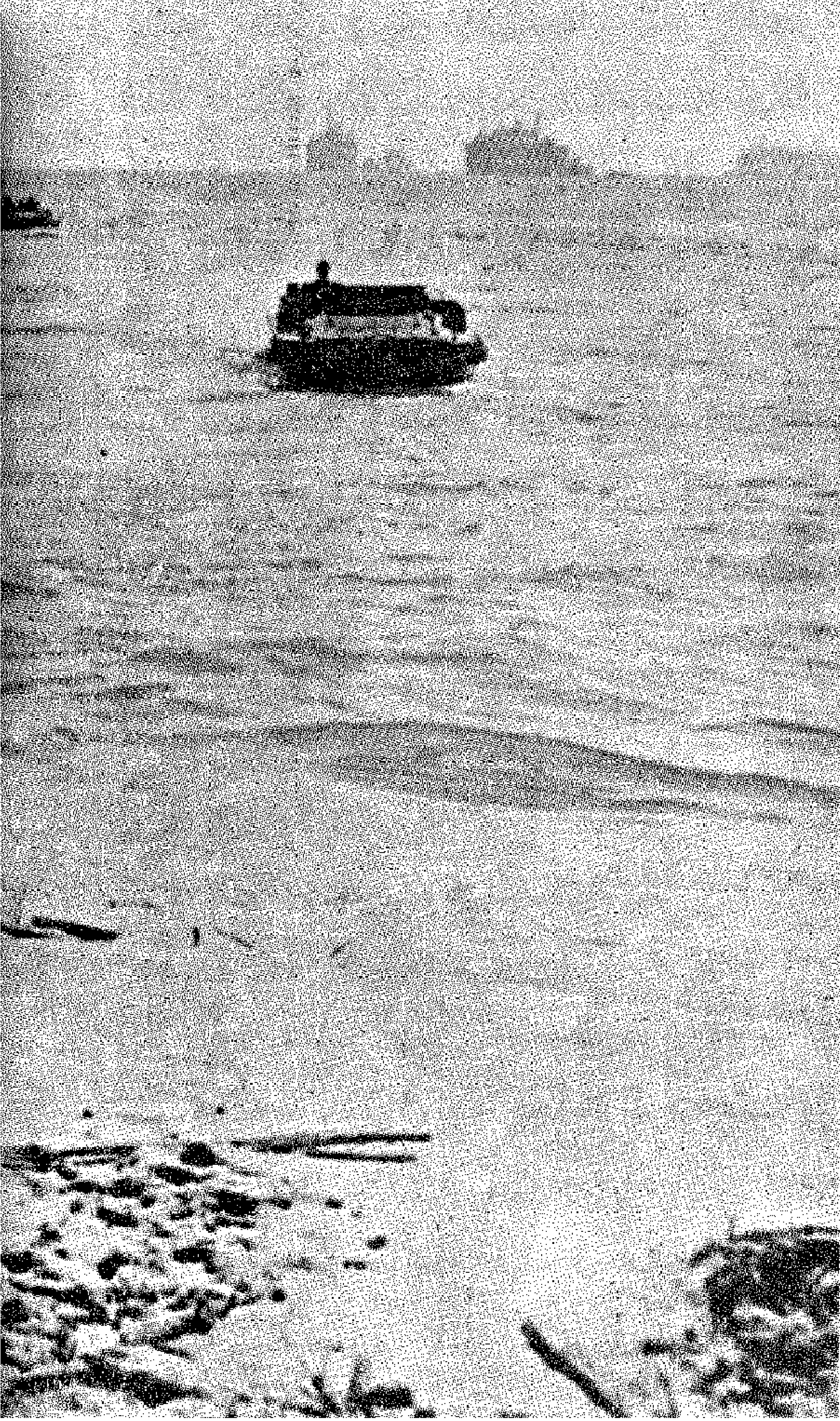
وبعد ٣ أيام جاء دور «بيتان» الذي اقدم احد الجنود الألمان في الساعة السابعة من ٢٠ آب، على تحطيم باب غرفة نومه فخرج منتصب القامة، شاحب اللون بحضور السفير البابوي والوزير السويسري المفوض اللذين كان قد استدعاهما ليسلمها احتجاجاً على عمليه الخطف التي يتعرض لها، وكان بيتان نفسه قد منع رجال الحرس في مدخل فندق «بارك» من ابداء اي مقاومة ميؤوسة. وحين تحرك رتل السيارات الالمانية الذي يقتاد المارشال بيتان وقرينته، انبرت جماعة صغيرة من المخلصين لانشاد نشيد «المرسيلياز»، فكان ذلك مؤشراً لنهاية عهد «فيشي» العاصمة.

★

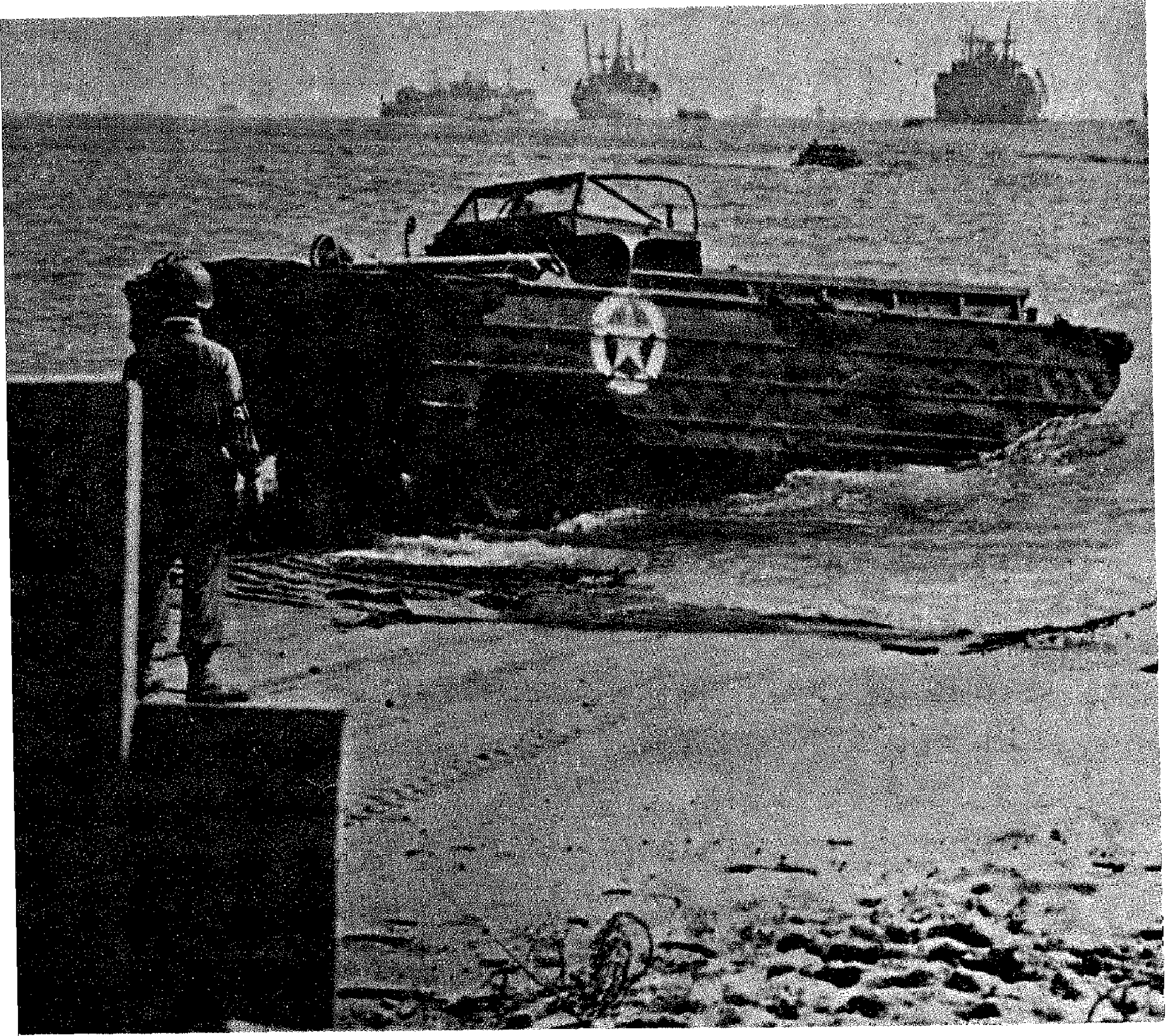
في «بروفانسا» كانت العمليات تسير بسرعة غير متوقعة. فاوكار المقاومة الساحلية قد اخضعت بقوة، ومنذ العشية الأولى تم الاتصال بين القوات النازلة بحراً والقوات الهابطة من الجو، ثم جرى اعتقال الجنرال الالماني «فويلنغ» في «دراغينيان» مع اركانه العامة، وهو قائد فيلق الاحتياط ٦٢. وانطلقت مفرزة مصفحة باتجاه «غرونوبل» عبر طريق نابوليون. واستولت فرقة المشاة الاميركية الثالثة على «برينيول»، ثم توجهت شطر «ايكس» في حين بلغت الفرقة ٤٥ وادي الدورانس الأسفل، ميممة شطر «افينيون»، ولحقت الفرقة ٣٦ بالمفرزة المصفحة، وراحت القيادة الالمانية تستغيث مستدعية قوتها الوحيدة القادرة على ضفة الرون اليسرى، وهي الفرقة المصفحة ١١، ولكن الجسور قد دمرت جميعها، فبات عبور الدبابات بمراكب مرتجلة بطيئاً جداً. لم يكن يداعب الجيش الألماني اي امل في صد الغزو الجديد او على الأقل في كبحه، فاقترح التخلي عن القتال والجلاء الفوري عن جنوبي فرنسا.

في ١٧ اذعن هتلر لهذا التخلي القاسي. فالى جناح الجيش ١٩ الأيسر سوف ينسحب حطام الفيلق ٦٢ الى ايطاليا حيث ينضم الى قوات المارشال كيسلرنغ، وكان على الفيلقين الآخرين، فيلق الطيران الرابع، والفيلق ٨٥، ان يتراجعا، الأول عبر الضفة اليمنى، والآخر عبر الضفة اليسرى للرون، وكان وضعها خطيراً، فالخطوط الحديدية مقطوعة، ولم تعد « السيفين » و « الالب » غير اعشاش للمقاومة. وفي صفوف الارتال المتراجعة كان عدد الرجال غير المقاتلين ثلاثة اضعاف المقاتلين، اذ لم يكن ثمة، جيش واحد يضم نسبة من الجنود المبعدين ومن الطفيليين كنسبة قوات الاحتلال الالمانية هذه. وهكذا، فلو انك نظرت الى الطرق كستها حشود غفيرة لرأيت رتلاً من المساعدين «التونكينيين» الذين انتقلوا الى خدمة المانيا بعدما استدعوا لمحاربتها، وكان هناك خطران يحدقان بتلك الجماعة: الطيران والتقدم الاميركي السريع في الألب:

لقد استثنيت حاميتا « مرسيليا » و « تولون » من امر التراجع، اذ كان عليها ان تدافعا حتى آخر طلقة عن القلاع التي كلفها الفوهرر بها. ولكن العناصر لم تكن جديرة بالقيام بهذه المهمة. فحامية تولون كانت تضم فرقة



الموقع ٢٤٢، بقيادة الجنرال « باسلر »، وكانت الفرقة ٢٤٤ بامرة الجنرال « شافر » هي التي تؤمن حماية مارسيليا. وكانت هاتان الفرقتان وحدتين كبيرتين من النسق الثاني تضمان كتائب شرقية عديدة ونسبة قوية من المسنين والمعاقين. فهي، بكونها عاجزة عن القيام بأي تحرك تكتيكي، وبالتالي اي دفاع مرن، لم تكن قادرة إلا على بسط ستار بشري رقيق حول دائرة المدينتين الكبيرتين الشاسعة.



• **النزول على شواطىء « بروفنسا ».**

لقد جعل غزو تولون ومرسيليا من نصيب القوات الفرنسية، وكان من شأنها ان تبقي فرق الجنرال « دي لاتر » على الساحل فيما كانت القوات الاميركية تحرر مساحات شاسعة من الأراضي الفرنسية. كان الاستيلاء على المدينتين الفرنسيتين قد حدد في ٥ و٢٥ ايلول، الا انه لم يكن متوقعاً بلوغ «ليون» قبل ١٥ تشرين الثاني بالنظر الى النمط البطيء الذي نسق عليه سياق العملية وبالتالي الى المبالغة الهائلة في تقدير قوات العدو.

لكن الاميركيين رفضوا التقيد بهذه التواريخ، فتمكنوا من اجتياز الدورانس في ١٩ آب فيما لم يكن متوقعاً عبوره الا في ٣٠ ايلول. وقد بات لزاماً على « دي لاتر »، في هذه الحال، ان يعجل بدوره في انجاز عملياته في تولون

ومرسيليا كي تتمكن القوات الفرنسية من السير نحو «بورغون» والالزاس في اسرع وقت ممكن. واما «الكسندر م. باتش» قائد الجيش السابع الذي كان «دي لاتر» ما زال متقيداً بسلطته حتى انشاء مجموعة الجيوش السادسة، فقد قبل بذلك.

في ٢٠ آب بوشر حصار تولون، قبل ان ينجز النسق الثاني في الجيش الفرنسي عمليات انزاله. وفيما كانت الفرقة الفرنسية الخفيفة الأولى تخوض قتالاً عنيفاً في سبيل «هبير» التقت فرقة المشاة الجزائرية حول المدينة بقيادة «مونسابير»، وبلغت البحر في «ماندول» و«ساناري».

وبعدما تم تطويق المرفأ الحربي الكبير بوشر بالهجوم عليه من البحر والجو والبر وقام اسطول فرنسي - اميركي قوي يضم النيفادا الهرمة واللورين الاكثر هرماً، بقصف شبه جزيرة «سان ماندرييه» وبطاريات رأس سيسي. وكان الحاكم الألماني الاميرال روهفوس يعتزم سد المرفأ باغراق البارجة ستراسبورغ فيه فضلاً عن الطراد «لاغاليسيونيير». ولكن ٣٥ طائرة من طراز «ب-٢٥» حالت دون تحقيق مرامه. وفي البرّ كان الألمان يقاومون بعصبية بالغة بتأثير الحر الشديد والغبار الكثيف، الا ان نزول فرقة مشاة المستعمرات التاسعة الى الميدان، فضلاً عن نشاط المدفعية، لم يتركا للمدافعين اي امل في الصمود، فاستولى الفرنسيون على الحصون الثلاث التي تسيطر على تولون، ثم تسللوا الى المدينة من خلال خَوْر «الداردين». وفي ٢ آب سقطت المدينة في ايديهم. وفي ٢٨ استسلم روهفوس ومعه ١٨٠٠ من البحارة والجنود الذين كانوا يشكلون البقية الباقية من المدافعين عن المدينة.

في ذلك التاريخ كانت مرسيليا قد اصبحت حرة. فالهجوم عليها كان محدداً لما بعد الاستيلاء على تولون، غير ان «مونسابير» لم يشأ ان يقطف الأميركيون وحدهم ثمرة الظفر، فسارع الى عقدة طرقات «لوكان» حيث راح يوجه نحو مرسيليا قسماً من فرقة المشاة الجزائرية الثالثة ومجموعة من المشاة المغاربة، ومجموعة قتال من الفرقة المصفحة الأولى.

في ٢١ سقطت «اوبان»، وفي اليوم التالي سقطت ضاحية «سان جوليان»، فانتاب دي لاتر قلق شديد لدى مشاهدته حفنة الرجال وهي تغوص في بحر من البيوت فمنع موقتاً اجتياز «الجاري»، وهو جدول يفصل مرسيليا عن ضواحيها، ولكن فيلق المشاة الأفريقي السابع التابع للكولونيل «شابوي» غاب في قلب الجموع. وفي

الساعة الثامنة من نهار ٢٣ خرج الى جادة المادلين باتجاه «كانوبيير» وفي الساعة العاشرة بلغ المرفأ القديم شاطراً بذلك دفاع العدو شطرين. وفي هذه الأثناء اتصل ضابط استعلامات شابوي بالحاكم الالماني الجنرال «شافر» داعياً اياه الى الاستسلام، إلا ان هذا الأخير ابدى تصلبه بعدما كان ابدى استعداداً للاجتماع بـ «مونسابير»، وكان من نتيجة هذا التصلب ان عادت معركة مرسيليا الى اوارها السابق وسط حشود من الناس طغى عليهم الهياج الشديد. وكان ٥٠٠ من القوات غير النظامية، اصبح عددهم ٢٠ الفاً بعد النصر يحاربون الى جانب القوات النظامية، في حين كان مونسابير قد ارتدى البزة التي كان يرتديها عام ١٩٣٩ وأقام في مقر المحافظة، وكان على الراغب في الوصول اليه ان يسير بين الرصاص. وكانت كانوبيير مثقلة بالقطر المدمرة التي تشابكت بأسلاكها الكهربائية، وقد تم اقتحام الهضبة وكاتدرائية «نوتردام - دي - لا - غارد» على مرأى من آلاف الفضوليين.

وفي ٢٧ استسلم شافر، كما استسلم معه ٣٧ ألف جندي بينهم ٧٠٠ ضابط، وهذا العدد يبلغ ضعفي الأسرى في مدينة تولون.

وعلى بعد ألف متر من بروفانسا كان مرفأ آخر ينوه تحت الحصار هو «بريست». ففي ٢٥ آب كان الفيلق الاميركي الثامن قد هاجم المعسكر المحصن وهو يطمح الى الاستيلاء عليه في غضون خمسة ايام. وعلى الرغم من ان جنرال المظليين «رامكي» لم يستشهد تحت انقاض المدينة، فقد ابدى حيال تفوق العدو المادي حزماً رائعاً. ولم تسقط بريست الا في ١٩ ايلول بعدما بات مرفؤها غير صالح للاستعمال.

في وادي الرون كان مصير الجيش الألماني ١٩ سيئاً. اما رجال المقاومة في الألب فقد جعلوا من المسيرة نحو غرونوبل والحدود الايطالية امراً سهلاً للغاية، مما مكّن الفيلق الاميركي السادس من تركيز



• تشرشل» يتفقد قواته في «نورماندیا».

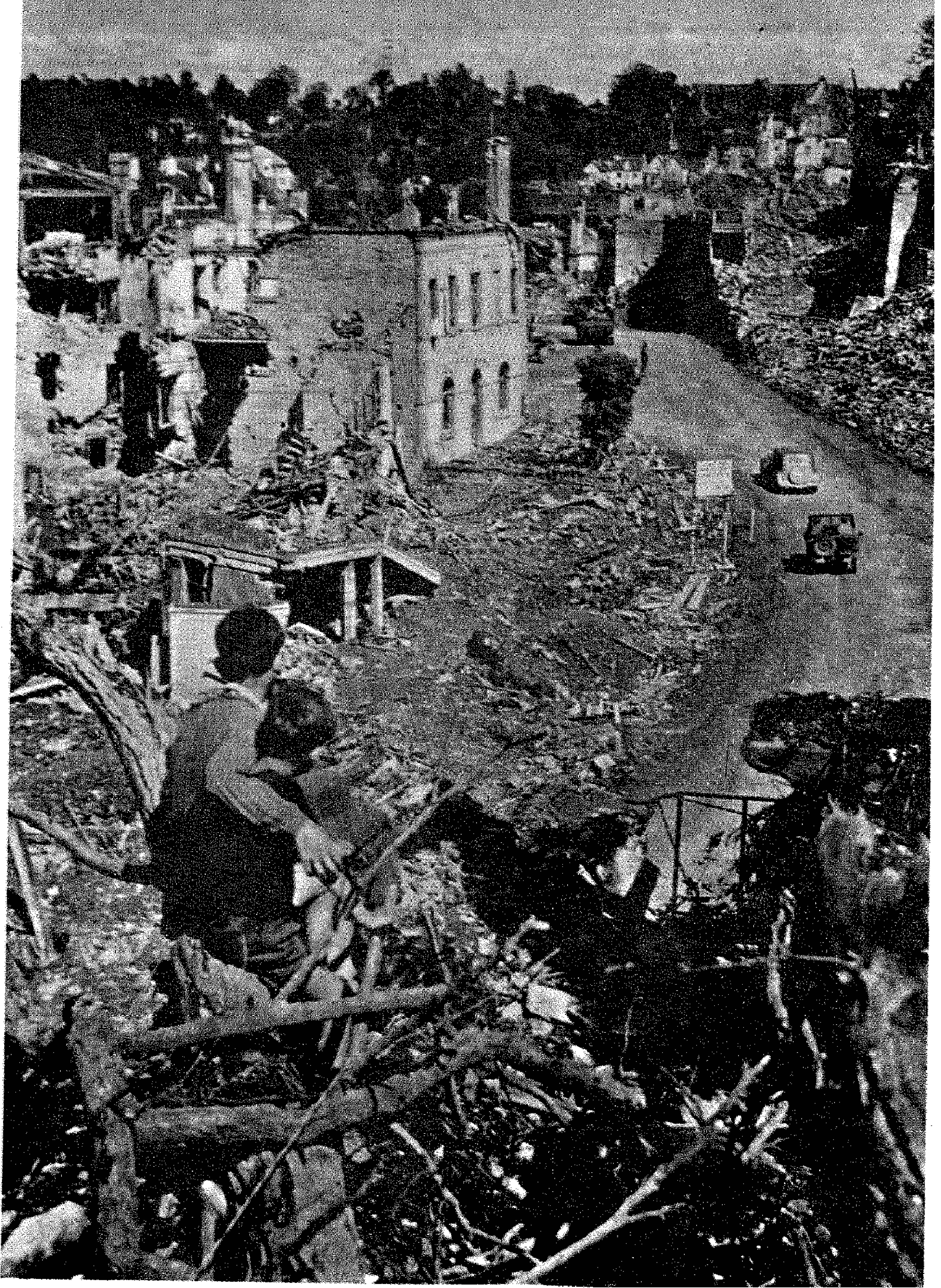
القسط الأوفر من قواته للاطباق على ارتال العدو التي كانت صاعدة نحو ليون بجهد وعناء.

في ٢٢ آب قطع التراجع الألماني شمالي «مونتيليمار». وكانت احدى المفارز قد تقدمت الفرقة ٣٦ فوصلت الى الطريق رقم ٧، ورفعت مدفعيتها الى غابة «مرسان» التي تشرف على الوادي من مسافة ٥٠٠ متر تقريباً مما جعل استسلام الجيش التاسع عشر امراً لا مفر منه.

غير ان قواد القوات الالمانية، وجزءاً من هذه القوات، قد حافظوا على رباطة الجأش، فصدت محاولات اميركية عديدة للاستيلاء على مونتيليمار من خلال وادي روبيون، وبعدما دعم «فيسي» هذه الركيزة جمع فرقة المصفحات ١١ وفرقة المشاة ١٩٨ معاً ووضعهما تحت امرة «فون فيتر شايم»، واصدر اليه امراً بأن يعيد فتح طريق ليون مهما بلغ الثمن. كانت التحركات صعبة بصورة تفوق الوصف. وكانت الاتصالات تتصدع في كل لحظة. واما شاحنات الغازوجين القديمة فكانت الآليات المتحركة الوحيدة لديهم. وكان على العناصر الذاهبة الى الجبهة ان تشق طريقها بالقوة وسط الحشد الكبير على الطريق رقم ٧. لقد شن اكثر من هجوم خلال النهار والليل، لكن كل هذه الهجمات باءت بالفشل. فقد ارتكبت القيادة الاميركية الخطأ نفسه الذي ارتكبته في «فاليز».

في الساعة ٨ من صبيحة ٢٦ أعلم فيتر شايم رئيسه بانه قد تمت استعادة «كوكورد»، واعيد فتح الطريق. كان التراجع قد بدأ ثانية منذ وقت قصير، فاذا بمياه الدروم تفيض فجأة، معطلة المعبرين الوحيدين موقتاً، ولم يعد الفيلق ٨٥ الى مسيرته الا ظهر يوم السابع والعشرين. واما المدفعية الاميركية، التي كانت تطلق نيرانها بدقة وسهولة من مرتفعات «مارسان» فقد سددت إلى الرتل الالماني ناراً رهيبة سحقت السيارات، وفجرت عربات المؤن وأزهقت البهائم، وهذا كان حلم رجال المدفعية الاميركيين، لكن بعض ضباط الأركان العامة الألمان الحازمين راحوا يعجلون بالعبور ويلقون بقايا الجيش التاسع عشر في الدروم.

فيما وراء ذلك كانت القوات الالمانية والحليفة على السواء تتجه نحو ليون، حيث تمكنت الفرقة الفرنسية الخفيفة، يوم الأحد في ٣ ايلول من دخول المدينة وعلى رأسها الرماة البحريون. ولكن من جملة ٢٠٩ آلاف رجل خاضوا عملية التراجع تمكن فيسي من انقاذ ١٣٠ الفاً فقط والاتجاه بهم نحو ثغر بلفور.



• طفلان فرنسيان يرقبان قافلة عسكرية تمر في ضواحي «سان - لو».

"باريس" هل تكون

الواقع ان انتظار تحرير باريس قد طال. كان في مقدور اي من فيالق باتون الثلاثة ان يزحف عليها منذ مطلع آب، لكن خطة الغزو اعتمدت اسلوباً آخر، اذ يقتضي ان تسقط العاصمة الفرنسية بتطويق، وليس بهجوم مباشر تجنباً من القيادة الحليفة للأضرار والخسائر التي يمكن ان تسببها حرب الشوارع، سواء على صعيد القوات، او على صعيد التراث الفني الفرنسي، هذا فضلاً عن ان مصالح التموين والنقل العسكرية قد حسبت ان تزويد باريس المحررة بالمؤن يقتضي ٤ آلاف طن يومياً اي ما يعادل استهلاك ثلاثة ايام من الوقود لا بد من ان تفقدها النقليات العسكرية على حساب العمليات.

كان الموعد المحدد للسقوط ١٥ تشرين الأول، اما ما قد يتمخض عنه شهران من الانتظار بالنسبة لأربعة ملايين نسمة حوصروا وحرموا من كل الضروريات، فأمر يبدو انه لم يخطر في بال.

وكما كانت باريس تشكل مشكلة للحلفاء كانت هي كذلك بالنسبة للألمان. فاحتفاظ هؤلاء بها كان يفرض عدداً كبيراً من الرجال ويثبت الجبهة على السين، الأمر الذي لم يكن متفقاً مع توصيات هيئة الأركان. ومع هذا، فقد قرر هتلر ان يبقي في العاصمة الفرنسية حامية فرض عليها ان تقاتل حتى آخر رجل على اعتبار ان التضحية بها ثم بالمدينة سيسهل اقامة موقع للمقاومة على السوم وعلى المارن ويوفر للجيش الالماني استراحة ثمينة.

راح هتلر يبحث عن رجل يطمره تحت ركام باريس. كان قائد الموقع جريحاً، وهو الجنرال بارون «فون بوانبورغ - لنغسفيلد». فاقترح «بورغدورف» على هتلر ان يستبدله بالجنرال «ديترتش فون شولتتز» الذي اعفي حديثاً من قيادة الفيلق ٨٤ بسبب خطأ هو بريء منه. واصر هتلر على تزويد هذا الجندي بأوامره شخصياً، فمضى شولتتز الى رستنبورغ

فرصوفيا ثانية ؟



• كولونيل «رول - تانغي» في مكان ما في «باريس» امام خريطة المدينة.

في السابع من آب دون ان يدور في خلده ما رسم او ما يمكن ان يكون قد رسم له هتلر من دور.

كان شولتتز كثير السمنة، مريض القلب، ذا نظارة واحدة، وهو يتمتع بقدر كبير من النباهة والقدرة، ولكنه كان، ككل الضباط المتهنين تقريباً، غريباً عن السياسة مبدئياً، فلم يكن في الأساس هتلرياً ولا خصماً للهتلرية، ولكنه اخذ يفكر عندما بدت له الهوة التي يقذف فيها الرايخ الثالث المانيا. ومع انه كان جنرالاً فتياً صغيراً تجاسر وسأل المارشال «فون مانشتاين» عما يعرفه عن المؤامرة العسكرية التي دبرت ضد الفوهرر، لكن مانشتاين، وهو الوقاد الذكاء، قد نصح الضابط، بالتزام الطاعة دون ان يخفي عليه مشاعر المقت تجاه الطاغية، فاذعن شولتتز لذاك الصوت الذي يتسم بطابع السلطة والنفوذ، ولكن ذلك لم يمنعه من ان يسائل نفسه عن الحدود التي تتوقف عندها الطاعة قبل ان يعهد اليه بقيادة موقع باريس.

وما ان ادخل الى مكتب هتلر، بعدما غدا التفتيش الزامياً على الجميع، وجد شولتتز نفسه امام «رجل كهل اغبر الشعر، مقوس الظهر، مرتعش الاوصال» فصافحه بكثير من الحذر وراح يصغي اليه وهو يسرد له تاريخ القومية الاشتراكية. وما ان بلغ حادثة ٢٠ تموز

حتى انتابته موجة من الجنون الدموي »، وهنا يقول شولتتز: «كان ارتجاف بدنه يهز الطاولة التي جلس اليها هزاً عنيفاً وراح يرغي ويزبد فادركت انني امام مجنون ».

غير ان الأوامر التي سلمت الى شولتتز لم تحمل اي أثر من ذلك الجنون، بل كانت واضحة وصريحة، وهي تمنحه سلطات حاكم موقع، وان محاصراً، تمتد صلاحياته الى مختلف اقسام الجيش الالماني، وربط بقيادة الجيش العليا مباشرة، وزود بتوصيات مشددة بشأن العلاقات التي ينبغي ان يقيمها مع قيادة الجبهة الغربية، والشرطة، والسفير «اتبز » الخ... وكلف بتطهير باريس من جنودها المبتعدين عن خط النار وجعلهم «عبرة لكل من يتهرب من مسؤولياته على الجبهة ». وطلب اليه اخيراً ان يؤمن الهدوء في باريس الكبرى، فيمنع كل تمرد، وكل تخريب، وكل عمل ارهابي، من غير لجوء الى تدابير خاصة تعتمد الزجر والارهاب.

وصل شولتتز الى مقره في التاسع من آب وباريس لما تزل هادئة، وابناؤها يترقبون النتيجة التي ستسفر عنها معركة نورماندي. المصانع تستمر في العمل، القطارات ماضية في سيرها. اماكن التسلية تستقبل روادها. الأولاد يلهون في الحدائق العامة. ضفاف السين لا تزال تعج بالرواد، لكن التموين غدا صعباً ومحطات المترو تغلق ابوابها الواحد تلو الآخر، والتيار الكهربائي لا يصل إلا حوالي نصف ساعة في اليوم. هذا ورحيل مصالح الجيش الألماني وأركانه ماض على قدم وساق، وتوارت النساء المساعدات، اما الغستابو وقيادة سلاحي البحرية والطيران فقد رحلت، او هي على وشك الرحيل.

كان شولتتز يطمح الى افتتاح مهمته بمطاردة المتوارين المستخفين، الا انه كان يريد تجنيدهم في تشكيلات طوارىء فاذا بهم يأوون الى ملاجىء جديدة.

ولم يتوقف الرحيل على الالمان، بل تجاوزهم الى الذين تعاونوا معهم، فكان «شويدمان » مستشار السفارة هو أول من عمل على بث الذعر عندما نبه الصحافي الفرنسي «جان لوشير » الى ان الجيش الألماني قد يضطر الى مغادرة باريس موقتاً. ففيما اقدم «دريو لاروشيل » على الانتحار بقي بعض الشجعان امثال «برازلاك » و«سواريز » وهم على استعداد لتبرير موقفهم، اما الباقون امثال برينون ودورريو ولوشير وجانتيه، وراباتيه، وكوستو فقد تواروا عن الأنظار مزودين بوعد اتبز ووعيده: «اننا لعائدون، ولقد اهتدينا الى اسلحة فتاكة رهيبة،

أتسمعون؟ رهيبة مخيفة. وان قلوبنا لتتقطر أسى اذ ندرك ما ستنزله هذه الأسلحة بفرنسا... سنعود قبل حلول الميلاد في اقصى حد». اما الآن فالوسائل العسكرية المتوافرة للجنرال «فون شولتتز» فضعيفة هزيلة. فثلاثة من أفواج فرقة الأمن ٣٢٥ الأربعة القديمة، وهي حامية باريس العادية، قد أرسلت لتغذي مجزرة نورماندي، وتناثر الفوج الرابع بين نقاط الارتكاز الست والثلاثين المهيأة في الأساس للفرقة بكاملها، فلم يبق من القوة المتحركة غير كتيبة واحدة اعتمد رجال سريتين من سراياها على الدراجات، وامتلكت، فضلاً عن ١٧ دبابة فرنسية ترقى لعام ١٩١٧، مدفعاً من عيار ٧٥ ينتسب الى العهد ذاته، مزوداً بـ٦٨ طلقة. تمكن شولتتز من احتجاز ١٧ دبابة من طراز «بنتير» كانت في طريقها الى الجبهة، ولكن توجب عليه ان يعيدها باستثناء أربع منها بناء لأمر صادر عن مجموعة الجيوش. وهكذا بلغ ما تحت امرته من الرجال بمن فيهم جنود المكاتب والإعلام، والجنود الفتيان الذين تتراوح أعمارهم ما بين ١٥ و١٧ سنة، والعاملين في المدفعية المضادة للطائرات ٣٠ ألف رجل، فكان من الوهم بمكان تكليفهم بملء خطين للدفاع الخارجي، وتكليفهم في الوقت عينه، بمهمة السهر على الأمن والنظام في مدينة يبلغ عدد سكانها ٤ ملايين.

وعندما اتضح لشولتتز انه يستحيل عليه القيام بمهمته النظرية حدد لنفسه مهمة عملية تقوم على ابقاء خطوط المواصلات اللازمة للقوات الألمانية مفتوحة سالكة. ولقد زاد من خطورة هذا الهدف وأهميته ان جسور باريس وحدها هي السليمة، وان المدينة التي اعفيت من القصف هي الاسطوانة الدائرة الموزعة بالنسبة للمعركة. كان امر المحافظة على الهدوء في مدينة باريس، بالتالي، ضرورة ملحة. اما بالنسبة لفرنسا فقد اتخذت مشكلة باريس العسكرية خطورة أساسية اولى، واستحوذت على تفكير ذاك الرجل الذي أدرك انه يحمل مسؤولية الوطن التاريخية في ساعة حاسمة خطيرة الا وهو شارل ديغول. اما عودته الى الاتصال بأرض الوطن فقدحصلت يوم ١٤ حزيران في «باتو» حيث استقبل بهتاف متواضع، وعبر عن سلطته بتنظيم ادارة المناطق المحررة، وعاد من غده الى مدينة الجزائر. وبعد أيام ساقه سفر جديد الى ايطاليا حيث نال بركة البابا. ونزولاً عند شرط وضعه روزفلت سأل عما اذا كانت زيارته مستحبة، واستقل الطائرة الى واشنطن ذلك ان الرئيس كان قد أجاب سفيره

« جون وينانت » المؤيد للديغولية ، لأسابيع ستة خلت ، متلفظاً بهذه الكلمات: « لو استطاع اي انسان ان يقدم لي وثيقة تثبت ان ديغول يمثل الشعب الفرنسي لكنت على استعداد للتفاوض معه ، وما لم يتم ذلك ، فأنا لا أنوي العدول عن موقفي. » فعمدت السلطات الاميركية منذ ذاك الحين الى تحليل مشاعر الشعب الفرنسي ، وتوصلت ، على حد قول « كورديل هال » ، الى هذه النتيجة التي تقر بأن البلاد تعترف بديغول كسلطة موقتة. فما كان من السياسة الاميركية الا ان تقيدت بهذا الواقع.

عاد ديغول من واشنطن باعلان تعترف به حكومة الولايات المتحدة بأن لجنة « التحرير الفرنسية مخولة لإدارة فرنسا ، فتبدد شبح الحكومة الاميركية البعبع ، من غير ان تتبدد تلك الريبة العميقة التي تشكل طبع الجنرال وما يمتاز به على التوالي من قوة ووهن.

والآن.. لننطلق الى باريس! هناك استبد القلق بديغول عندما علم بمؤامرة « لافال - هيريو » ، وايقن ان خيوطها حيكت برضى اميركا ، فرأى انه من الضروري العودة « الى جمع شمل الأمة الخارجة من الهوة » فغادر مدينة الجزائر في ١٨ آب معرجاً على « الدار البيضاء » و « جبل طارق » ، الا ان بعض الحوادث التي تعرضت لها الطائرة قد أدخل في روعه ان ثمة من يسعى الى احتجازه ، وربما الى الخلاص منه. وحقيقة الأمر ان لجنة رؤساء الأركان المشتركة قد أعلنت ، جواباً عن سؤال طرحته هيئة تنظيم الغزو ، انها لا ترى ما يحول دون اكمال الرحلة ، وان على الجنرال ايزنهاور ان يستقبل الجنرال ديغول كقائد أعلى للقوات الفرنسية.

وبالفعل تمت المقابلة في الواحد والعشرين ، حيث وقف ايزنهاور أمام خرائطه عارضاً الوضع العسكري الناجم عن انتصار « فاليز » ، فاذا هو باهر للغاية ، اذ خسر العدو ٣٠ فرقة ، وعمد ما تبقى له من قوات الى التقهقر. وفيما نشط الجيش الكندي الأول والجيش الانكليزي الثاني الى مطاردة الفارين من « فاليز » جنوبي « رووان » سيطر الجيش الاميركي الأول على معابر « براسين » للوقوف في وجه تراجعهم. كان التصميم قد حسب حساب فترة توقف على النهر ، الا أن « ايك » قرر ان يختصر مهلة قد ابطل وضع الخصم كل نفع يرتجى منها. ففي مساء امس عثرت دورية تابعة لفوج المشاة٣١٣ برئاسة الرقيب « وايت » ، على معبر لم يتم تدميره يقع بالقرب من « مانت - غاسيكور » ، فاستخدمته للعبور ، والماء يبلغ الصدور ، وما لبث الفوج الذي انتزع من سباته ان تبعها ،

وسرعان ما وصل عمال الجسور فبادروا الى العمل، ولم يمض طويل وقت حتى عبرت فرقة المشاة ٧٩ الى الضفة اليمنى بمدفعيتها ومصفحاتها. وهكذا فعلت فرقتا المشاة الرابعة والسابعة في «مولون» و«مونتيرو». وأخذ فيلق بكامله يستعد للزحف الى المارن فيما توجهت عناصر اخرى من جيش باتون ناحية «تروا» و«ديجون» لتحقق اتصالها بالجيش السابع.

لكن ديغول كان يسعى الى تحقيق حلمه، الا وهو تحرير باريس. اما الحجج التي تقدم بها فهي عسكرية بحتة: لم لا يعبر الحلفاء نهر السين في باريس نفسها بدلاً من ان يعبروه في القطاعين الأعلى والأسفل من مجراه؟ كان لتحاشي الهجوم الجبهي ما يفسره، فيما لو كان الدفاع عنها قوياً ضارياً، والمعروف ان الحامية الألمانية في غاية الضعف. وقال: «فبضع طلقات من المدافع تمكنكم من احتلال باريس، وان ذلك ليعني ان أهم عقدة للمواصلات في اوروبا الغربية، وامكانات مدينة صناعية ضخمة، ومجموعة من ٦٢ جسراً سلياً على الأرجح قد تسقط بين أيدي الحلفاء بالقليل البخس من النفقات.

تحدث ديغول في مذكراته عما لمسه من ارتباك لدى محدثه، ورأى في هذا الارتباك ما يؤكد شكوكه. ويشير الى



• أسر الجنود الألمان في «باريس».

ان الانكليز والاميركيين يبحثون عن وسيلة ينازعونه فيها ذاك التكريس الذي كان من حقه ان ينتظره من مبايعة باريس. والواقع ان واضعي تصميم الغزو لم يحاولوا قط اقصاء الفرنسيين عن تحرير عاصمتهم. ففي الأيام الأولى من عام ١٩٤٤ كتب المصمم «فريدريك مورغان» ما يلي: «انه لمن الخطورة بمكان ان تضم القوات الأولى التي ستفتتح باريس عناصر من

الفرنسيين » وما كان الحاق الفرقة المصفحة الثانية، وهي وحدة ديغولية صميمة ممتازة بجيش نورماندي، الا تحقيقاً لتلك الرغبة. صحيح انها تركت على خط القتال على ابواب «ارجنتان» فيما مضت عدة فرق اميركية تواصل زحفها باتجاه «درو» و«شارتر»، ولكن، عندما اتخذت هذه التدابير، لم يكن فتح باريس متوقعاً قبل انقضاء عدة أسابيع، ولم يكن احد بعد يهم بمعرفة ما اذا كان المحررون سيفدون من الشمال ام من الغرب ام من الجنوب. ومهما يكن من امر فان الحجج الفنيــة اوردهـا الجنرال ديغول من معسكر ايزنهاور ساخطاً حانقاً لعدم فوزه بموافقته. كانت قضيته على وشك الفوز. ففي المساء نفسه كتب ايزنهاور الى «مارشال» يقول: «لا أرى ارجاء فتح باريس امراً مرغوبا فيه بعد اليوم». ولقد خلص «برادلي» الى الرأي عنه اذ قال: «بوسعنا السير الى باريس وان ذلك لواجب»، وقال لصحفيي معسكره ان عددهم يمكنهم من القيام بفتح باريس وحدهم، وبقي مونتغمري وحده يصر على تأجيل موعد التحرير «الى ان يغدو اقتراحاً عسكرياً صحيحاً سليماً. ذاك ان فكرة كانت قد استحوذت على تفكير مونتي، وهي تطهير شواطىء بحر الشمال من قواعد اطلاق الصواريخ. فصواريخ «ف١» كانت لا تزال تعيث في لندن دماراً وخراباً، وصواريخ «ف٢» التي تفوق سرعتها سرعة الصوت، كان انطلاقها مرتقباً بين يوم وآخر.

ومهما يكن من امر، ففي ٢١ آب لم تبق المشكلة تامة، لأن الثورة كانت انفجرت في باريس، وقد سبقتها موجة من الاضرابات بدأت في العاشر من الشهر نفسه على أيدي قسم من عمال الخطوط الحديدية وموظفيها. وفي ١٥ منه توقف حراس الأمن عن القيام بمهاتهم، الأمر الذي أثار حفيظة شولتتز، فهاج وماج، الا انه ارتضى تنفيذ الاتفاقية المعقودة بين قنصل اسوج العام «روول نوردلينغ» والادارة الالمانية حول تحرير الأسرى السياسيين الذين خشيت ابادتهم في اللحظة الأخيرة. وهكذا خرج من المعتقلات ٤ آلاف سجين بينهم بضع مئات كانت القطارات قد مضت بهم الى المنفى، وبذلك أعاد قائد موقع باريس الى العدو فريقاً من قادته في عشية محنة لا تبقي ولا تزر، وهي، لعمري، خطوة لم يكن من اليسير تبريرها امام الفوهرر.

ومع دنو موعد التحرير كان ذلك النزاع الصامت المعقد آخذاً في الاشتداد، اي النزاع حول نظام الأمة الفرنسية، العتيد. أيكون نظاماً شيوعياً؟ ام ديمقراطياً حراً؟ كان



• دبابات الفرقة الفرنسية المصفحة الثانية في «باريس» وبدا الجنرال «لوكلير».

الجواب مرهوناً بالموقف الذي ستتخذه باريس.

موقف الشيوعيين كان واضحاً وهو يتمثل في ان تقوم على استقبال ديغول سلطة ثورية في العاصمة، فتعطيه دوراً شكلياً الى ان تحين الفرصة لإزاحته تماماً. فبدلاً من اجتياز مرحلة المآسي والآلام كان لا بد منها لخلق الجو الثوري وتشكيل الثقة الشعبية التي سيعمد الحزب الشيوعي الى استغلالها، وهو الذي كان يتمتع بقوة ونفوذ كبيرين. ويكفي ان نشير الى «باستيان» الذي قتل أول ضابط ألماني في باريس، وبروتون تانغي الذي يقود قوات المقاومة الفرنسية في محافظة السين، فهذان الشيوعيان وغيرهما قد سيطرا على لجنة التحرير الباريسية وعلى اللجنة العسكرية، بيد ان قواتهم المقاتلة وعدد قتلاهم لم يبلغ من الضخامة ما كانوا يزعمون، الا انهم كانوا يشكلون الجناح الثائر الذي كان في الفترات الثورية يجر وراءه كل شيء.

لقد أدرك قادة المقاومة غير الشيوعيين خطة هؤلاء وما تشكله من خطر، فما كان منهم الا ان وافقوا على الرفض الانكليزي الأميركي المتعلق بالقاء الاسلحة بواسطة المظلات في المناطق الآهلة في المدينة، كما وافقوا على القرار الذي اتخذه الجنرال كوينغ

بايقاف حرب العصابات رغبة منه في وضع حد لأعمال الانتقام التي تسببها. لم يكن رجال مدينة الجزائر. بدءاً بممثل الحكومة الموقتة العام، «الكسندر بارودي»، ليجهلوا ان الخطة الشيوعية موجهة ضد ديغول الذي يعتبرونه العائق الوحيد امامهم لبلوغ الحكم، فتخوفوا من ثورة باريس للسبب الذي من أجله أرادها الحمو. ولكن الاتهامات التي وجهت اليهم كانت قاتلة، ومحاولات الضغط التي تحملوها لم تعرف شفقة او رحمة.

في ١٥ آب عاد «شابان دلماس» مساعد «بارودي» العسكري، عن طريق نورماندي، من مهمة استطلاع في لندن فهم اثناءها ان الحلفاء لم يكن في نيتهم فتح باريس قبل مرور عدة أسابيع، مما جعل الفتنة والاضراب العام أشد اثارة، وأقرب الى الوقوع، وكان النداء الذي أطلقه معبراً عن هذا الواقع، اذ قال: «حذروا الأهالي بواسطة الإذاعة البريطانية تحذيراً واضحاً ودقيقاً لكي نتجنب حصول فرصوفيا ثانية. ولكن ما كتب قد كتب! ففي السابع عشر من آب عقد مجلس المقاومة القومي اجتماعاً في «فانف» فتبين لـ«بارودي» ان المتطرفين أشد نفوذاً منه، وان الفتنة آتية شاء أم أبى، فرأى من الحكمة ان يأمر بها بدلاً من ان تفرض عليه فرضاً.

وفي ١٩ منه بدأت حركة العصيان في باريس باقدام افراد الشرطة على احتلال مركز ادارة الشرطة، واعتصامهم فيه بقليل من الأسلحة وبعض أوعية البنزين اللازمة لصنع القذائف من نوع «كوكتيل مولوتوف». وهناك اعلنوا الولاء بحماسة تامة للمدير «لويزيه» الذي عينته مدينة الجزائر. كان ذلك الحدث خطيراً للغاية وسابقة ارتضاها الشيوعيون دون ان يتبينوا حقيقة مرماها. والحق انهم سيلعبون دورهم، ولا سلطة لهم، فرؤساؤهم كانوا رجالاً صالحين لحرب العصابات، ولم يكونوا ثواراً بالمعنى الصحيح، وهكذا لم تعرف باريس في شهر آب من عام ١٩٤٤ رجلاً كـ«لينين»، والا لكان مصير فرنسا وأوروبا قد تغير وتبدل.

لقد استنتج شولتتز، من هذه الفتنة المندلعة في اعقاب الافراج عن الأسرى السياسيين، ان حملة زجرية قاسية باتت تشكل الموقف الوحيد المعقول، ولكن شيئاً من ذلك لم يحصل، بل باتت الأوامر التي أصدرها مائعة لينة: «يجب الابتعاد قدر المستطاع عن تعكير الحياة المدنية... وعلى مجموعات القتال ان تلزم موقفاً حذراً متفهماً ازاء شبيبة متوترة..»، ولقد حظر استخدام الأسلحة الثقيلة، كما حظر على الدبابات

ان تستعمل القنابل المتفجرة. وعمد شولتتز الى التخفيف من أهمية الفتنة، على اعتبار أن أياً من الأبنية التي يشغلها الألمان لم يتعرض للهجوم، وانهم لا يزالون يشرفون على الجسور كلها. فالمهمة التي وضعها لنفسه، وهي تأمين حرية المرور للقوات التي تجتاز باريس، ما برحت مضمونة، وهو يعتقد انه يغامر بها اكثر مما يخولها فيما لو عمد الى اتخاذ تدابير زجرية متطرفة في حق الثوار.

الحقيقة ان وجهة النظر هذه كانت مصطنعة. فالأحداث التي جرت في ١٩ آب كانت مدعاة للقلق، اذ سقط الكثير من الجنود الألمان واحرقت العربات الألمانية في اكثر احياء المدينة وضواحيها واحتل المتمردون مراكز المخاتير كلها فضلاً عن مراكز ادارة الشرطة. لم تكن الثورة شديدة الوطأة، الا انها كانت تستقر وتتسع، فانذر قائد موقع باريس رئيس المجلس البلدي بانه قد يضطر الى انتهاج سياسة حازمة لا تعرف الرحمة، الا ان تهديده ووعيده قد انتهيا بعبارات عاطفية تتناول جمال باريس والخوف من اراقة دم الحسناوات الباريسيات!



• استقبال «ديغول» بعد تحرير فرنسا.

ديغول في قلب باريس



• «ديغول» الأمل الفرنسي..

بدأت تباشير العاصفة تلوح مع هجوم الدبابات على مقر الشرطة، ومع ان المدافعين عن هذا المقر قد تمكنوا من صد محاولة للتسلل، فقد ظهرت المقاومة غير قادرة على الامساك بزمام الأمر، وقد دب في نفوس افرادها ذعر شديد، لا سيما بعدما انخفض عددهم من الفي عنصر الى ٥٠٠ عنصر مزودين بحوالي ٣٠ بندقية رشاشة عاجزة عن اطلاق النار لأكثر من دقيقتين، وهذا الواقع دفع «بيساني» رئيس غرفة «لويزيه» الى الاتصال هاتفياً بزوجته قائلاً لها: «لن نخرج احياء من هذا المكان...» وبعد ساعة من ذلك اصدر «بارودي» الكائن في الخارج امراً بالجلاء فجاء الجواب سلباً على اعتبار ان جميع النوافذ واقعة تحت نيران المهاجمين.

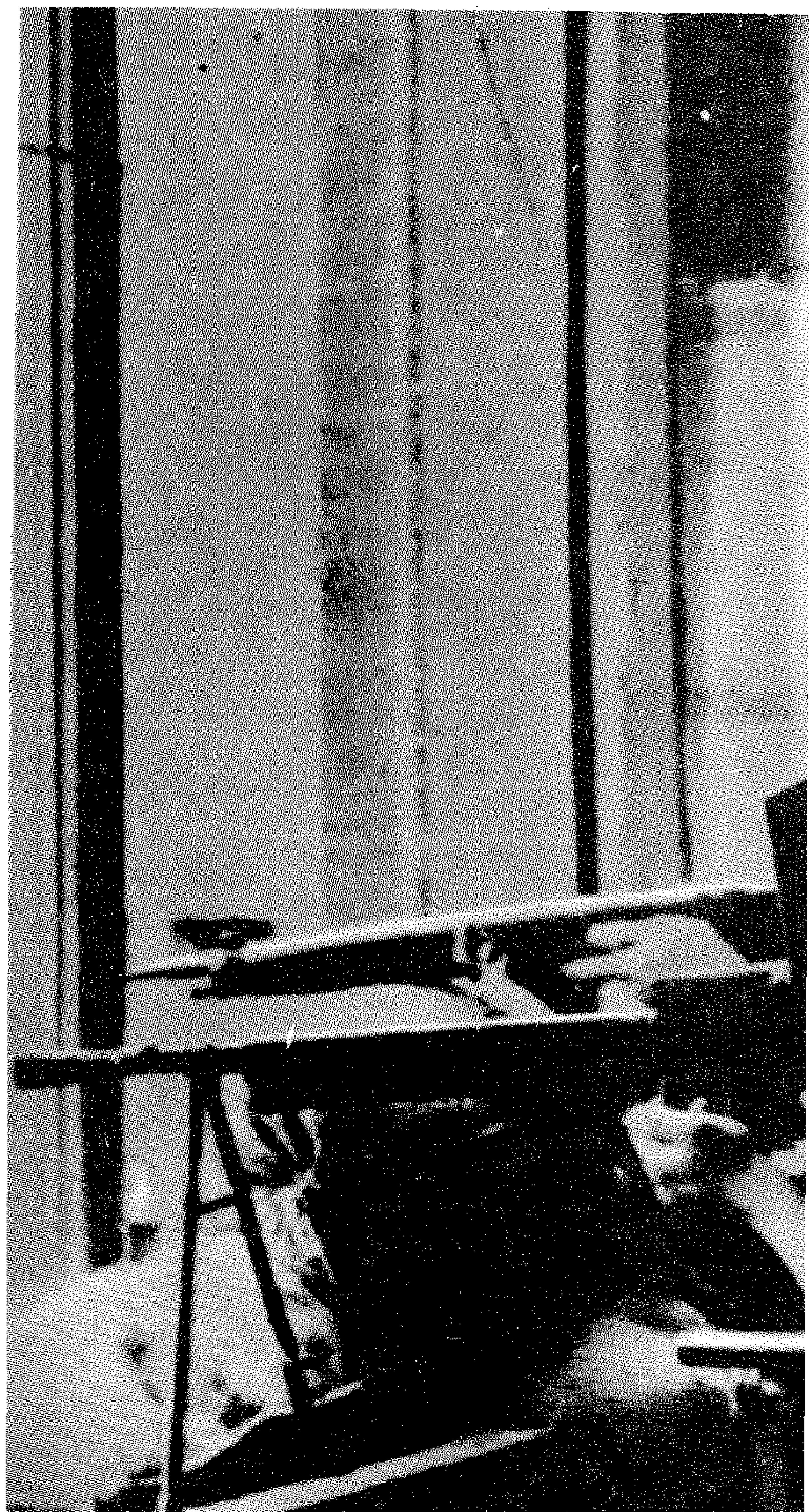
في ذلك الوقت بالذات اتصل «بوسيير» مدير الشرطة المخلوع، بالقنصل «نوردلنغ» الذي كان محتجزاً في شقته شارحاً له الوضع اليائس لمقر الشرطة، وسائلاً اياه ما اذا كان بميسوره القيام بأي مسعى لانقاذ المدافعين عنه، وقد تمكن نوردلنغ من

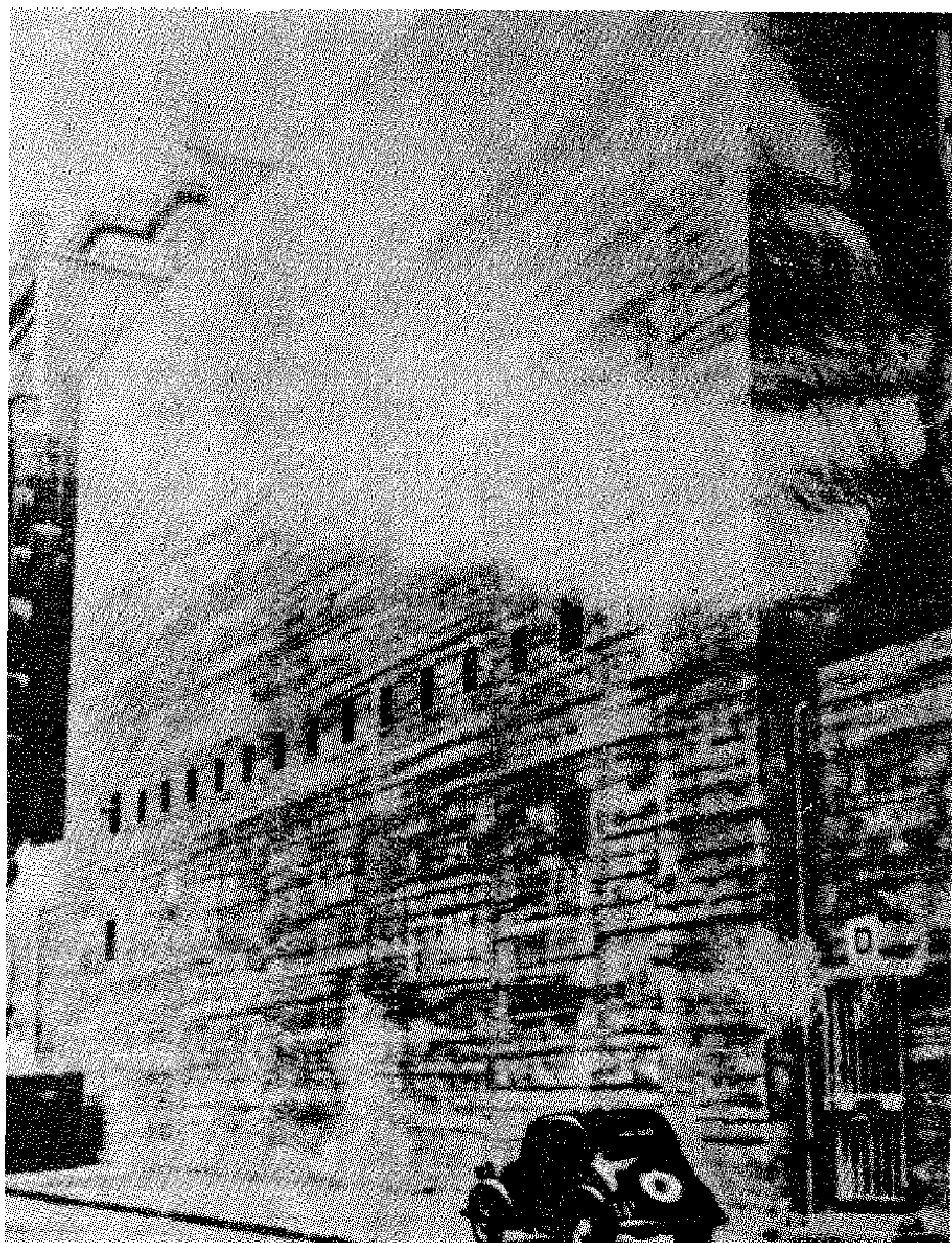


مقابلة شولتتز في فندق «موريس» حيث علم ان هجوماً سيشن على مقر الشرطة عند فجر اليوم التالي بعد اعداد جوي تشترك فيه ٣٠ طائرة كانت لا تزال في مطار بورجي، فأشار بأن القنابل سوف تتساقط على الكاتدرائية، وقدم بكثير من التشاؤم اقتراحاً بوقف اطلاق النار، فكانت معجزة! لقد قبل شولتتز بذلك! وأما الشروط التي تفوه بها هو نفسه فقد كانت بعيدة عن التصديق: فقد قبل بالتناقش مع سلطات المقاومة، حتى انه قبل باستقبالهم من غير ان يمسهم سوء، وتعهد بألاّ يهاجم المباني التي يحتلها الوطنيون على حد تسميته، وراح يفكر بايجاد وسيلة للتعايش للأيام المقبلة.

• حرّاس من الشرطة الباريسية يطلقون النار على الألمان.

• استعمل فندق «ماجستيك» متراسا هائلاً.





لقد اتسم شك هتلر بطابع مشوش، وكان شولتتز قد شهد بام العين هذيانه، وانذر في الوقت عينه بأن طاعة الجنرالات ستؤمن بفضل قانون الرهائن يطبق على نسائهم واولادهم. كان من شأن الهدنة ان توفر للجيش الألماني بعض الفوائد، ولا سيما التقنية، لكنه لم يكن قابلاً للتصديق ان ينبري شولتتز لعقدها دون استشارة المارشال مودل، قائده الأعلى، او القيادة الحربية العليا.

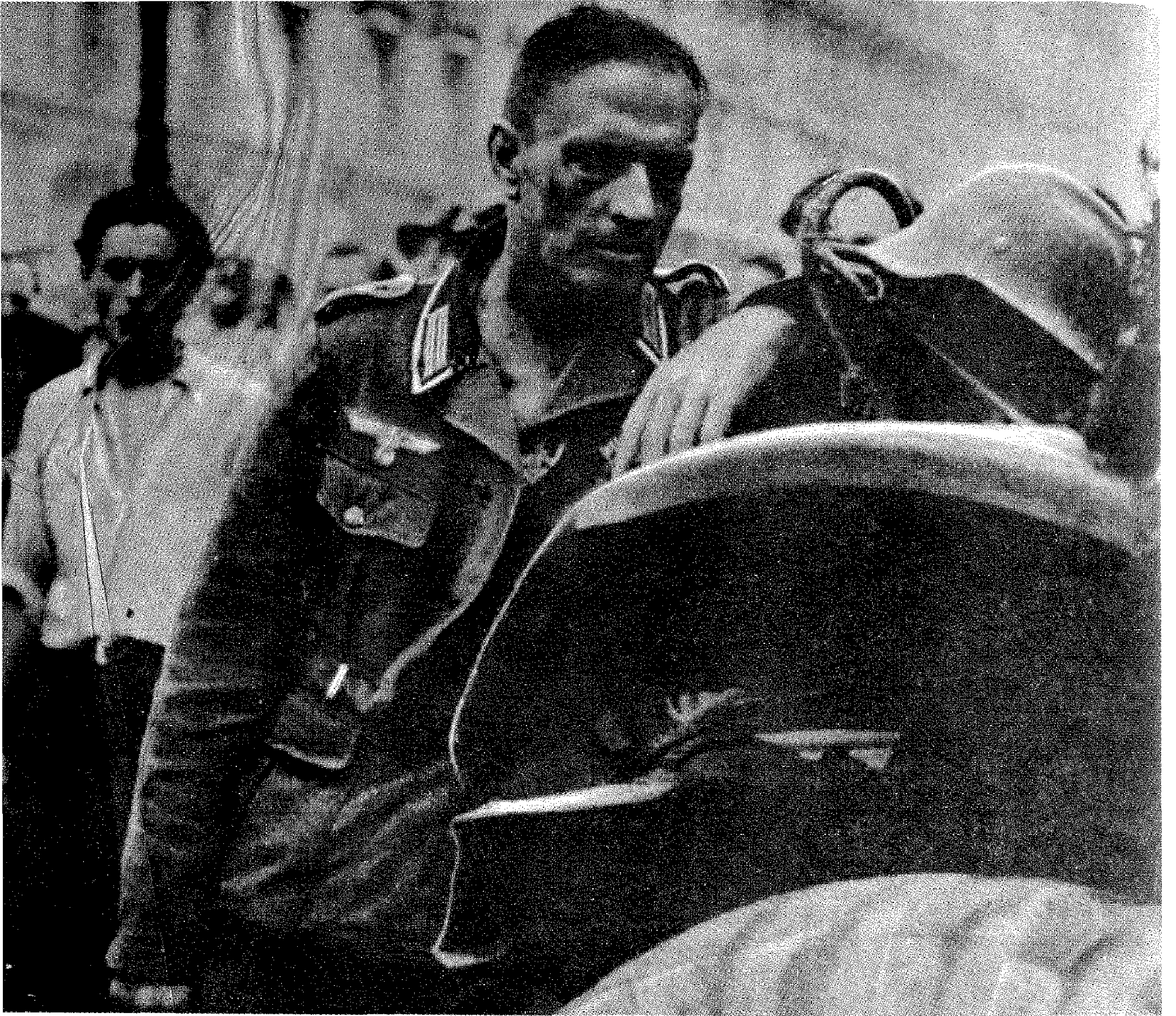
في ٢٠ آب أعلنت الهدنة في شوارع باريس بواسطة مكبرات الصوت التي راحت تذيع باللغتين الفرنسية والألمانية. كان بارودي قد رفض الاتصال شخصياً بشولتتز، وقد اقتصر النداء الفرنسي



• جنود المان أمام جثث بعض رجال المقاومة الوطنية الفرنسية.

الصادر باسم الحكومة الموقتة. وباسم مجلس المقاومة الوطني على طلب «وقف، اطلاق النار في وجه المحتل ريثما يتم الجلاء التام عن باريس».. ومع ذلك لم تقف الهدنة عائقاً في طريق الثورة. او تفشيها. ففي مطلع النهار كانت دار البلدية قد وقعت تحت الاحتلال. ولكن حاكم «السين» الذي عينه ديغول على غرار مدير الشرطة، قد تسلم مهامه من غير عناء كثير. ونعمت الهدنة سريعاً بتطبيق غير مرتقب. وبعد الظهر، وأمام وزارة الحربية اوقف حاجز ألماني سيارة كانت تقل بارودي واثنين من معاونيه، وتقدم ضابط من الغستابو يتطوع لرمي الرجال الثلاثة بالرصاص على الفور، ولكن شولتتز امر باقتيادهم الى فندق «موريس»، وحين استنجد هؤلاء بالهدنة المعقودة أمر باطلاق سراحهم، وامتقع لونه اذ تغاضى بارودي عن اليد التي مدها له مصافحاً «مصافحة ضابط لضابط»، ومع ذلك لم يعد عن قراره. وخرج المندوب العام طليقاً، ولكن معرضاً لشبهات المتطرفين الذين رأوا في التوقيف الذي جرى في «بولفار - سان - جيرمان» خطة مدبرة لاحلال الاتصال الشخصي الذي اصطنع بارودي رفضه.

اعتبرت الهدنة في مركز الشرطة بمثابة خشبة خلاص. وفي باريس استقبلها الأهلون باللهفة والترحاب. وفي المجلس الوطني للثورة كان الصوت المعارض الوحيد هو صوت «فيون» ممثل الحزب الشيوعي. على اعتبار ان الهدنة كانت بمثابة كارثة للشيوعيين، وعندما قيل لأحد رؤسائهم انها تنقذ



● جندي الماني بعد آسره في « باريس » في ساحة « الأوبرا ».

حياة ٢٠٠ الف باريسي اجاب بان الثورة تستحق مثل هذا الثمن.

وفي اليوم التالي نشر الشيوعيون والجبهة الوطنية الدائرة في فلكهم اعلانات في باريس تعتبر ان « الهدنة خدعة المانية، وان « شعب باريس يريد القتال! » وأضاف احد الاعلانات. « هاجموا الألمان بلا شفقة او رحمة! »، وقد اهتز المجلس الوطني من تأثير هذه القضية، وقامت مناقشات حادة بين اعضائه اثناء اجتماعهم، فدافع « شابان دلماس » عن الهدنة معتبراً اياها « نجاحاً غير متوقع » وانها تمنع سحق الثورة وتشكل اعترافاً بها من قبل العدو. وهنا انفجر « ميون » صائحاً: « انا لم ار قط جنرالاً فرنسياً اجبن من هذا! » فاعترض بارودي على هذه الإهانة، ولكنه، كما انقاد لثلاثة ايام خلت، فاوقد ثورة كان يناهضها، انقاد هذه المرة ايضا متهجماً على الهدنة التي كان

• الشعـــب الفرنسي يحتفـــل في ساحـــة «الكونكورد» بعــــــد سنوات الحرب والاحتلال.

• استقبـــال جنود قوات فرنسا المستقلـــة في «باريس».

يعتبرها فرصة ربانية، وكانت حجته انها محاولة تجنب الانجراف في تيار المتطرفين، والحفاظ على مظاهر السلطة.

وللحال شاعت كلمة السر: «املأوا باريس بالمتاريس!» وأضاف «رول تانغي» الصيحة التالية: «فليكن لكل منا المانية!».

ومع ذلك كانت الهدنة تحد من الانتفاضة الثورية. فاذا كان صحيحاً ان باريس ضجت بالمتاريس، الا ان معظمها قد اقيم في اماكن لا يمر بها الألمان، وهو من الضعف بمكان. وشهد نهارا ٢١ و٢٢ موجات من القتال تخللتها مآثر بطولية بديهية غريزية، ولكن حدة القتال تضاءلت خلال نهار ٢٣. وفي ٢٤، دارت معركة مع رتل الماني مصفح كان يجتاز باريس، فاقدم هذا الأخير على احراق «القصر الكبير»، وعلى تغطية الشانزيليزيه بغطاء دخاني كثيف، بيد ان هذا النهار كان اكثر هدوءاً في النهار السابق. لقد كانت المقاومة تفتقر الى السلاح والذخيرة، وقد تخلف الحلفاء عن انزال الامدادات بالمظلات في فناء «نوتردام»، ولم يغادر الألمان نقاط ارتكازهم مما جعل الاحتكاك بين المحاربين نادراً. ومن جهة اخرى كان اكبر قسم من باريس في حالة تحرر ذاتي، وراحت الصحف، التي كانت سرية بالأمس، تدعو الى ذلك بحماسة ظاهرة

• دورية من قوات فرنسا المستقلة في «باريس».



تحت تأثير سلطات المقاومة دونما اعتبار الى كون تلك الصحف تمثل المفوضية العامة ام لا.

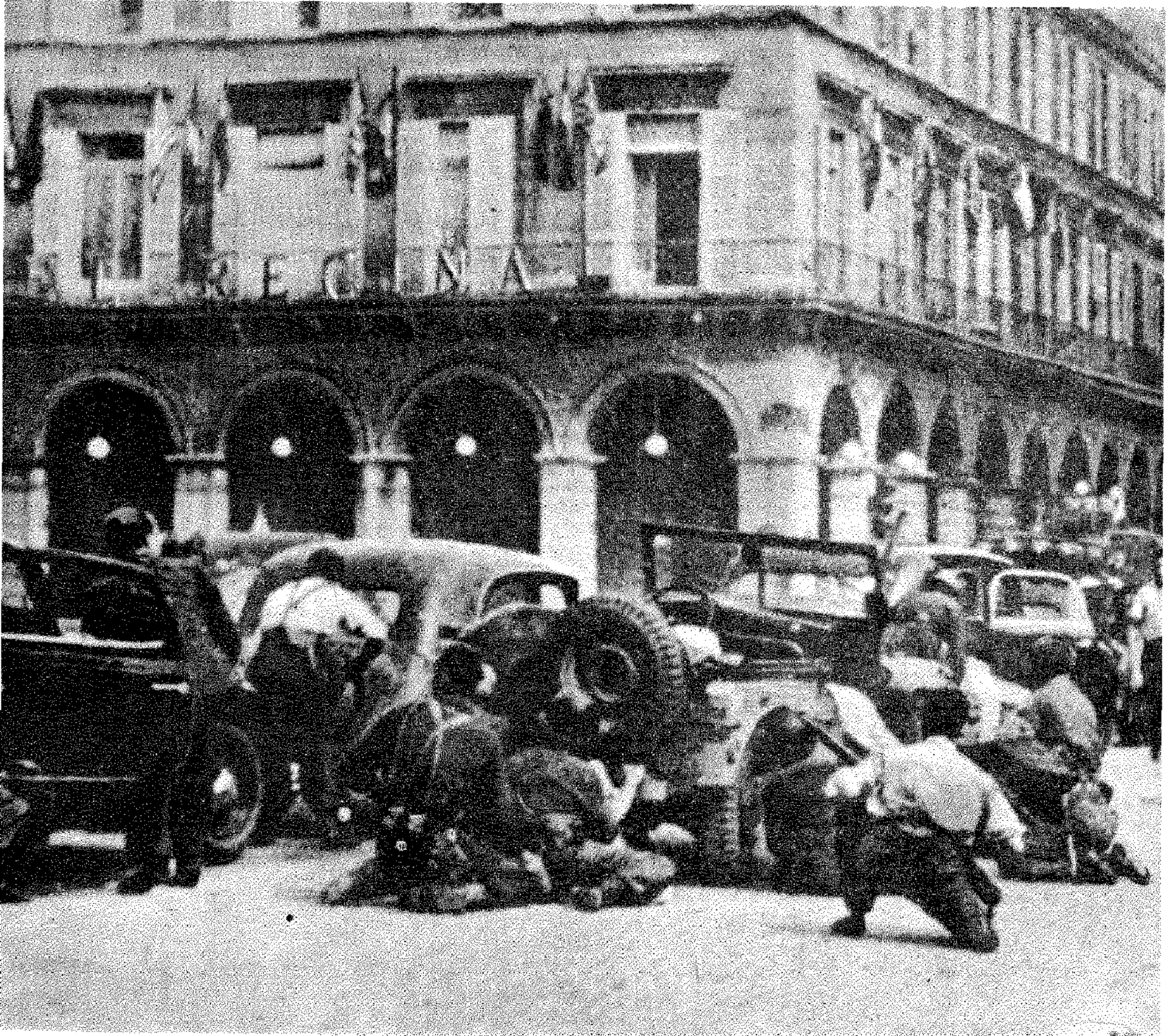
كان شولتتز في فندق «موريس» يحاول ان يكسب الوقت ما امكنه ذلك. في ١٧ تلقى أمراً بنسف الجسور، لكنه تمكن من الغائه بعدما برهن على اهميتها القصوى لانسحاب القوات الألمانية وأما الأمر الجديد الذي وصله في ١٩ فقد وقعه هتلر نفسه وورد فيه: «يجب ان تتحول باريس الى اطلال!». وكان على الجنرال القائد ان يدافع عنها حتى آخر رجل، وان يدفن تحت انقاضها. وشكر شولتتز ساخراً قيادة الغرب، وقدم تقريره بالعبارات التالية: «لقد وضعت ٣ أطنان من المتفجرات في نوتردام، وطنين في اللوفر، وطناً واحداً في الانفاليد. ولسوف انسف برج ايفل فيسد حطامه «السين». ولكنه لم يقم بأي حركة، واجتاحت العالم موجة من الحماسة ولدتها ثورة باريس التي ولدت بدورها بعض المخاوف. فتطور الوضع الثوري في مدينة حضنت هذا العدد من الثورات، قد اقلق اولئك الذين يقيسون مرمى الخط الشيوعي الذي راح يتضخم في أعقاب الهزيمة الالمانية. وامام فرصوفيا، وفي وضع مناف لهذا، كان السوفيات قد توقفوا لأسابيع عديدة خلت، متيحين لرجال الصاعقة مجال افناء البولونيين المناهضين للشيوعية، ولكن هذه الواقعية الحازمة ليست من عادات الغربيين، فقد كانوا يتجنبون العار الذي قد يلحق بهم ان هم ظلوا مكتوفي الأيدي حيال سحق الثوار الباريسيين، وان هم حرروا باريس، وهي خراب.

• جنود الفرقة الفرنسية المصفحة الثانية وأفراد من القوات الفرنسية المستقلة يهاجمون فندق «كونتيننتال».



واما «لوكلير» فقد راح يشتعل حنقاً. فمنذ ١٤ آب، عندما تخلى نصف الفيلق ١٥ عن القتال امام ارجنتان، كان قد سأل باتون عن موعد اتجاه الفرقة المصفحة الفرنسية الثانية بدورها نحو باريس. وقد نفد صبره حالما نقلت فرقة من الفيلق ١٥ الى الفيلق ٥، ومن الجيش الثالث الى الجيش الأول. وفي ٢١ أصدر أمراً لليوتنان كولونيل «دي غيبون» يقضي بقيادة مفرزة من الخيالة المغاربة قوامها ١٥٠ رجلاً و ٣٠ مصفحة، وبالاتجاه فوراً نحو العاصمة الفرنسية، وقد لخصت المهمة في نقطتين، اولاهما تمثيل الجيش الفرنسي في العاصمة المحررة، والثانية القيام باعباء السلطة الاقليمية الفرنسية ريثما يصل المسؤولون الشرعيون.

لقد احدثت هذه البعثة بلبلة في صفوف الأركان العامة فاستوضح الجيش الثالث من الجيش الأول عن ذلك الرتل الفرنسي المنزلق عبر الطرقات الوعرة،





● الجنرال «ديغول» يتوسط رفقاء السلاح في جادة الشانزيليزيه».

وبعث لوكلير الى قائد فيلقه ضابطاً يشرح له مبادرته فعاد اليه الرسول برسالة مؤداها «ان الفرقة المصفحة الثانية (فرنسية) هي بقيادتي ولا يسمح لك باستخدام اي جزء منها الا لتنفيذ المهات التي اعينها شخصياً» وقد انتهت الرسالة بأمر يقضي باستدعاء «غيبون» على الفور.

كان لوكلير في وضع حرج، فبعدما شارف العصيان عاد فأرجأ التنفيذ، وطار الى مركز قيادة برادلي للاستئناف، وكان كل من «كونينغ» و«ديغول» يبذل ما بوسعه حتى ان الثاني قد نظر في احتمال سحب الفرقة المصفحة الثانية من قيادة ايزنهاور لاطلاقها نحو باريس، ولكن كلمة اميركية واحدة كانت جديرة بأن تسمر لوكلير في الأرض بقطع الوقود عنه.

كان بعد ظهر ٢٢ يوشك ان ينقضي عندما كان لوكلير في انتظار برادلي الذي كان يتحادث مع ايزنهاور، لكن المساء كان قد اقبل، وعليه ان يعود بعد برهة الى مقر قيادته لتنفيذ امر «جيروي» واخيراً خرج برادلي لينجلي فجأة كل شيء. فقرار توجيه الفرقة المصفحة الثانية نحو باريس كان قد اتخذ صباحاً في مجموعة الجيوش، وكان برادلي قد طار الى غرانفيل لسبب واحد هو الحصول على موافقة القائد الأعلى. وقد تمت هذه الموافقة، وزاد عليها «ايك» (اسم التحبب لايزنهاور) اوامر تقضي بتسيير ٢٦ الف طن من المؤن والفحم نحو باريس، جزء منها يتم نقله بطريق الجو بصورة عاجلة. واما الاحتراز الوحيد فقد كان عدم وقوع قتال عنيف في المدينة، واذا ما تعذر تحقيق هذا الشرط «فيجب ايقاف الزحف واتخاذ موقف دفاعي..» حسب ما جاء في اوامر ايزنهاور.

كان وضع فرق اميركية عديدة اوفر



• جنود ألمان أسرى داخل « باريس ».

• كتيبـــة من البحريـــة الفرنسيـــة داخـــل « باريس ».





• مـدنيون فرنسيون يهـاجمون جنوداً ألمـان أسرى.



حظاً من الفرقة المصفحة الثانية لانقاذ باريس. كان على هذه الفرقة ان تأتي من «سيس» ومن «الونسون» قاطعة مسافة ٢٠٠ كلم فيما كان الفيلق الاميركي السابع، الذي يضم من جملة ما يضم فرقة مصفحة، محتشداً قرب كوربيل على بعد ٥٠ كلم فحسب، ومع ذلك اتخذ ايك الاحتياطات اللازمة لكي يعود شرف استرجاع المدينة للفرنسيين أنفسهم، مبطلاً بذلك الشكوك التي لحقت بالنيات الاميركية، وقد كلفت فرقة المشاة الاميركية الرابعة بمساندة تحرك لوكلير فانتشرت الى اليمين والى الوراء للسيطرة على ممرات السين ولتحرير الجزء الشرقي من الأرباض الباريسية. وكانت المهمة الملقاة على عاتق الفرقة المصفحة الثانية هي نوتردام، وقد شاء ايزنهاور تمثيل الجيوش البريطانية في

التحرير، فطلب من مونتغمري ارسال مفرزة، لكن الانكليزي الصعب المراس قد تخلف.

لم يكن الزحف على باريس نموذجاً للتكتيك والتعاون المشترك بين الحلفاء.. كان جيروي قد عين للوكلير مسيرتين الأولى عبر «مورتان» و«شاتونوف - اون - تيميري»، و «مينتونون»، و «رامبويي»، و «فرساي»، والثانية عبر «نوجان - لي - روترو»، و«شارتر» و«نومور» و«باليزو»، لكن المسيرتين لم يكتب لهما





• جاسوسة حليقة الرأس بين المدنيين الفرنسيين.

التطبيق التام، اذ نقل لوكلير نشاطه الرئيسي من طريق «رامبويي» في الغرب الى طريق «ايتامب» في الجنوب وهو تدبير لم يحظ بالنجاح الكامل

بالنظر الى مواجهته مقاومة المانية شديدة في «ارباغون». وفي نهاية يوم ٢٤ اجتاز الكولونيل «دي لانغلاد»، قائد مجموعة الغرب، جسر «سيفر»، دافعاً بـ١٥ دبابة الى «بولون - بيلانكور»، فيما كان معظم الفرقة، وهو يضم المجموعتين «ديو و«بيوت» لا يزال يقاتل في محاذاة «فرين» التي تبعد حوالي ١٢ كيلومترا عن مدخل اورليان، الا ان «لانغلاد» توقف نظراً لانعدام الاتصال لديه، فلم يجسر على ان يهم في باريس ليلاً.

في ذلك الوقت كان الملل والغضب قد بدآ يتسللان الى قلب جيروي وبرادلي بسبب عدم وصول اي تقرير اليهما من لوكلير منذ ليلة البارحة، خصوصاً وانهما كانا يطمحان الى الاستيلاء على باريس قبل الظهر. وقد علل «برادلي» هذا التأخر بالقول ان حماسة الجماهير ونشوة المحررين اخرتا تقدم الفرقة المصفحة الثانية. وفيما بعد قال برادلي انه لم يكن قادراً على الانتظار «ريثما يشق الفرنسيون طريقهم مختالين نحو باريس» فقام بابلاغ «بارتون» بدخول العاصمة الفرنسية، سواء كان فيها الفرنسيون ام لم يكونوا. وأضاف برادلي: «وعندما علم فتيان لوكلير بذلك راحوا ينهبون الأرض نهباً». وفي الواقع لم يعلم لوكلير نفسه بالأمر اذ كانت حصيلة «الاختيال» قاسية، فلقد كلفت الفرقة المصفحة الثانية ٣١٧ قتيلاً وجريحاً ومفقوداً، و٢٥٢ دبابة او مصفحة او شاحنة مدمرة. ولم يكن لوكلير يعبث في المخافر الامامية، بل كان يحاول تبليغ المنفذين ضرورة التعجيل تنفيذاً للرغبة التي ابداها ديغول امامه في «رامبويي» في الليلة الفائتة، وفي نهاية النهار كان قد بلغ مفترقاً للطرق مجاوراً لـ«كروا - دي - برني»، وانحرفت مفرزة يقودها الكبيتان «درون» على الطريق الكبير، بعد قيامها، باستكشاف جانبي، فأمر لوكلير رئيسها بالعودة الى «فرين»، والدخول الى باريس من الطريق الذي يجده حراً. وسارع «درون» بالتنفيذ، حيث تسلل عبر «لاي - لي - روز» و«بانيو»، و«كاشان»، و«اركوي»، وطرقات الدائرة ١٣ الضيقة، واجتاز السين على جسر اوسترليتز، فبلغ دار البلدية قبيل منتصف الليل في فصيلة من المشاة بالشاحنات وبعض الدبابات الخفيفة.

وما كادت تنقضي ساعة من الزمن حتى كانت جميع اجراس الكنائس الباريسية تقرع، فهب شولتتز للاتصال بمجموعة الجيوش، فتسلم «شبايدل» السماعة ليقول له شولتتز: «أتسمع؟ انها اصوات الأجراس! الجيش الفرنسي -

الاميركي في باريس! هل لدى المارشال مودل اوامر يصدرها الي؟ قال شبايدل: «كلا: المارشال كلفني ابلاغك بأن لا شيء لديه يقوله!» عندها رد شولتتز بالقول: «وداعاً اذاً! حاولوا ان تهتموا بزوجتي واولادي».

كان الليل ساكناً سكون المقابر، ولم تصدر طلقة رصاص واحدة، الا ان شولتتز وجه أمراً لقواته بعبور السين. وفي الفرقة الاميركية الرابعة خص «بارتون» فوج المشاة ١٢، الذي فقد الف رجل امام «مورتان»، بشرف الدخول الى باريس قبل الجميع، فقام الفوج المذكور بالاستيلاء على محطات «اوسترليتز» و«فنسين» و«ليون» ووصل الى المدينة ظهراً. وفي الفرقة المصفحة الثانية تقدم «لانغلاد» من طريق قوس النصر والشانزيليزيه، ووصل «بيوت» الى ساحة «الشاتولي» وقسم «ديو» مجموعته الى رتلين اتجه احدهما نحو المدرسة العسكرية في حين اتجه الثاني نحو محطة «مونبارناس» و«الانفاليد»، وقصر «بوربون». واما الألمان الذين اسقط في ايديهم فقد راحوا يدافعون عن انفسهم داخل المباني التي يحتلونها. وقد تم الاستيلاء على فندق «ماجستيك»، والمدرسة العسكرية، ووزارة الخارجية وقيادة الشرطة في ساحة الأوبرا بعد قتال بلغ درجات متفاوته من العنف. وفي الساعة ١٢،٣٠ عاد العلم المثلث الألوان يخفق فوق قمة برج ايفل للمرة الأولى منذ أربع سنوات.

في الساعة العاشرة تلقى «شولتتز» انذاراً اخيراً من الكولونيل «بيوت»، الا انه تمنع عن استقبال حامل الانذار، وهو القنصل «نوردلنغ»، لكن مساعد شولتتز، الملازم «فون ارنيم» أشار الى ان مقاومته سوف تكون رمزية، وبأنه، اذا أسر سوف يأمر بتسليم نقاط الارتكاز. وبدأت مهاجمة فندق «موريس» في الساعة ١٥,٣٠ من خلال طريق ريفولي، منطلقة من ساحة الشاتولي، وقد تم اجتياح الفندق الذي كانت تحميه فصيلة من المشاة بعد قتال وجيز، وقد وصف شولتتز ما جرى قائلاً: «وفجأة انفتح الباب، وانقض على مكتبي رجل اخذ منه الهياج كل مأخذ، وأصبعه على زناد رشيشه الذي صوبه الي وهو يصيح: «أتتكلم الالمانية؟» فاجبت بهدوء: «اعتقد انني اجيدها افضل منك». عندئذ ولج الي بضابط برتبة ميجر ففهم الوضع، وسارع الى القاء الرجل حامل الرشيش خارجاً، ولم يكن هذا سوى الملازم «كارشي» من قوات فرنسا الحرة.

اقتيد شولتتز من «موريس» الى دار البلدية حيث املى عليه لوكلير

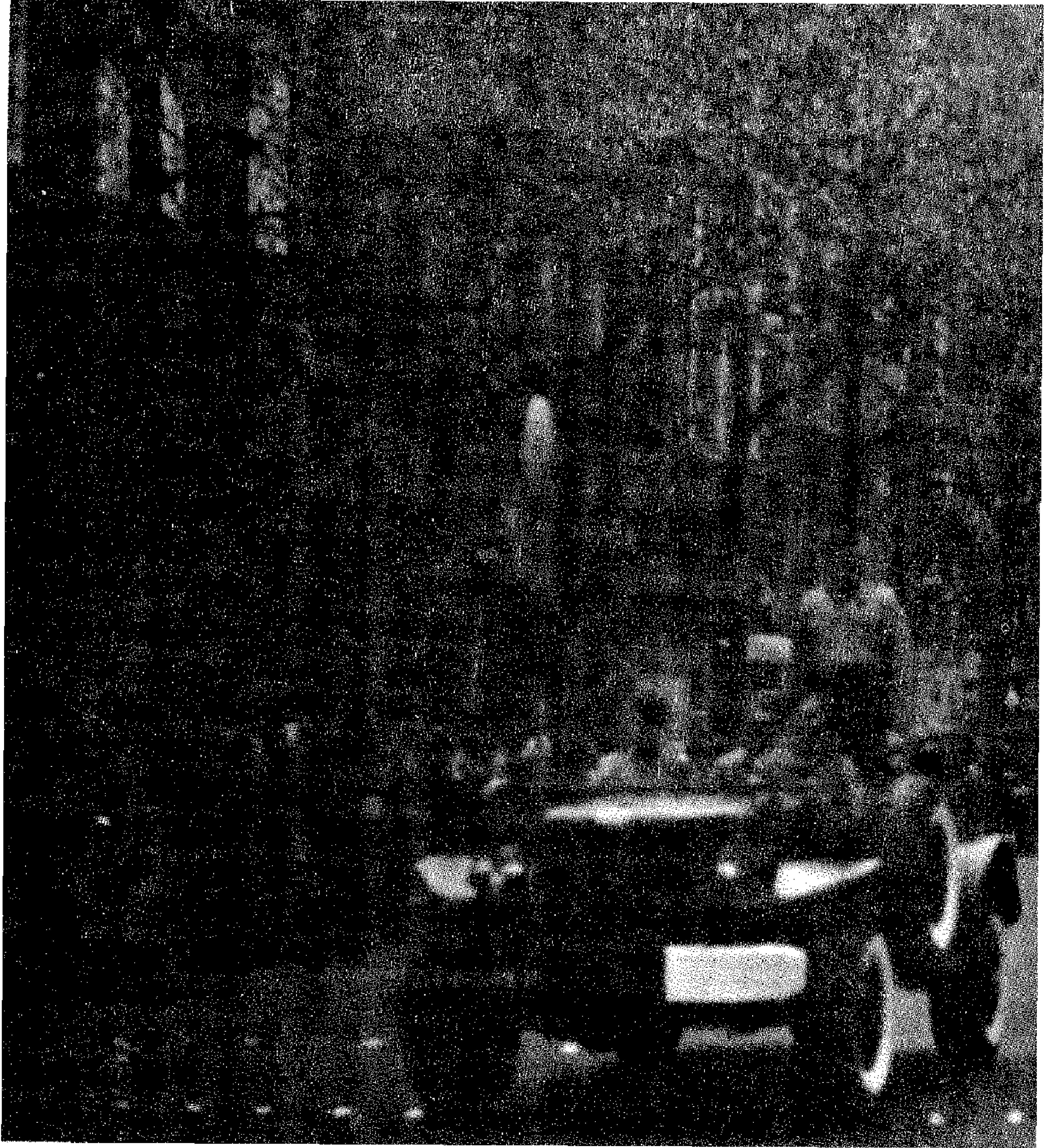
شروط استسلامه، الا ان «رول تانغي» طلب، باسم «القوات الفرنسية المستقلة»، ان يكون مع المتفاوضين في النص الذي يعتبر محضر تحرير باريس. واما لوكلير، فقد قبل حتى بظهور اسم الرئيس الشيوعي قبل اسمه على الصيغة المعدلة، ولسوف يؤنبه ديغول على ذلك تأنيباً قاسياً.

واثناء وصوله الى محطة «مونبارناس» نقل شولتتز الى نقاط ارتكازه امراً بالقاء السلاح فبادرت جميعها الى تنفيذ الأمر، وسارت في الطرق ارتال طويلة من الأسرى وسط شعب تحول من فورة الابتهاج الى فورة الثورة، وانقلبت هالة التحرير الى اعمال عصبية تمثلت في اغتيال بعض الأسرى، وشنق بعض الأبرياء، وقتل بعض الذين تعاونوا مع الألمان او ظن انهم تعاونوا معه، وجزت شعور بعض النساء، وغصت السجون بالمعتقلين فيما ارتجلت سجون اخرى لاستيعاب جحافل المهزومين.

كان الشيوعيون يرددون ان باريس تحررت بثورة شعبية كانوا هم اول محركيها. وكان مخططهم يقضي بأن ينصبوا المجموعات المسلحة التي بعثوها من الشارع في وجه طابور خامس موهوم، ولسوف تصبح القوة المصفحة الثانية، بعد مدة وجيزة، في دعاوتهم



الشفهية فرقة من الجنود تخيب بنصرها شعب باريس، ولكن ديغول هو ديغول، الرجل الشديد الثقة بنفسه، المتجبر، المتشبث بفكرة الدولة، وقد ساعدته كل هذه الصفات الى أبعد الحدود في وضع حافل بالمهالك. فمجلس المقاومة الوطنية كان يعتزم استقباله في العاصمة المحررة، ومن ثم اقتياده الى دار البلدية لكي يعلن باسمه الجمهورية الاجتماعية، ولكن ديغول رفض هذه «الهيمنة»، فكان هو الطليعة، وما لبث ان حجب مجلس المقاومة، ثم سرعان ما ازاله من الوجود، وجاءت مسيرته في الشانزيليزيه



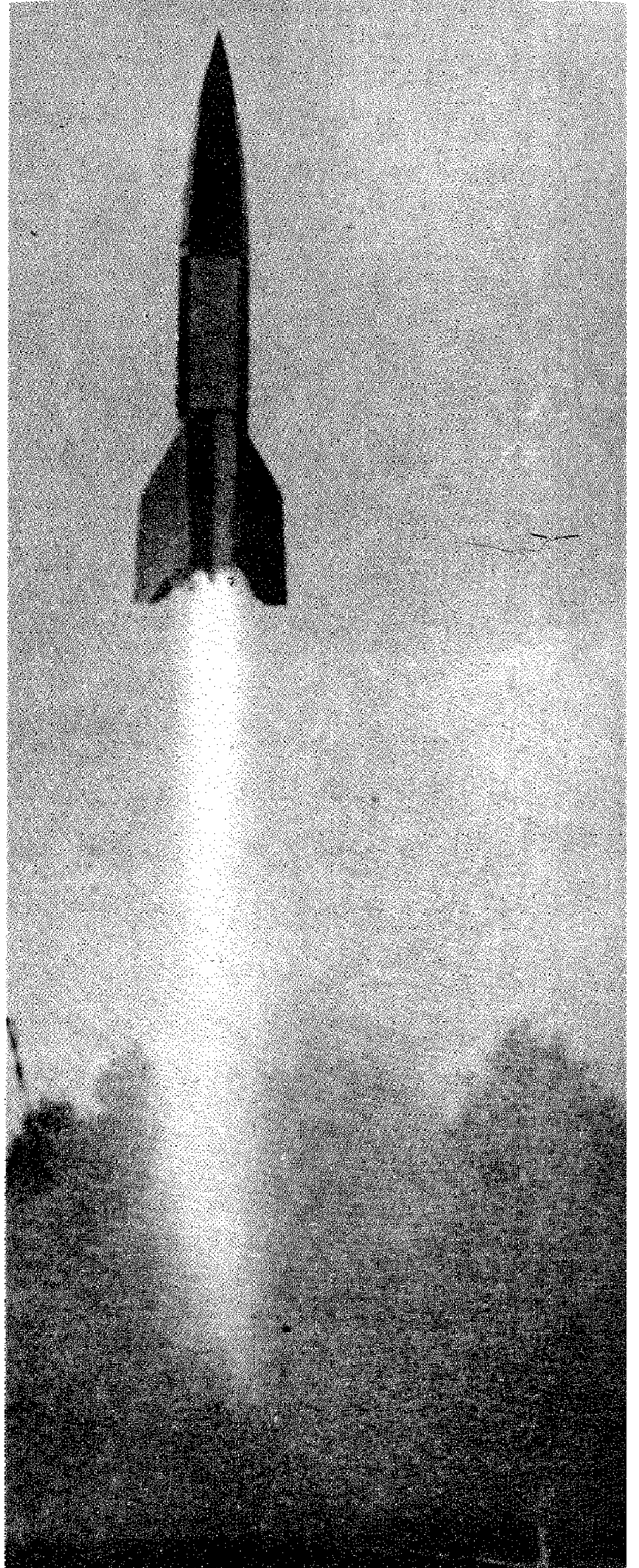
• بعد سنوات الاحتلال.. الجنود الفرنسيون في العاصمة.

في ٢٦ آب، بما حفلت به من مظاهر الابتهاج والحماسة، لتضفي تلك الهالة التاريخية على شخصه الوقور، وقامته الفارغة، ولسوف يسمح باقتراف بعض الأعمال الشاذة التي ستشكل ضده، فيما بعد، عناصر اتهام واضطهاد لا تعرف الرحمة، الا ان هذه الأعمال ظلت دون الهدف الذي حققه ديغول، والكامن في استمرار الأمة الفرنسية.

الحرب لم تتوقف. وغداة تحرير باريس اتجهت مجموعة الجيوش ٢١ نحو «با - دي - كاليه» عابرة «السين» الاسفل. وفي ٢٧ آب اقتحم الجيش الثالث «المارن» في «شاتوتييري». وفي نهاية الشهر نفسه تم بلوغ «السوم» و«الموز» في وقت واحد. ولم تكن هناك مقاومة تذكر، بل ان العدو كان يسرع الى الفرار، وعندما يتم اللحاق به كان يستسلم. وفي احصاءات الأركان العامة ان الجيش الألماني في الغرب قد فقد، منذ السادس من حزيران، اكثر من نصف مليون رجل بين قتيل وجريح واسير، أما الحلفاء، الذين انزلوا مليونين و١٠٠ الف رجل و٤٦٠ الف مركبة، فقد شكلوا مدا هادراً يتقدم في غمرة من النشوة المطلقة.

• كان صاروخ «ف٢» أمل ألمانيا الأخير.

الحلفاء يطأون أرض ألمانيا للمرة الأولى



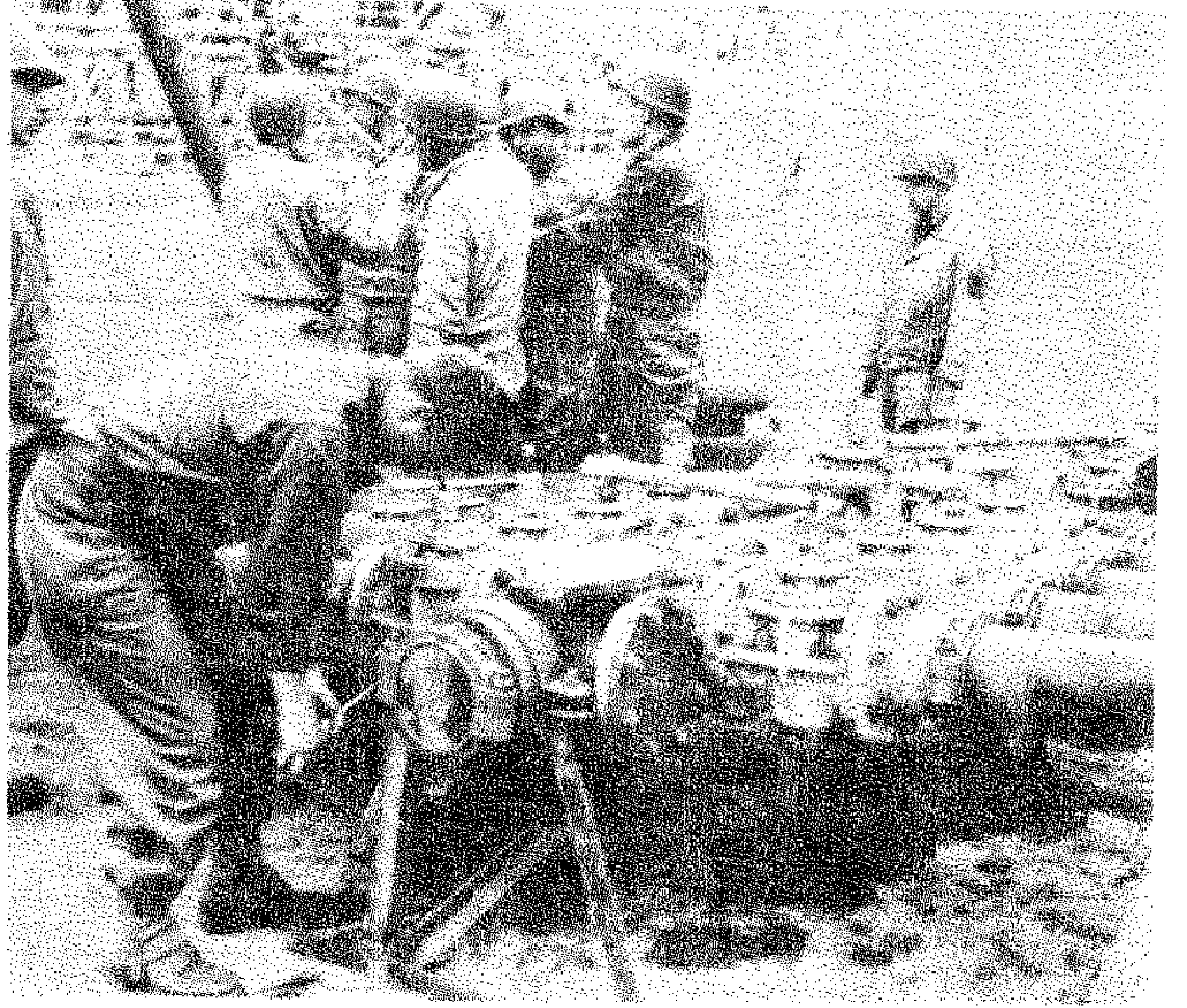
في اول ايلول استولى الكنديون على مدينة «دييب»، وهي المدينة التي استشهد الكثيرون من رفاقهم عام ١٩٤٢ دون التمكن من الاستيلاء عليها.

اما الجيش الانكليزي الثاني من جهته فقد اجتاز مدينة «آراس» بسهولة فائقة آسراً جنرال الدبابات «ايبرباخ». وفي اليوم التالي بلغت قوة الحرس الانكليزي ارض بلجيكا، فاستولت على «نورني» في الوقت الذي كان الاميركيون يبسطون قوتهم على «نوايون» و«سان - كنتان». وفي الثالث من ايلول تمكن الانكليز من تحرير بروكسيل في الوقت الذي كانت مدينة ليون تنتقل أيضاً الى ايدي المحررين. اما الاميركيون فقد طوقوا ٣٠ الف جندي الماني حول «مونس». وفي الرابع من الشهر نفسه استولى الجيش الانكليزي الثاني على مدينة «انفير»، ووضعت فرقة المشاة الاميركية ٤٥ يدها على «بورغ - ان - بريس». وفي الخامس عبر جيش «هودجز» نهر «الموز» فيما حرر جيش «باتون» مدينة «نانسي» واستولى جيش «كريرر» على مدينة بولونيا مقترباً من «كاليه». وفي السادس دخل الفيلق الفرنسي الأول بقيادة «بيتوار» ميمنة الجيش السابع على طول الحدود

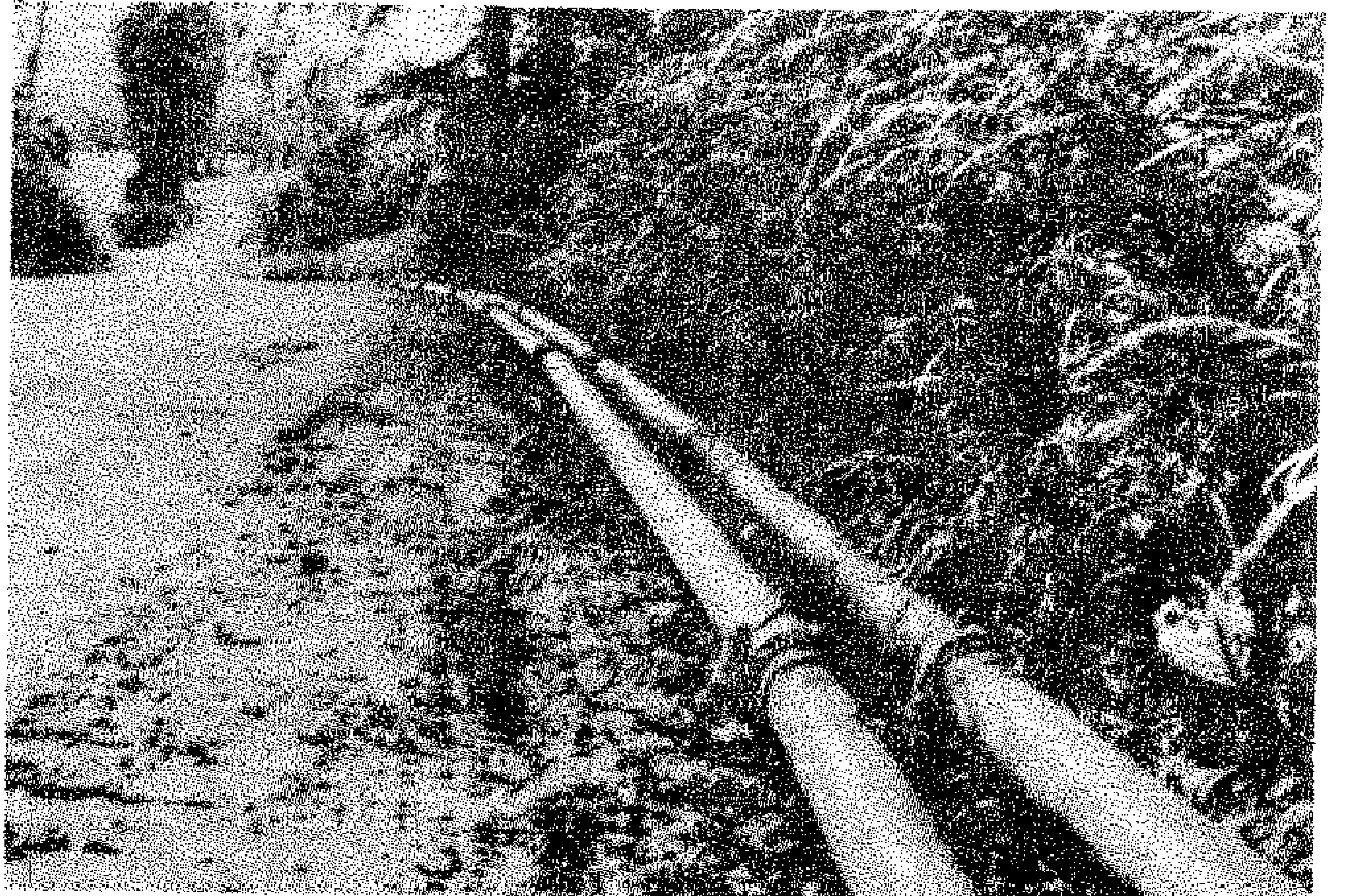
واستولى على «سان - بريفا». وفي اقصى اليمين احتل الجيش الاميركي السابع مدينة «بوزانسون»، وهكذا يكون الحلفاء قد انتقلوا في الاسبوع الأول من «السين» الى «الموز»، ومن «بروفانسا» الى «الدوبس».

لم يتوقف الزحف الحليف، بل تابع تقدمه في اليوم الثامن فانتزعت قوات «دي لاتر» «بون» و«اوتان»، فيما استولت قوات «باتون» على «برياي»، واحتلت قوات «هودجز» مدينتي «لييج» و«مايستريخت» وعبرت قوات «ديمبسي» قناة «البير»، ودخلت قوات «كرايرر» مدينة «بروج». في اليوم التاسع لم يتم تسجيل اي تقدم، بل انه كان يوم راحة، اما اليوم التالي فقد شهد لقاء بين الزحف القادم من المانش والزحف الصاعد في المتوسط، كما شهد استيلاء فيلق فرنسي على «ديجون»، وفيلق اميركي على لوكسمبورغ، كما شهد دخول فيلق اميركي آخر، لم يواجه بأي مقاومة، الى حصن «ايبن - ايمايل»، وكان في لقاء المحررين في بلجيكا وفرنسا حشود حاشدة استبد بها الفرح، وهي تحمل الى الجنود المظفرين الهدايا المتنوعة.

وفي الساعة ١٩ الا خمس دقائق بالتمام من يوم ١١ ايلول انتهكت الأرض الالمانية للمرة الأولى في تاريخ الحرب اذ

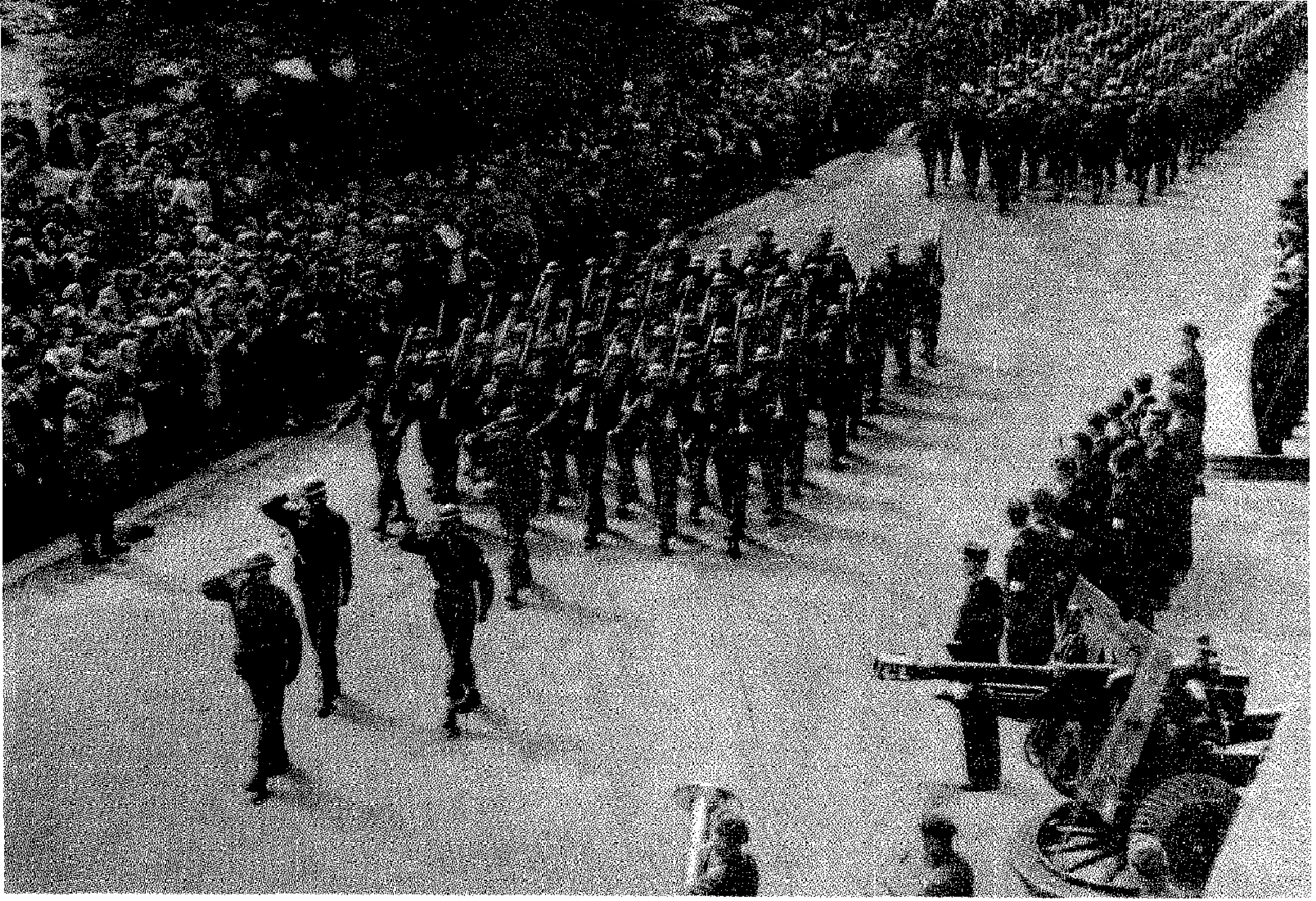


• معدات اميركية تنقل الى ساحة المعركة.



• انابيب النفط تمتد الاف الكيلومترات لتزويد الحلفاء بالوقود.

السويسرية، فيما بلغ الجيش الاميركي الأول في اليوم عينه خط «تيرلمون - نامور» ليحاذي في اليوم التالي قناة «البير»، فاذا بالحرب تعود الى النقطة التي انطلقت منها في أيار ١٩٤٠. ولم يلبث الجيش الاميركي الثالث ان اقتحم فج «سانت - ماري - او - شين»



• عرض عسكري اوسترالي في مدينة «دييب» ٣ أيلول ١٩٤٤.

عبرت دورية اميركية تابعة لسرية الاستكشاف ٨٥ الحدود الالمانية بالقرب من قرية «ستولزنبورغ» في اللوكسمبورغ، ثم توغلت حتى خط «سيغفريد»، وهكذا يكون الاجتياح قد جاء من الغرب في حين انه كان منتظراً من الشرق، ومن روسيا بالذات التي لامست قواتها حدود بروسيا الشرقية بعد الانتصارات الباهرة التي حققتها خلال فصل الصيف.. لكن الجيش المظفر واجهته ازمة خطيرة تتمثل في تأخر مصلحة التموين عن مجاراة سرعة الزحف. فالبنزين هو عصب الحرب، وان كلاً من جيوش ايزنهاور الأربعة يحرق منه، ابان المعارك، ما يراوح بين مليون و٣ ملايين ليتر يومياً. ولذا فقد حاولت مصلحة المحروقات ان تحل هذه المشكلة الخطيرة عبر تمديد انبوبها العائم في المانش بخط انابيب ارضي، الا ان طول الخط وقلة عدد المضخات فيه، فضلاً عن اقدام بعض الأنذال على ثقب الانبوب طمعاً في الحصول على كميات معينة من «دم الحرب»، كلها فرضت ان تكون نهاية الخط في «دوربان»، وان مؤقتاً.



● قوات الجيش الأول في « سومبرنون ».

لا شك ان الخط الحديدي يشكل الاداة الستراتيجية الرئيسية بالنسبة للجيوش الكلاسيكية، بما فيها الجيش الالماني، ولم يكن في مقدور الجيش الاميركي نفسه الاستغناء عن هذه الاداة، غير ان ترميم الخطوط الحديدية كان في غاية الصعوبة، فالخط الحديدي الأول الخارج من «كوتنتان» انعدمت الاشارات فيه فكان ينظم السير يدوياً، بواسطة الاعلام نهاراً والمصابيح ليلاً. وفي ٣٠ آب فتح خط «فير - ارجنتان - درو» الكبير حيث سمح بدخول القطار الأول الى «باريس - باتينيول»، ولما يمض على تحرير العاصمة سوى اربعة ايام، وفي منتصف ايلول تم ترميم ٥٤٠٠ كلم من الخطوط الحديدية فيما كان العمل جارياً على اعادة بناء ٤٠ جسراً.

اما على الطرقات المسفلتة فقد نظم الجنرال «روس» دائرة «الاوتوستراد الأحمر» حيث كانت العربات تسير ٢٠ ساعة في اليوم وبسرعة واحدة تبلغ ٢٥ ميلاً، وبين العربة والأخرى ما لا يزيد

عن ٢٠ متراً بحيث ان العربات التي كانت تخترق فرنسا بأضوائها التي لا تنقطع كانت تحمل ٢٠ الف طن من الحمولة المتنوعة، لكن هذه الحركة لم تكن كافية، فما كان يجب نقله من مستودعات «نورماندي» كان يراوح بين ٢٠ ألفاً و٢٥ ألف طن، باستثناء المؤن والذخائر وما يتطلبه تموين باريس.

كان مفتاح الحل في مدينة «انفير» التي لم يصب مرفأها باية اضرار والذي يتمتع بطاقة تفريغية تتراوح بين ٨٠ ألفاً و١٠٠ ألف طن يومياً، والذي تفصله عن الجيوش الرئيسية مسافات ضئيلة. لكن الجيش الألماني قد احتاط لهذا الأمر فسد مصابّ «الايسكو»، ولذا كانت الضرورة تستدعي فتح هذه المصاب قبل القيام بأي سلسلة جديدة من العمليات، غير ان مونتغمري عارض هذه الستراتيجية معتبراً ان عمود العدو الفقري كاد يتحطم، وان الوقت قد حان للاقدام على انتزاع السبل التي تمكنه من متابعة الحرب. فهو يود، بعد ان يترك للكنديين مهمة تحرير سواحل بحر الشمال، ان يحتفظ بالجيش البريطاني الثاني التابع للجنرال «ديمبسي»، والجيش الاميركي الأول التابع للجنرال «هودجز» مجموعين تحت امرته دون سواه، على ان يقذف بهذه الكتلة المتراصة مباشرة على «الرور» التي كانت تشكل مخزن اسلحة «الرايخ الثالث» الرئيسي، مع ما أحدثته فيها عمليات القصف من خراب، ومع اللامركزية التي حققها «شبير». ومتى تم احتلال «الرور» تقدم الجيشان الحليفان نحو «الألب»، ثم نحو برلين، وربما امكن احتلال العاصمة الألمانية، وانهاء الحرب قبل عيد الميلاد.

كانت نظرية مونتغمري هذه تلزم الجيش الاميركي الثالث باتخاذ موقف الدفاع بعدما كانت القبضة التي كالت للعدو ضربات موجعة بعد ثغرة نورماندي، وها ان القبضة الأخرى هي التي تأخذ دورها هذه المرة حسب النظرية اياها، لكن «باتون» قائد الجيش الاميركي الثالث عارض هذه النظرية اعتقاداً منه بانها مناورة لجعل الانكليز يقطفون ثمرة النصر الذي حققه الاميركيون، علماً بأن «باتون» هذا يكره مونتغمري كرهاً شديداً، وقد وجد فيه الاميركيون فعلاً ذلك البطل الذي انتشل معركة نورماندي من عثارها، واحتل فرنسا عدْواً، أضف الى ذلك انه كان مولعاً بالضجة والشهرة، وكان افضل مصدر لنشرات الأخبار واخبار الصحف.

كانت خطة مونتغمري تعتمد على «الضربة المركزة»، اما خطة «باتون»

فتقوم على زحف تشنه الجيوش الحليفة على الجبهة كلها وفي وقت واحد. صحيح ان الوسائل لم تكن كلها متوفرة، الا انها كانت موجودة، فهنالك ٣٠ فرقة لا تزال تنتظر في الولايات المتحدة، ومن شأنها ان تدعم قوات الحملة بقوة لا يمكن مقاومتها، الا انه لم يكن في المستطاع زجها في اوروبا قبل فتح عدة مرافىء، وإعادة بناء جهاز النقل، وفيما كانت هذه القوات تمثل الانتصار الأكيد في ربيع ١٩٤٥ كان مشروع مونتغمري يشكل فرصة النصر الأخيرة لعام ١٩٤٤، وبات على «ايك»، والحالة هذه، ان يختار ويقرر. غير ان «ايك» نادراً ما كان جازماً في قراراته، فضلاً عن ان صحته لم تكن على ما يرام. ففي ١٠ ايلول اصيب بفك في رقبته على اثر هبوط طائرته هبوطاً اضطرارياً وهو في طريق العودة الى مقر قيادته في «غرانفيل». وفيما هو يتلوى ألماً على مقعد الطائرة الجاثمة في مطار بروكسل واجهه مونتغمري بثورة من الغضب دفعت «ايك» الى الرد بالمثل والقول: «على رسلك يا مونتي، ولا تخاطبني بهذه اللهجة، فأنا رئيسك!».

ورغم الجدل الصاخب فقد تحاشى ايزنهاور اخيراً عملية المفاضلة والاختيار، فلم يوقف «باتون» الذي ورط نفسه في عملية باهظة التكاليف ضئيلة الجدوى حول «ميتز»، كما لم يوقف «هودجز» الذي اصطدم بالجدار الغربي على ارض «شني ايفل» غير المؤاتية، وقد سلم بأن الاندفاع نحو «الرور» يشكل العملية الرئيسية في حملة الخريف، الا ان توزيع الوسائل لم يتفق وصراحة هذا التأكيد، فقد كتب الى «مارشال» يبلغه انه راغب في فتح «السار» و«الرور» والافراج عن «الهافر» و«انفير» في الوقت عينه.

وفيما الحلفاء غارقون في الجدل العقيم استعادت المانيا بعض انفاسها وهي التي ظن الحلفاء ان جيشها لم يعد قوة متماسكة، بل غدا عدداً من الشراذم المضعضعة اليائسة الفارغة من كل سلاح او عتاد. ومما زاد في خطأ الحلفاء تبني الانكليز والاميركيين المجتمعين في «كيبيك» للمرة الثانية، بين ١٣ و١٦ ايلول، المشروع المعروف باسم وزير المالية في حكومة روزفلت «هنري مورجنتو جونيور» والمتعلق بمعاملة الشعب الألماني بعد الاستسلام، ويقول هذا المشروع بتدمير الصناعة الالمانية كلها وتحويل المانيا الى بلد زراعي محض، وستكشف الأيام ان واضع هذا المشروع ليس اكثر من عميل شيوعي يدعى «ديكستر وايت»، ولسوف يقدم على الانتحار بعد ذلك بسنوات في مساء

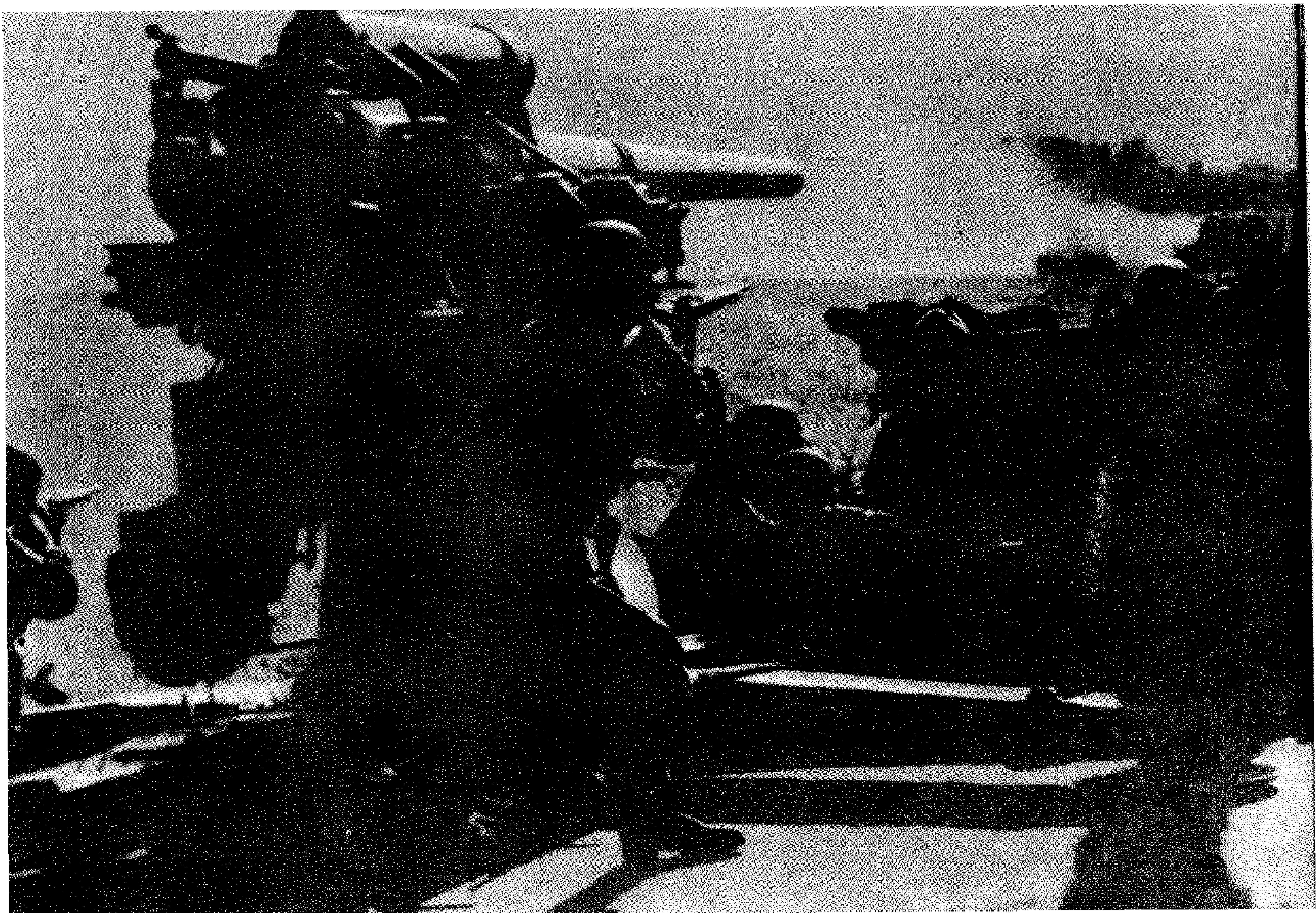
اليوم الذي اعتقل فيه، وكان تشرشل، وديغول، وايدن، وستيمسون، وكوردل هال، وهوبكنز قد عارضوا المشروع لأنه يقضي بالموت على احد شعوب اوروبا الرئيسية، وحتى روزفلت لم يوافق عليه سوى موافقة مبدئية سرعان ما عاد عنها تحت تأثير مستشاريه، غير ان هذه الايضاحات لن تجلو حقيقة الأمر الا بعدما يكون المدفع قد صمت، اما في خريف ١٩٤٤ فقد وفر مشروع «مورجنتو» للالمان مبدأ يموتون من اجله والسلاح في ايديهم، وفي سبيل ان يعيد هتلر تشكيل جيوشه المشتتة، أمر الألمان جميعاً بحمل السلاح من سن السادسة عشرة الى سن الستين، وابتدع لذلك فرقاً من طراز جديد هي «فرق رماة الشعب» التي تسلمت اسماء الفرق الكبيرة التي ابيدت في فرنسا، ولكن تقليص الفوج الى حدود كتيبتين، وضغط التشكيلات الأخرى جميعها خفض عدد الرجال الأساسي الى حدود ١٠ آلاف رجل. اما العاملون فيها فجرحى خارجون من المستشفيات، ورجال تم انقاذهم من سلاحي البحرية والطيران. لقد كانت هذه الفرق تشكل عدداً كبيراً ولسوف تبلي البلاء الحسن في القتال، وربما بزت فرق جدار الأطلسي المحشوة باجناد الشرق.

كان العتاد متوافراً كافياً، ولكن بدون فائض على اعتبار ان الحرب الجوية التي دمرت عدداً كبيراً من معالم الحضارة لم تكن بعد قد شرعت بالحد من طاقة الصناعة الالمانية، بل ان ما انتجته هذه الصناعة فاق ما انتجته في السنة المنصرمة من بنادق وأسلحة اوتوماتيكية ومدافع مضادة للطائرات، اما الدبابات فقد صنعت منها عدداً مماثلاً، وعدداً اكبر من الطائرات، وقد ضرب الانتاج الجوي الألماني رقمه القياسي الشهري المطلق في نيسان ١٩٤٤ بانتاج ٤١٠٣ طائرات، وكذلك سجلت السنة عينها رقماً قياسياً بتصنيع ٤٠٩٥٣ طائرة. وكانت المانيا تعد اذذاك على صعيد الملاحة الجوية ثورة المحرك النفاث. كان جهاز «مي-١٦٣» قد تجاوز سرعة الف كلم في الساعة، للمرة الأولى في العالم، في ١٠ ايار ١٩٤١، وغدا اثنان من الأجهزة صالحين للصناعة على نطاق واسع منتظم، ولكن هتلر أبى الا ان يجعل احد هذين الجهازين قاذفة قنابل، لا طائرة مطاردة. لقد شاء ان يبني اكثر القاذفات سرعة، تلك التي اعلن ان في مقدورها تحويل كل محاولة غزو انكلوسكسونية كارثة، وحاول قائدان كبيران من قواد الطيران الألماني، هما الجنرال غالاند والمارشال ميلخ ان يحولا دون ذلك من غير جدوى.

في الغرب طلب الجنرال «مودل» اعفاءه من مهمة القيادة العامة لكي يتاح له التفرغ لمجموعة جيوشه، فتجاوب هتلر مع الطلب، وسارع الى سحب روندشتاد من التقاعد للمرة الثانية، وكان قد بلغ من العمر سبعيناً، وقد اقسم بعد تقاعده انه لن يعود للخدمة قط، فاذا به ينزل عند رغبة هتلر في اول ايلول، وهما المفتونان احدهما بالآخر، وقد قال هتلر لـ«جودل» ان مودل لو كان افتى من ذلك بعشر سنوات لكان اسند اليه قيادة الجيوش الألمانية العليا، رغم انه لا يدين بالقومية الاشتراكية، وما كان من مودل الا ان رد على هذه التحية بأفضل منها قائلاً: «لا يستطيع اكبر الجنود الألمان سناً ان يلزم بيته عندما يخوض حومة الوغى هذا العدد الضخم من الجنود الفتيان...».

كان على رأس هيئة اركان الغرب ضابطان هما شبايدل الذي اوقف مؤخراً لاشتراكه بمؤامرة ٢٠ تموز، وبلومنتريب الذي فقد كل حظوة له لدى هتلر. ولذا فان «سيغفريد فيستال»، مساعد «رومل» و«كيسلرنغ» سابقاً سيكون هو الساعد الأيمن لروندشتاد، وسيسجل عقب استدعائه الى رستنبورغ، هو الآخر، انه لم تكن لهتلر اية فكرة عن خطورة الوضع في الغرب، فهو يرى في ضياع فرنسا نتيجة لتضافر بعض الظروف والأخطاء والخيانات، ويرى في التوغل الانكليزي الاميركي حتى حدود المانيا «سنانا» شيئاً بسيطاً يأخذ على نفسه عهداً بتحطيمه. وان اعادة تنظيم الجيوش الالمانية في الغرب رهن التنفيذ، فالمجموعة «ب» التي بقيت تحت امرة المارشال «مودل» تضم الجيش الخامس عشر البالغ التقلص الذي يسد منافذ «الايسكو»، وجيش المظليين الأول، وهو تشكيلة حديثة تمتد منطقتها من «نيميغ» الى «مايستريخت» وأخيراً الجيش السابع الناهض من الموت، والذي يحده في الجنوب خط يمتد من «كوبلانس» الى «لوكسمبورغ». والى جنوبي هذا الخط تبدأ المجموعة «ج» بقيادة الكولونيل - جنرال «بلاسكوفيتز» وهي تشمل الجيش الأول الذي تمتد جبهته المهزيلة حتى نانسي، والجيش التاسع عشر الذي يحاول التوقف والصمود امام «بيزانسون» بعدما افلت من مصيدة «ليون». اما جيش الدبابات الخامس الذي سبق ان سحب من الجبهة، فكان عليه فيما بعد ان يدعم هذا الجهاز.. بلغ مجموع القوات ٤٨ فرقة من جنود المشاة و١٤ فرقة مصفحة، يضاف اليها ٤ ألوية مصفحة.

وبذلت الجهود وراء الجبهة لإعادة



• بطارية مدفع المانية تهاجمها الفرقة المصفحة الثانية بقيادة «لوكلير».

تجهيز خط سيغفريد بما امكن من السبل بعدما افرغ من اسلحته وجرد من دروعه وألغامه لتقوية جدار الأطلسي، وكان هذا الترميم يقتضي عدة أسابيع من العمل.

ولكن هل يوفر لهم الحلفاء تلك الأسابيع؟

في مقاطعة «فرانش - كونتيه» بدأت القوات الفرنسية - الاميركية تقترب من «الفوج». وفي اللورين خشي باتون ان يسند اليه دور الدفاع الكئيب، فاندفع، باقدام، نحو «ميتز» املاً في الانقضاض على «السار» قبل ان يتسع الوقت لمونتغمري بالتحرك نحو الرور. هذا وقد اشرف الفيلقان الاميركيان ٥ و٧ على التحصينات الدفاعية الألمانية. وفيما بلغت أزمة النقل ذروتها، كانت الجيوش الاميركية جميعها تشن هجوماً مشتركاً على جبهة يزيد طولها على ٣٠٠ كلم، مع ما في ذلك من خطر توزيع الجهود، ولم تلبث النتائج ان ادانت هذا الخطأ، فقد توقف «باتش» و«دي لاتر» بسبب

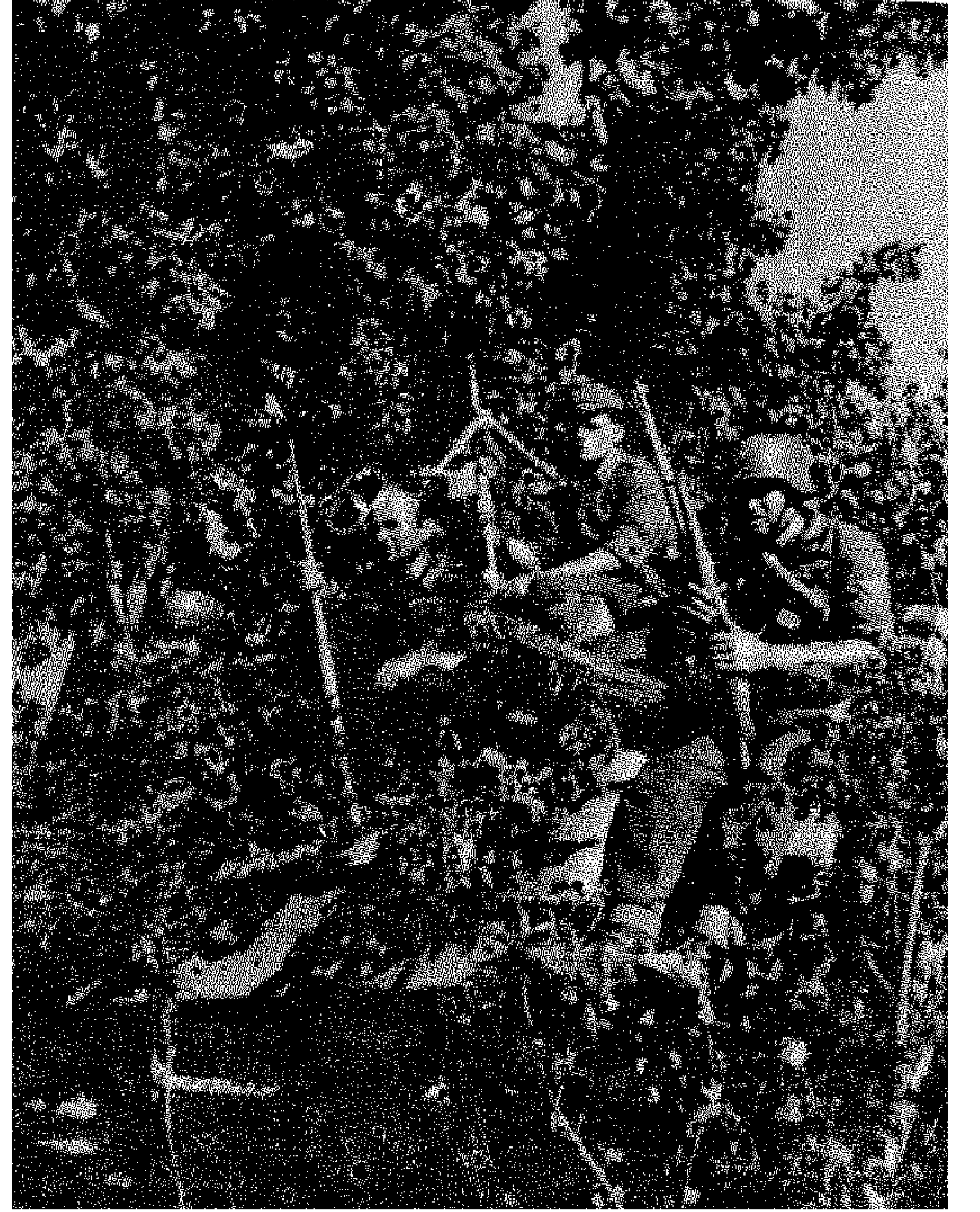


● المان اثناء الانسحاب من فرنسا.. ينشدون أغنية..؟

تعذر تموينها، وعلق «باتون» في وحل اللورين. اما على حدود لوكسمبورغ فقد عبرت الفرقة الاميركية المصفحة الخامسة نهر «السور» مخترقة خط سيغفريد باتجاه جنوبي «ايفل» غير ان الامدادات لم تتبع هذا الزحف السريع، فما كان من روندشتاد الا ان تصرف تصرف قائد كتيبة فشن هجوماً معاكساً بما لديه من عناصر متباينة. فقررت القيادة الاميركية العودة الى ما وراء «السور». وفي نقطة أبعد الى الشمال حاول الفيلق السابع، التابع للجنرال «لوتون كولنز» اقتحام «اكس - لا - شابيل» فاستولى على عدد من الدساكر الالمانية، لكن الهجمات المضادة حالت دون تقدمه فتحولت الحرب الى حرب خنادق.

في هولندا جرت محاولة اكثر جرأة وأبعد طموحاً وهي تتمثل باقتحام نهري شمالي غربي أوروبا الكبيرين وهما «الموز» و«الرين».

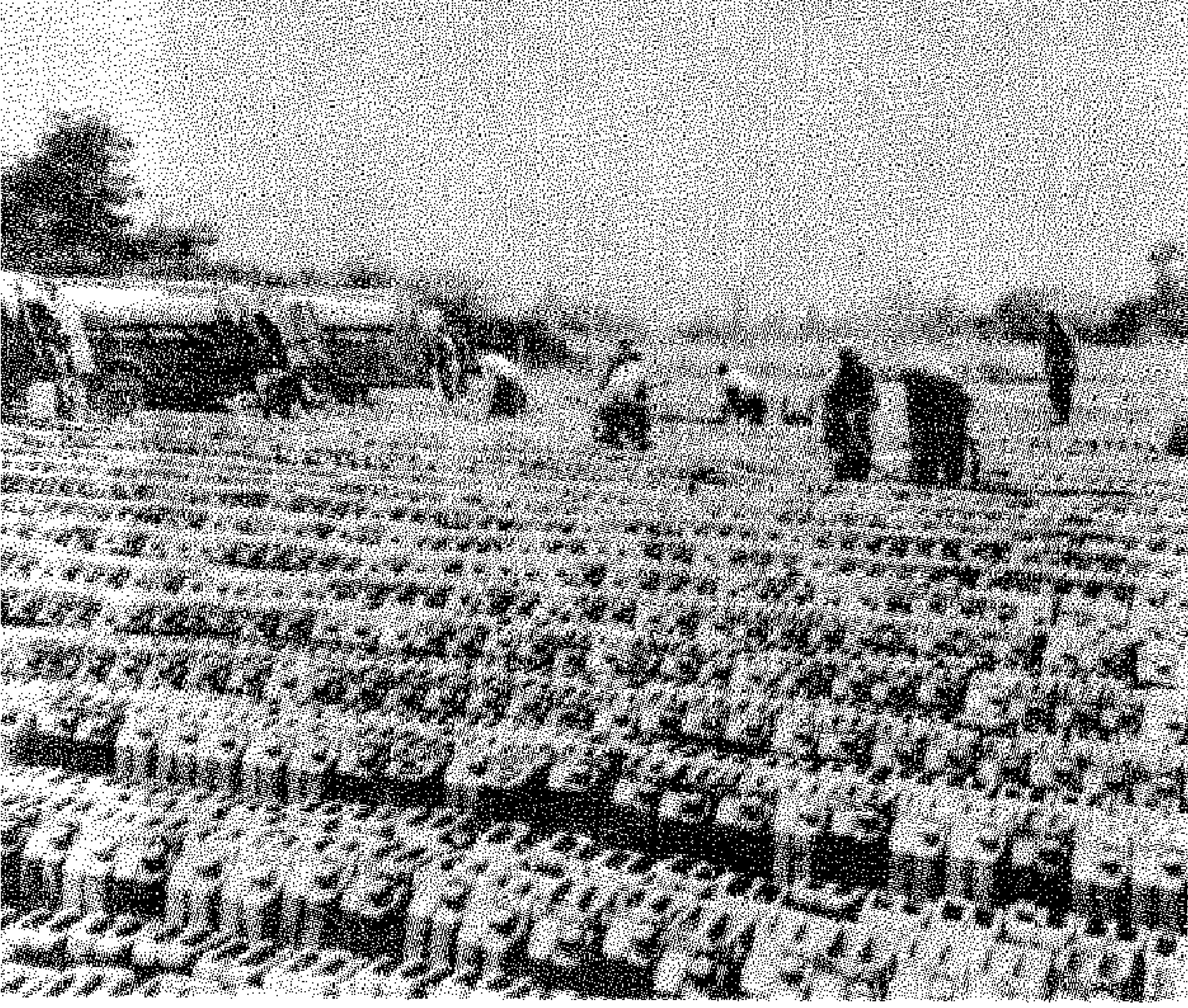
ففي انكلترا انشىء الجيش الحليف الأول المنقول جواً، وهو الأول من نوعه في العالم، بقيادة الجنرال الاميركي «لويس هـ. بريرتن». كان باهظ الثمن، سريع العطب، ولذا اعتبر بمثابة جيش احتياطي بالغ السرعة، فتقرر تركيزه على «آيندهوفن» و«نيمينغ» و«آرنهايم»



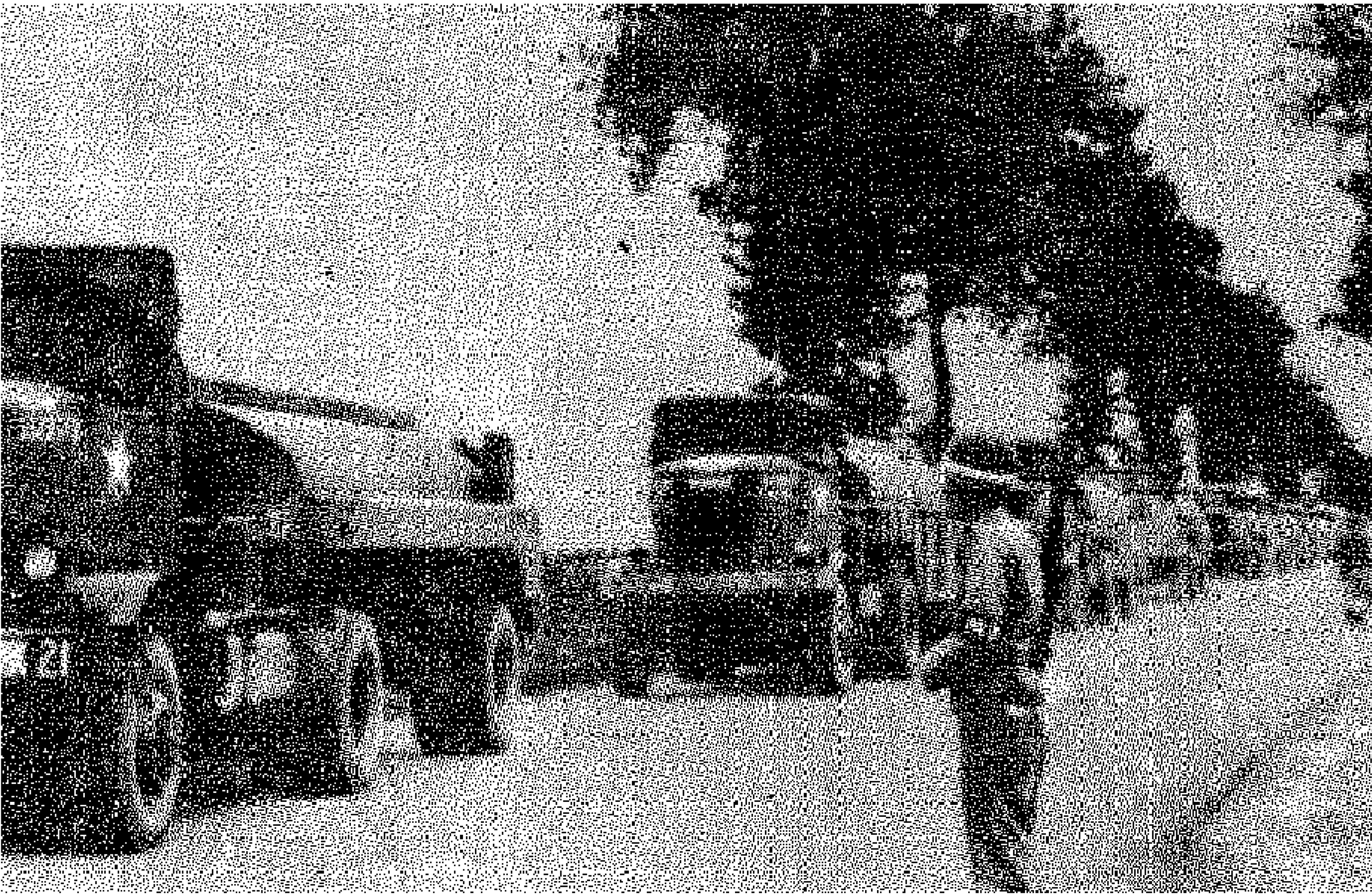
• دبابة المانية مع طاقمها.. بانتظار العدو بين الأشجار.

بغية الاستيلاء على معابر الموز والرين السفلى تحاشياً لخط سيغفريد.

الفكرة كانت خاطئة، لأن الوقت لم يكن وقتها. فالجيوش الحليفة متناثرة، منهكة، وأزمة النقل في غاية الاحتدام، والستراتيجية مترددة، وكتلة المناورة البرية اللازمة لاستغلال النزول الجوي لا وجود لها، بيد ان مونتغمري يأمل في ان يدفع نجاح العملية المنقولة جواً بايزنهاور الى اهمال نظرية الزحف على شكل مروحة، واعتناق نظرية «الضربة المركزة»، وهي خطته التي كانت تتخذ من الرور هدفاً مركزاً لها. تلك كانت آخر ورقة لانهاء الحرب عام ١٩٤٤.



• «تنكات بترول» استعملت للمرة الأولى في اوروبا.



• شاحنات التموين للجيش الحليف.

كانت الشمس تسطع ظهيرة يوم ١٧ ايلول عندما لاح الاسطول الجويّ قادماً من انكلترا في طريقين متلاقيين، كان قائد الجيش الألماني المعرض للهجوم هو الجنرال «شتودنت» الذي كان، لأربعة أعوام خلت، قد قذف بنفسه على هولندا هذه بالذات على رأس فرقة



• متطوعون المان لبوا نداء الحرب امام الخطر القادم.

هزيلة من المظليين، فاذا به الآن، في مقر قيادته في «فوغت»، بالقرب من «بوا - لي - دوك» يقف صامتا وقد استبد به الاعجاب والحسد اكثر مما استبد به الخوف. فهناك سحب من المطاردات تواكب ١٠٦٨ طائرة محشوة بالمظليين، و٤٧٨ جهازاً تقطر عدداً مماثلاً من الطائرات الشراعية، اما المطاردة الالمانية فمعدومة، واما المدفعية المضادة للطائرات ففي غاية الضعف بعدما سحقها سحقاً قصف سابق هائل. اما الخسائر - وهي ١٨ طائرة شراعية و٣٥ طائرة - فأقل كثيراً مما كان متوقعاً، ومعظم هذه الخسائر مردها الى حوادث الاصطدام الكثيرة. جاءت التقارير الأولى تحمل الكثير من التفاؤل والحماسة: فالعدو يبدو وقد اخذ على حين غرة، والنجاح يبدو كاملاً.

كان في نية مونتغمري ان يبسط ما دعاه بـ«السجادة» فوق خطوط المياه الخمسة التالية: قناة «فلهلمين»، و«زويدفيليمس - فارت» و«الموز»، و«الفال»، و«الرين»، التي تعترض تقدم الحلفاء من الشرق الى الغرب، وكان محور العملية طريق «آيندهوفن - آرنهيم» فاندفعت فرقة الحرس المصفحة قبل مجموعة الفيلق البريطاني ٣٠ بغية تحقيق الاتصال بمشاة الجو، ودعم الثغرة العميقة التي فتحوها في خطوط العدو. وتقضي مرحلة ثالثة بتمديد رأس جسر آرنهيم حتى «الزويدرزي»، وبذلك يتم تطويق القوات الألمانية المرابطة في هولندا الغربية، وانشاء قاعدة انطلاق للزحف على الرور. والحقيقة ان «باتون» لم يكن المعارض الوحيد لهذه الخطة، بل انها لقيت معارضة من «برادلي» كذلك.

اشتركت في العملية ثلاث فرق محمولة



• متطوعون المان امام مدرب يلقي تعليماته.

جواً تساندها عند الحاجة فرقة رابعة تركت في انكلترا. اما ميدان القتال فمنطقة خضراء عامرة بالمدن والقرى. كان الهولنديون يمضون اجازة نهاية الاسبوع بالرغم من وجودهم القريب من الجبهة، فاذا بهم يفاجأون بآلاف المظلات تنفتح في الجو فثارت حميتهم وأدركوا ان التحرير هابط عليهم من السماء.



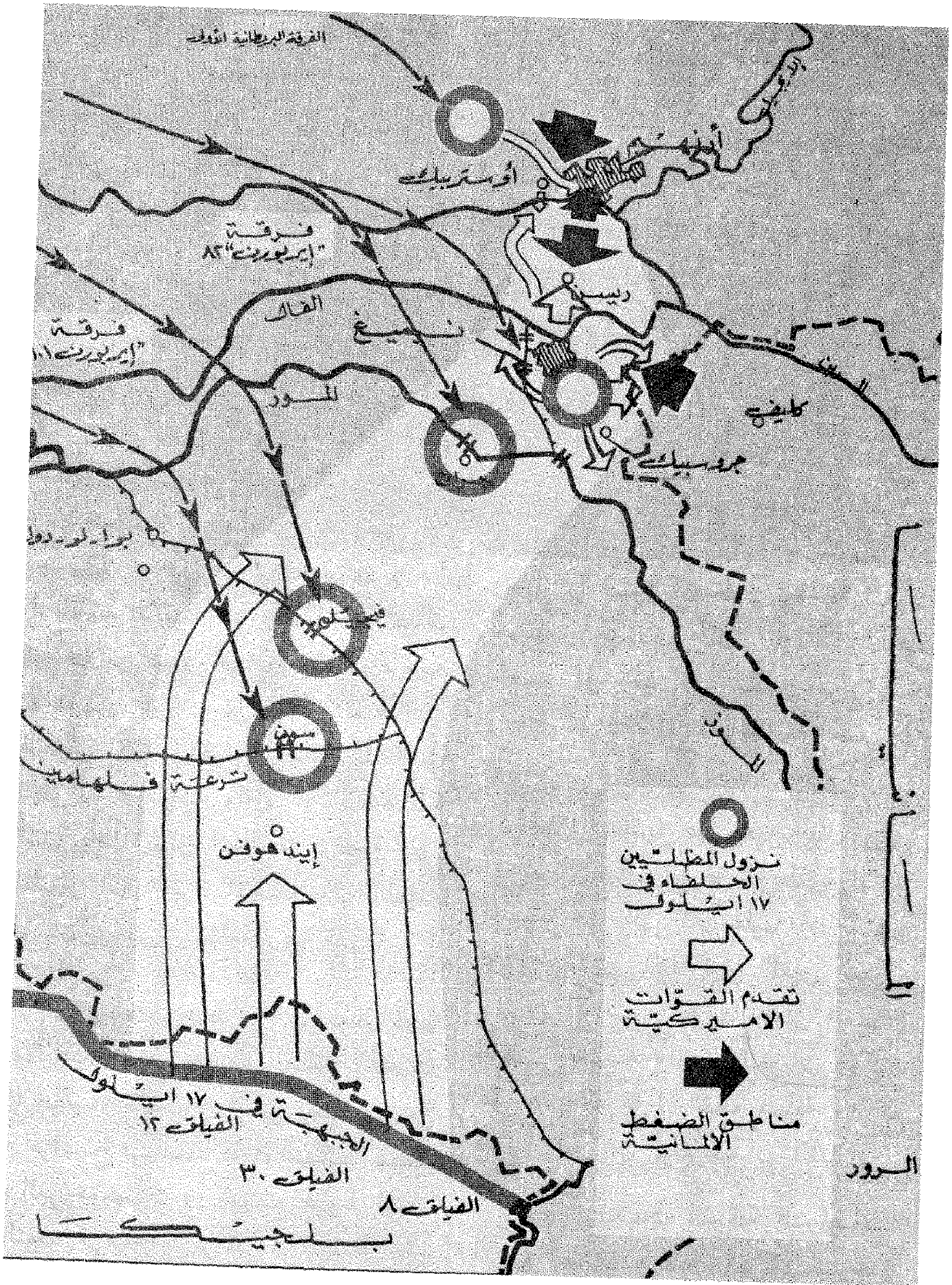
• الجنرال «شتودنت» فوق الخارطة وبدا «مودل» الى اليسار.



• مظليون بكثرة.. اثناء معركة «آرنهيم».

هبطت الفرقة ١٠١ المنقولة جواً في شمالي «آيندهوفن» بقيادة «ماكسويل تيلر» ودون خسارة تذكر، فانتزعت المدينة في صباح يوم ١٨، وفي ليلة اليوم نفسه التقت فرقة الحرس، الا ان جسر «الزون» الواقع على قناة «فلهلمين» كان قد نسف، لسوء الحظ، وقد استغرق ترميمه حوالي ١٢ ساعة.

كان على الفرقة ٨٢ المنقولة جواً ان تستولي على جسرين كبيرين جواً على الموز والفال، فضلاً عن أربعة جسور ثانوية على القناة التي تربط بين النهرين، كما كان عليها ان تستولي على مدينة نيميغ الهامة، وان تحتمي من ناحية الشرق باحتلال جبل «غروسبيك» الحرجي. هبط من السماء



• خريطة توضيحية لعملية «آرنهيم».

٧٢٧٧ رجلاً برفقة قائد الفرقة « جيمس غامان »، وقائد الفيلق الجنرال الانكليزي « براونينغ »، فأتى الهبوط رائعاً، وكانت الخسائر اقل بكثير من خسارة الفرقة ١٠١ مع العلم بأن المهمات الملقاة عليها هي أصعب من المهمات الملقاة على عاتق هذه الفرقة الأخيرة. ولقد تمكن الهابطون وهم يمثلون فوج المظليين المشاة ٥٠٤ من الاستيلاء على جسر « غراف » القائم فوق الموز، كما استولوا على جسور القناة، فضلاً عن تلة « غروسبيك »، واثبتت التحريات التي اجريت داخل « الرايخ فالد » ان الدبابات الألف التي زعموا انها هناك كانت من نسج الخيال، الا ان فرصة الاستيلاء على جسر الفال قد فاتت فاضطر قائد الفيلق الثاني للدبابات الجنرال « بيترنيخ » الى ارسال حامية أشد بأساً شكل مفاجأة مزعجة على اعتبار ان أجهزة الاستعلامات الحليفة لم تتمكن من اكتشافه رغم قدرتها.

في يوم ١٩ اضطرب الجو فحال دون عمليات هبوط جديدة، ولكن الهجمات الالمانية المضادة التي انطلقت من « الرايخ فالد » اوقفت على « الغروسبيك »، ومع هبوط المساء التقت فرقتا الحرس و٨٢ المنقولة جواً في « نيميغ »، وبذلك قطع ثلثا الطريق الى آرنهيم، الا ان جسر الفال قطع عليهم الطريق، وصدت كل المحاولات التي بذلت لمداهمته.

وفي ٢٠ تم التحضير لشن هجوم جديد، فزحفت الدبابات البريطانية في « الهانربارك »، فيما عبر المظليون الاميركيون نهر الفال لمداهمة الحامية في ظهرها، فما كان من الكتيبة الثالثة الا ان رمت بنفسها في تيار يسير بسرعة ١٥ كلم في الساعة على متن ٢٦ زورقاً من الكتان وألواح الخشب المعاكس. وانطلقت من الضفة المقابلة طلقات نارية حامية. لم يتم الرحلة سوى ١٣ زورقاً ما لبثت ان قفلت راجعة لتعود بجماعات جديدة. كان اندفاع الحلفاء شديداً الى حد انهم تمكنوا من إبادة رجال الصاعقة إبادة تامة اما الجسر فلم ينسف.

تمت السيطرة على معبر الفال، بقي ان يتم الاتصال بالفرقة البريطانية الأولى المنقولة جواً التي كان عليها ان تستولي على الجسرين المتقاربين اللذين يعبران « الرين الأدنى »، وقد جعل احدهما للقطر الحديدية والآخر للعربات، وكان على هذه الفرقة ان تقطع مسافة ١٠ كلم تقريباً قبل ان تبلغ ميدان القتال.

لقد ارتكبت الفرقة البريطانية الأولى أخطاء جسيمة، فهي لم تسرع في تجمع بعد عملية الهبوط، واستسلمت لنداءات الجماهير الفرحة دون ان يتجه



• مظليون المان أسرى.. في جبهة هولندا..

منها نحو الأهداف المقررة سوى لواء واحد، اما الثاني فقد انتشر رجاله انتشار دفاع حول منطقة الهبوط، واذ أوقفت كتيبتان عند تخوم «اوستربيك» آلت مهمة الفرقة بكاملها الى كتيبة واحدة سارت بامرة الليوتنان - كولونيل «ك. د. فروست».

وما لبث الجسر الحديدي ان نسف امام سيارة «فروست»، لكن الكتيبة تابعت سيرها عبر شوارع آرنهيم الضيقة، فوصلت في الساعة ٢٠,٣٠ الى مدخل الجسر المعبد الكبير، فما كان من الجنود القدماء الـ ٢٥ الذين اقيموا على حراسته الا ان ولوا الادبار، وبدلاً من ان يعمد «فروست» في الحال الى احتلال طرفي الجسر، تهيب الموقف وارسل دورية لاستطلاع حقيقة الأمر، واذ تعرضت هذه لنيران المدفعية المضادة للطائرات قرر التريث حتى الفجر على الضفة اليمنى. وستشير التقارير الالمانية جميعها الى ان الانكليز أفسدوا الفرصة التي سنحت لهم ببطء تحركاتهم. والواقع انهم، على ما يمتازون به من تصلب وعناد واستبسال في الدفاع، يفتقرون الى تلك الشرارة التي ينطلق منها النجاح الهجومي.

ومع هبوط الليل تحصن فروست في البيوت الأولى في «نوميغزفيغ» على الرغم من احتجاجات السكان، اما الألمان فبادروا الى التحصن في بيوت

الضفة اليسرى، واستسلم الجميع لسبات عميق لم يطل، اذ ما ان بزغت الشمس حتى كان القتال مندلعاً على أشده، وعبثاً حاولت كتيبة فروست برجالها، الذين لا يتجاوزون ٥٠٠ رجل، ان تعبر الجسر الذي كان حراً مساء اليوم السابق، كما باءت بالاخفاق كل المحاولات التي جرت لدعمها. ولقد اخفق الانكليز المرة تلو المرة، واحتجز قائدهم الميجر - جنرال «اوكارت» لمدة ٣٦ ساعة في غرفة علوية تغص بالالمان، ومما زاد طين الانكليز بلة ان الضباب الكثيف غطى سماء انكلترا بأسرها، الأمر الذي حال دون ارسال النسق الثاني من الفرقة، وأخذ الخناق المضروب حول الفرقة بالقرب من «اوستربيك» يشتد ويضيق حول الفندق الذي فر منه القائد الأعلى لمجموعة الجيوش الالمانية المارشال مودل اثناء عملية الهبوط. وكان بوسع الانكليز ان يلقوا القبض عليه لو توفر لهم شيء من السرعة والحدس.

والحقيقة ان الألمان بذلوا جهوداً جبارة اعتقاداً منهم بأن مصير الوطن يتقرر في معركة تدور رحاها على بعد كيلومترات من الجبهة، ولذلك لم ينفك هتلر يصدر الأوامر المتتالية لكل من هو قادر على حمل السلاح، حتى ان كتيبة من الرجال المشوهين، برزت في ميدان المعركة بقيادة ضابط معاق.

لم يبق امام الفرقة البريطانية الأولى المنقولة جواً غير فرصة واحدة للخلاص ترتكز على وصول نجدة سريعة من القوات البرية، لكن الطريق الفاصلة تخترق مروجاً تغص بالمياه، الأمر الذي جعل زج اي جهاز مصفح أمراً عسيراً، اذا لم نقل مستحيلاً. وفي «رين» صدت كتيبة من رجال الصاعقة فرقة الحرس، فشقت فرقة اخرى تابعة للفيلق ٣٠ طريقاً لنفسها الى يسار الأولى، وهذه الفرقة هي الفرقة ٤٣، ولكنها صادفت عراقيل كثيرة في بعض الطرقات الثانوية الأمر الذي جعل تقدمها صعباً للغاية، فعمدت القيادة، عندئذ، الى القاء ورقتها الأخيرة بانزال لواء المظليين البولونيين التابع للجنرال «سوزابوفسكي» جنوبي «اوستربيك»، ولم يتمكن سوى بضع عشرات من الجنود اللحاق بجنود «اوركوارت» عبر «الرين»، وقد أخذ الحصار يضيق عليهم الخناق، اذذاك استسلم فروست الجريح برفقة ٢٠٠ مقاتل هم كل ما بقي معه. اخفقت عملية آرنهيم، وانقذت البقية الباقية، وعاد الى عبور النهر الكبير، خلال ليلتين ممطرتين، ٢٣٩٨ رجلاً من أصل ١٠٠٩٥ رجلاً من الذين هبطوا شمالي الرين، فآوتهم الفرقة ٤٣، اما الباقون فكان مصيرهم اما الأسر واما الموت.

حملة الخريف

- جندي اميركي يرقد امام دبابته في «بلجيكا».





- القوات الألمانية تقاوم في الجبهة الهولندية.

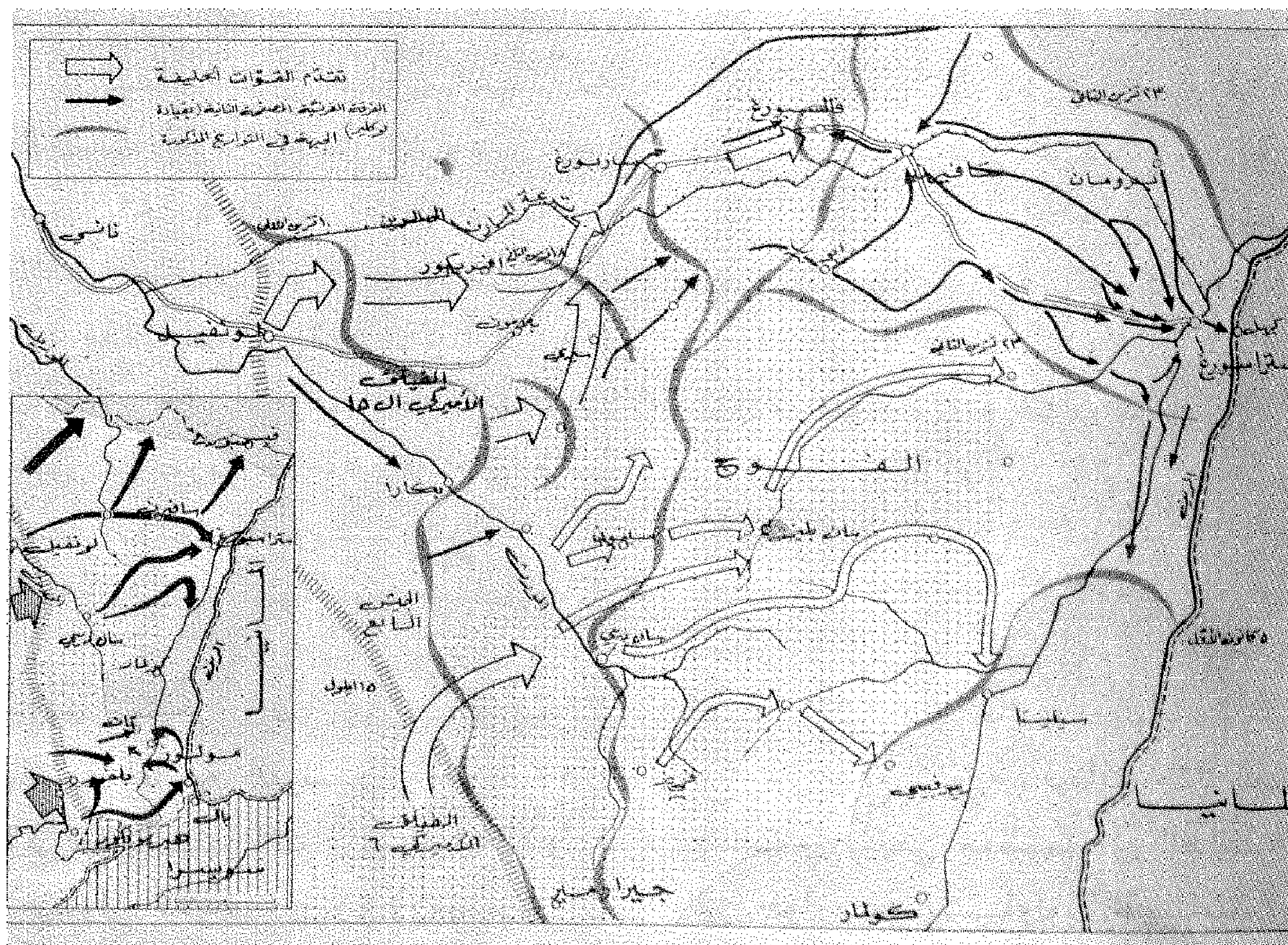


- «هتلر» يصافح «مودل» بعد تقليده صليب الحرب.

كان اخفاق «آرنهيم» بداية خريف سيء. الأمطار أغرقت أوروبا الغربية. مجارى الأنهر اتسعت، وتحولت ميادين القتال الى مساحات شاسعة من الوحول، وما زاد الطين بلة هبوط الثلج منذ مطلع تشرين الثاني.

لم تكن المعنويات بأفضل حالاً من الأحوال الجوية. فرحة النصر التي اكتنفت الحلفاء في فصل الصيف تحولت الى غصة ممضة، فيما أخذ الألمان يتنفسون الصعداء، ويجددون قواهم.

في ٨ أيلول سقط الصاروخان الأولان من طراز (ف ٢) على المنطقة اللندنية - الأول في «شيزويك» والثاني في غابة «ابينغ» وفي الأيام التالية أطلق ٢٫٥ صاروخاً من الطراز



- عملية انطلاق الفرقة الفرنسية المصفحة الثانية نحو «سافيرن» و«ستراسبورغ».

نفسه، ولم يتوقف اطلاق هذه الصواريخ الا في ١٧ ايلول، يوم مباشرة تنفيذ عملية آرنهيم، ثم استؤنف بكثافة ابتداء من ٢٥ انطلاقاً من جزيرة «فالشيرين» ومن ضواحي مدينة «لاهاي»، الأمر الذي يشكل، مع اقفال الايسكو، السبب الثاني الذي يدفع الألمان للتشبث بهولندا.

كانت سرعة الصاروخ «ف ٢» تفوق سرعة الصوت، لذلك كان يسقط دون سابق انذار، وهو أشد تدميراً وتخريباً من صاروخ «ف ١». وفيما كانت هذه الصواريخ تنهال على لندن كانت الاذاعة الألمانية التي تسمع جيداً في بريطانيا، ترفع المعنويات واعدة الجنود الألمان بظهور أسلحة أفتك من هذه الصواريخ.

كانت انكلترا تترنح تحت هذه الضربات القاسية، كما كان الوضع الفرنسي بالغ القلق، بالنظر الى الحاجة الماسة الى الغذاء والوقود والألبسة. وعلى الرغم من السطوة التي كان يتمتع بها الجنرال ديغول فان الدولة كانت تجد صعوبة بالغة في بسط هيبتها على بلاد نال منها الدمار، واستتب فيها الفساد. وفي ٢٨ تشرين الأول اتخذ ديغول

واحداً من تلك القرارات الحاسمة التي اشتهر بها، فحل المنظمات العسكرية الوطنية مجرداً بذلك الشيوعيين من جيش الحرب المدنية التابع لهم، وبات الناس يترقبون حركة عصيان سافرة ضد هذا التدبير، إلا ان شيئاً من هذا لم يحصل حتى ان زعيم الحزب الشيوعي «موريس توريز»، الذي عاد الى فرنسا بعد صدور العفو عنه لفراره عام ١٩٣٩، أصدر أمره بوجوب الطاعة.

كان تحرير فرنسا يعني نهاية الحرب بالنسبة لغالبية الفرنسيين. حاول «دي لاتر» ان يصهر الثوار في جيشه الأول، وحاول «كونيغ» و«لارمينا» ان يشكلا من قوات المقاومة الفرنسية فيلقاً يقضيان به على جيوب الأطلسي. في «الألب» بعث بعض الكتائب وانصاف الألوية من القناصة، كما بعثت فرقة المشاة الألبية ٢٧. وقد أحرزت هذه المحاولة نتائج حسنة، لكن نسبة الاخفاق كانت أكبر لدى الثوار الذين يتمتعون بالرومنطيقية الثورية. وهكذا ما فتىء الجيش الفرنسي الذي يخوض غمار الحرب ضد ألمانيا، مؤلفاً بغالبيته الساحقة من فرنسيي ومسلمي افريقيا الشمالية، وهذا ما دفع «دي لاتر» الى توجيه رسالة في ١٦ كانون الأول الى ديغول يعبر له فيها عن قلقه الناتج عن «عدم اسهام الأمة بجهود الحرب»،

وختم «دي لاتر» رسالته مطالباً بأن «يتلقى الجيش الأول، في أقرب وقت، الشباب الفرنسيين البالغ عددهم ٨ آلاف، أو العشرة آلاف الذين يفتقر اليهم لاستعادة توازنه المعنوي وقدرته على القتال». فوعد بهم ديغول الا انه اصطدم بعقبات جمة لتوفيرهم.

في ايطاليا كان الوضع اكثر مأساوية، البؤس لا يوصف. الانحلال الأخلاقي مسيطر، الى حد ان احدى الصحف كتبت تقول: «في ما عدا البابا، الكل يباع ممن يدفع اكثر». فهناك ٣٦٠ الف روماني ينتمي معظمهم الى الطبقة البورجوازية يتناولون طعامهم في المطاعم الشعبية. والحرب آخذة في الاشتداد. وبعد انسحاب رجال الحملة الفرنسية والفيلق السادس الاميركي تلقت جيوش المارشال الكسندر قوات استبدال من بينها فيلق برازيلي، وما لبثت ان عادت الى تسلم زمام المبادرة. وفي أعقاب سقوط «فلورنسا» شن الجيش الاميركي الخامس هجوماً صاعقاً في «الانبين الأوسط» على «خط غروني» المحصن، كما سماه الألمان، او «الخط القوطي» كما سماه الحلفاء، لكن الشتاء ما لبث ان كسا الجبال بالأبيض الناصع فجمد العمليات على ابواب مدينة بولونيا. وعرف الـ ١٥ مليوناً من الايطاليين الذين ما زالوا يعيشون تحت



- انقاض «سان فيت» في بلجيكا تغطيها الثلوج.

سلطة «موسوليني» الاسمية، أهوال القصف والذعر النازي. اما في ما تبقى من البلاد فلم ترتسم بعد معالم المؤسسات التي كان ينبغي ان تحل محل الفاشية، فأفاد الشيوعيون من هذا الفراغ لوضع يدهم على البلاد.

اليونان كانت، بدورها، تعاني مأساة مرة. فما كاد الألمان يجلون عن العاصمة أثينا في ١٢ تشرين الأول حتى بادر الفيلق البريطاني التابع للجنرال سير «رونالد سكوبي» الى احتلالها دون ان تكون المنظمة المتفرعة عن الحزب الشيوعي، وساعدها العسكري، على علم باتفاق «ستالين - تشرشل» الذي وضع اليونان في المنطقة البريطانية مقابل وضع «رومانيا» و«بلغاريا» في الخانة السوفياتية.

ونتيجة لهذا الجهل اندلعت في ٣ كانون الأول الثورة الشيوعية في قلب العاصمة اليونانية، الأمر الذي دفع «تشرشل» الى الابراق لـ«سكوبي» طالباً منه الصمود مع تجنب اراقة الدم ما أمكن، فما كان من أميركا إلا ان احتجت فاتحة بذلك الباب لمناقشات حادة مريرة بين حليفي الأمس.

لم تلن قناة تشرشل، بل راح الجنود البريطانيون واليونانيون النظاميون يبذلون جهوداً مضنية، طيلة ٤٠ يوماً، لاكراه الشيوعيين على الجلاء عن العاصمة، ولكنهم عادوا فجمعوا شملهم

في الجبال متابعين كفاحاً يعتبر، بحق، فاتحة لنزاع عالمي جديد تتداخل حوادثه بالنزاع المحرق القائم يومذاك.

في المانيا كانت معركة آرنهيم منشطاً قومياً. فلم تمض عليها أسابيع ثلاثة حتى توغلت جبهة روسيا البيضاء الثالثة في بروسيا الشرقية حتى «غومبينن» و«غولداب»، ولكن الجيش الرابع ما لبث ان مزقها شر ممزق، فعادت الى ما وراء الحدود مخلفة وراءها الف دبابة. لكن ذلك كله لم يتعد كونه نجاحاً دفاعياً محلياً، غير انه أنسى الجلاء عن البلقان وخسارة بلغراد والتوغل السوفياتي في المجر. ومن حسن حظ النازيين ان الزحف الروسي الأول على الأراضي الألمانية اتسم بطابع العنف، مما وفر لهم حافزاً جديداً يدفعهم الى مواصلة القتال اياً كانت العواقب وخيمة.

يوم الثاني من تشرين الأول شهد أغرب عملية حكم بالاعدام، اذ علق «فيتزليبن» من زلعومه بكلابة جزار بعدما كانت محكمة الشعب قد أصدرت هذا الحكم، وفي ١٤ خير رومل بين محكمة الشعب والانتحار، فاختار الحل الثاني، وابتلع السم الذي حمله اليه كل من الجنرالين «بورغدورف» و«ميزل» المرسلين من قبل هتلر. والغريب ان اقيم لرومل مأتم قومي تخللته برقية ملتاعة من الفوهرر، وقد ابنه المارشال روندشتاد المخدوع او المشترك في المهزلة! وامتدت حركة القمع الرهيبة المنكرة لتشمل متآمري ٢٠ تموز جميعاً، وكانت تكفي أقل وشاية بأحدهم حتى كان يقاد الى المقصلة، او يسام اي نوع من انواع الموت.

ولم تسلم اميركا نفسها من سأم خريف ١٩٤٤ ففي كندا أثار امتداد حركة التجنيد بعض الاضطرابات في مقاطعة كيبك التي عارضت منذ البدء، اسهام الكومنولث في الحرب. وفي الولايات المتحدة، حيث كانت تنتظر «عودة الفتيان قبيل الميلاد»، ولد ارجاء العودة الظافرة خيبة امل انعكست آثارها في انخفاض مستوى الانتاج الحربي. واذا انتخاب روزفلت الرابع عملية شاقة وعسيرة، فانبرت حاشية البيت الأبيض إلى تبييض صفحته حتى ان طبيبه الخاص أصدر بياناً أكد فيه ان صحة الرئيس لم تكن، في يوم من الأيام، بأفضل مما هي عليه الآن. لكن البلاد لم تؤخذ بكل هذه المساحيق، ومع ذلك أعادت انتخاب روزفلت مفضلة اياه على «توم ديوي» الذي طهّر نيويورك من عصابات المجرمين واللصوص؛ ولكن بنصف الأغلبية الساحقة، قانعة أكثر منها مقتنعة. ومهما يكن من أمر فلقد أكره روزفلت على



– اسرى في معسكر «سينزيغ» في المانيا.

الاذعان للموجة المحافظة التي اجتاحت اميركا فتخلى عن نائب الرئيس «هنري والاس» المتهم بولائه للشيوعيين واستبدل به كهلاً مغموراً يدعى «هاري ترومان».

★ ★ ★

نعود الى آرنهيم، فعلى الرغم من فشل هـــذه العمليـــة، فقـــد استمر مونتغمري، بمـا عرف عنـه من صبر وثبات، في الابقاء على الجهود المركز باتجاه الرور، وهو لن يذعن الا في ١٦ تشرين الأول، ولكن بلباقة ومن غير تقيد ذهني امام ارادة ايزنهاور، اذ قـال: «لقـد أعربـت لـك عن وجهـة



- «بنيتو موسوليني» معلقاً من قدميه في «ميلانو».

نظري، وابلغتني جوابك. لن تعود هذه القضية الى نطاق البحث بعد اليوم. وسأجهد في تنفيذ قرارك مئة في المئة، ولقد خصصت «انفير» بالأفضلية المطلقـــة في عمليـــات مجموعـــة الجيوش ٢١ »...

كان الجيش الالماني ١٥ يسيطر على منافذ الايسكو بقيادة «فون زانغن» الذي حل محل «فون سالموث» احد مشبوهي ٢٠ تموز. وبعدما حوصر جزء من الجيش، البالغ عدد أفراده ٨٠ ألفاً، في المنفـذ الجنوبي، عـاد فجلا بطرق مرتجلة الى جزيرة فالشيرين وشبه جزيرة «بيغـيرلانـد»، وقـد تركـت فرقـة المشاة ٦٤ في مكانها لحماية رأس الجسر حول مرفأ «بريسكنز» الصغير، وبقيت فرقة اخرى ممسكة بحواشي «انفير»، وانبسطت فرقتان اخريان في جبهـة رقيقـة فوق الـترعـة من انفـير الى «تورنوت».

كان هجوم الفيلق الكندي الثاني ضد جيب «بريسكنز» في ٦ تشرين الأول بداية معركة الأراضي المنخفضة، «وهي مهمة قذرة باهظة الثمن» على حد قول المؤرخ الكنـدي، وقـد استمر اخضـاع الجيب ١٥ يوماً من القتال، ولكنه خلف في ايـدي الكنـديـين ١٢٧٠٧ أسرى. وبتخلي الألمـان عن ترعـة «تورنوت» تكون بلجيكا، البلد الوحيد في اوروبا

الغربيـة في تلـك الفـترة الـذي حرر بكامله.

بعد بلوغ «الموز» اتجه الزحف نحو الشرق، فتم احتلال «زويد بيغلاند» في ٣١ تشرين الأول وفي سبيل اخلاء «الايسكو» كـــان ينبغي انتزاع «فالشيرين» التي كان هتلر قد أمر بالدفاع عنها حتى الموت.

كل شيء يدعو الى الغرابة في تلك الجزيرة القـائمة تحت مستوى سطـح البحر، باستثناء ناتئة من التلال الرملية وسدود أشبه بالزنار. واما الحامية فيها فهي فرقة المشاة ٧٠ عينها التي بات يطلق عليها فرقة امراض المعدة. وطرأت للجنرال «سيموندز» الـذي حـل مؤقتاً محل الجنرال «كريرر»،



– أطفال المان.. للدفاع بعد طلب هتلر.



- مدنيون يحاولون النجاة بعد ان فتح القناصه الألمان النار على «ديغول» وموكبه اثناء دخول «نوتردام».

فكرة نسف السدود بواسطة الطيران الجوي الملكي، فتدفقت مياه البحر وغطت داخل الجزيرة، مرغمة المدنيين الهولنديين والجنود الألمان على الفرار الى السدود في خليط فوضوي. وفي اول تشرين الثاني شن الهجوم فاستسلم الجنرال «داسير» في ٦ منه، وكانت حصيلة الحلفاء ٤١ ألف أسير و ١٢١٧٠ قتيلاً أو جريحاً او مفقوداً، وبهذه الحصيلة تم فتح باب الايسكو.

في ٢٨ تشرين الثاني خاضت القافلة الأولى النهر، وكان هتلر قد أمر بسحق انفير بصواريخ «ف» مكرساً لهذه المهمة ٣٧٠٠ صاروخ من طراز «ف١» و«ف٢»، اي اكثر مما سيسقط على انكلترا بقيمة الضعفين. وقد اصاب اقل من نصفها بقليل منطقة السكن فقتلت او جرحت ١٠ آلاف شخص يوم



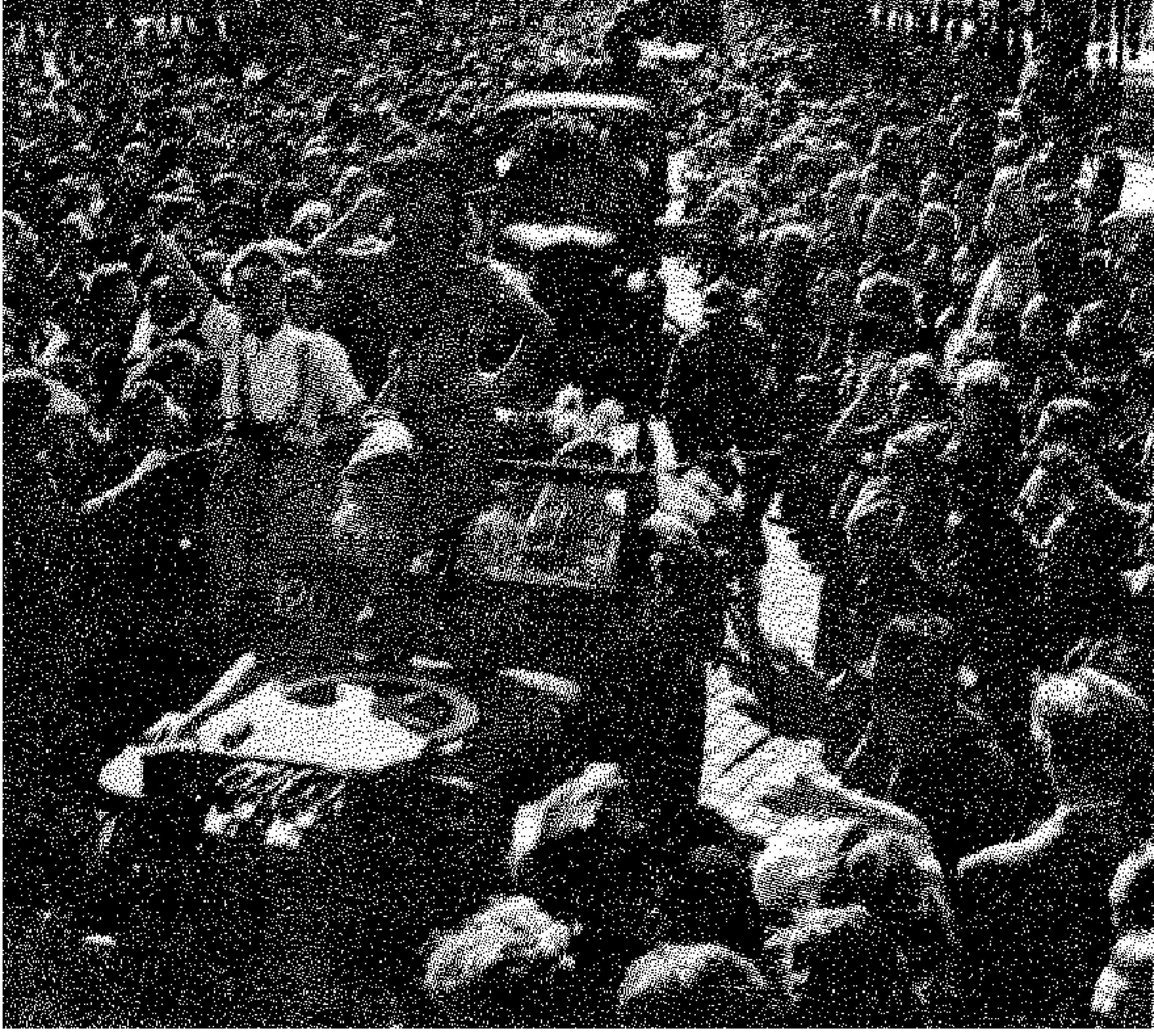
- الجنرال «شولتتز» يوقع على الاستسلام في محطة «مونبارناس».

١٦ كانون الأول. وجاء اضراب عمال الأرصفة ليزيد الطين بلة ويخفض الانتاج في هذا المرفأ الى نحو ١٠ آلاف طن يومياً مما أفسد حسابات الحلفاء في ميدان تموين الجنود.

على صعيد الحلفاء، فقد تقرر ان يقوم هؤلاء بجهد حاسم لمحاولة انهاء الحرب عام ١٩٤٤. وفي ١٨ تشرين الأول قرر القادة الكبار في بروكسل هجوم عام تشترك فيه مجموعات الجيوش عامة. ولسوق تنجز، المجموعة ٢١ تحرير هولندا. واما المجموعة ١٢ التي تم تدعيمها بواسطة الجيش الأميركي التاسع بقيادة الجنرال «وليام سيمبسون» فلسوف تقوم بالهجوم من ضاحيتي «الاردين» كلتيهما. واما المجموعة السادسة بقيادة الجنرال «ل. ديفرز»، والتي تضم الجيش الاميركي السابع



– استقبال حار للجنود البريطانيين في باريس.



– استقبال «الحلفاء» في «بروكسيل».

الفرقة الأولى أثناء معركة «آرنهيم».

عــــادت معركــــــة «ايكس - لاشابيل» الى الاشتعال بعد توقفها فترة من الزمن، وقد حولتها هذه المعركة اطلالاً حزينة، علماً بأن قيمتها، لم تكن ذا طابع ستراتيجي، بل رمزي، على اعتبار انها احدى المدن الالمانية الكبيرة، ولعل هذا بالذات ما دفع هتلر الى التشديد على ضرورة الحفاظ عليها بأي ثمن كان.

وفي ١٦ تشرين الأول طوقت المدينة في حوضها الصغير بشكل كلابتين بقيادة هودجز وسمبسون، مما دفع هتلر الى اطلاق ندائه المعتاد: «الموت تحت

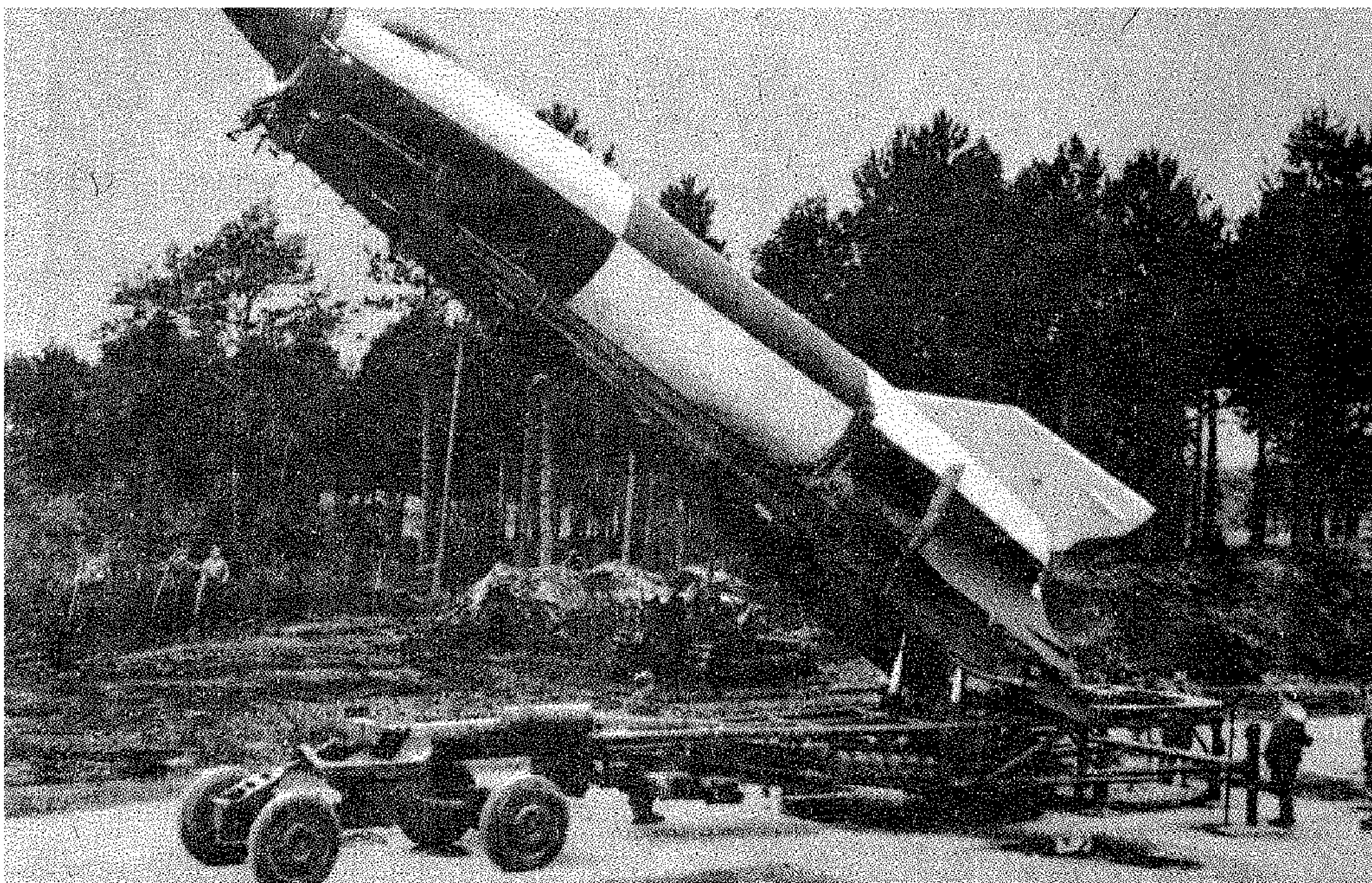


- قوات انكليزية تستعد لعبور خط «سيغفريد».

والجيش الفرنسي الأول، فلسوف تبلغ «الرين» وتجتازه حول «ستراسبورغ». وكان يتوقع ان تنهار المقاومة الألمانية امام هذا الزحف المطبق.

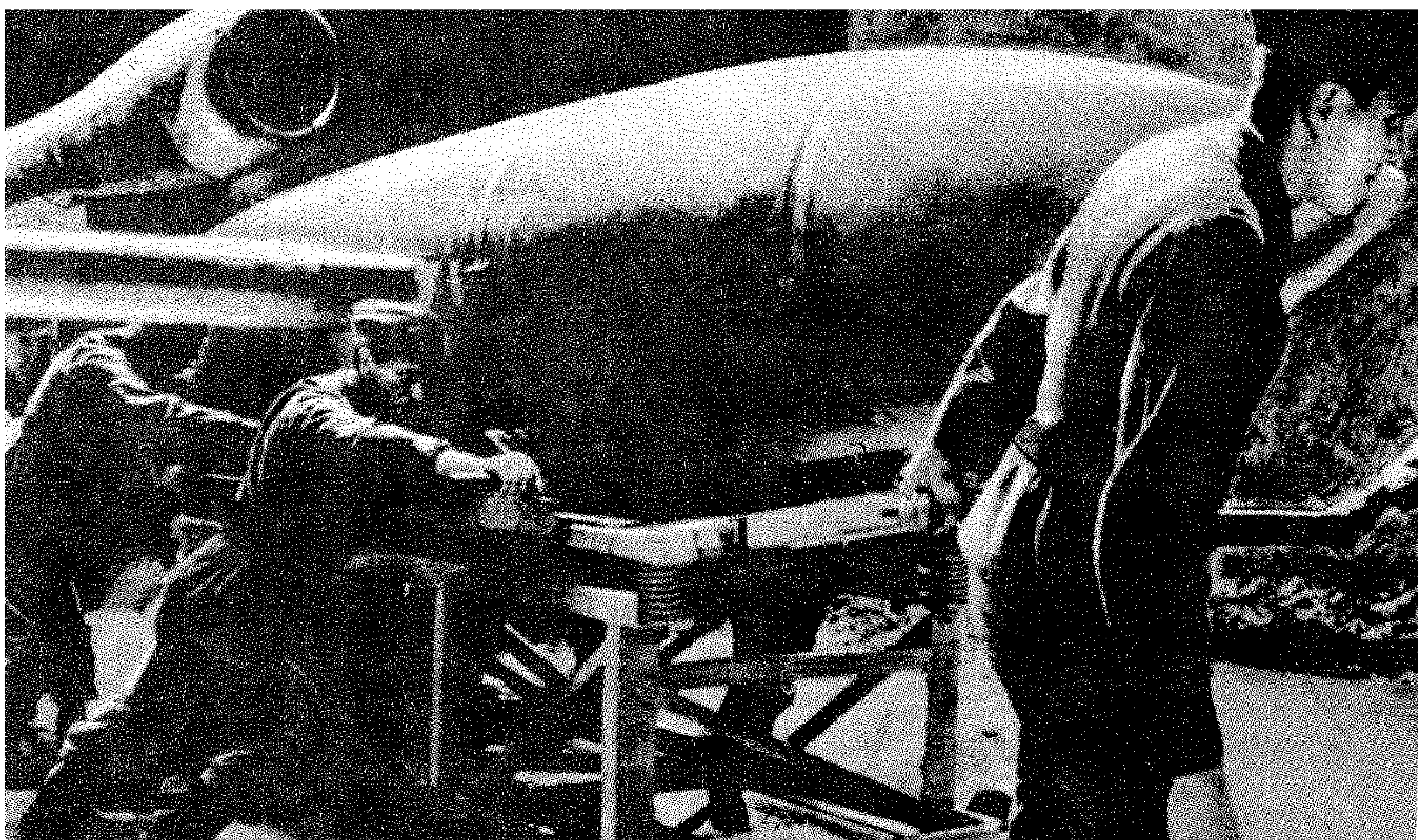
- جنود كنديون أثناء المعارك في «نيميغ».





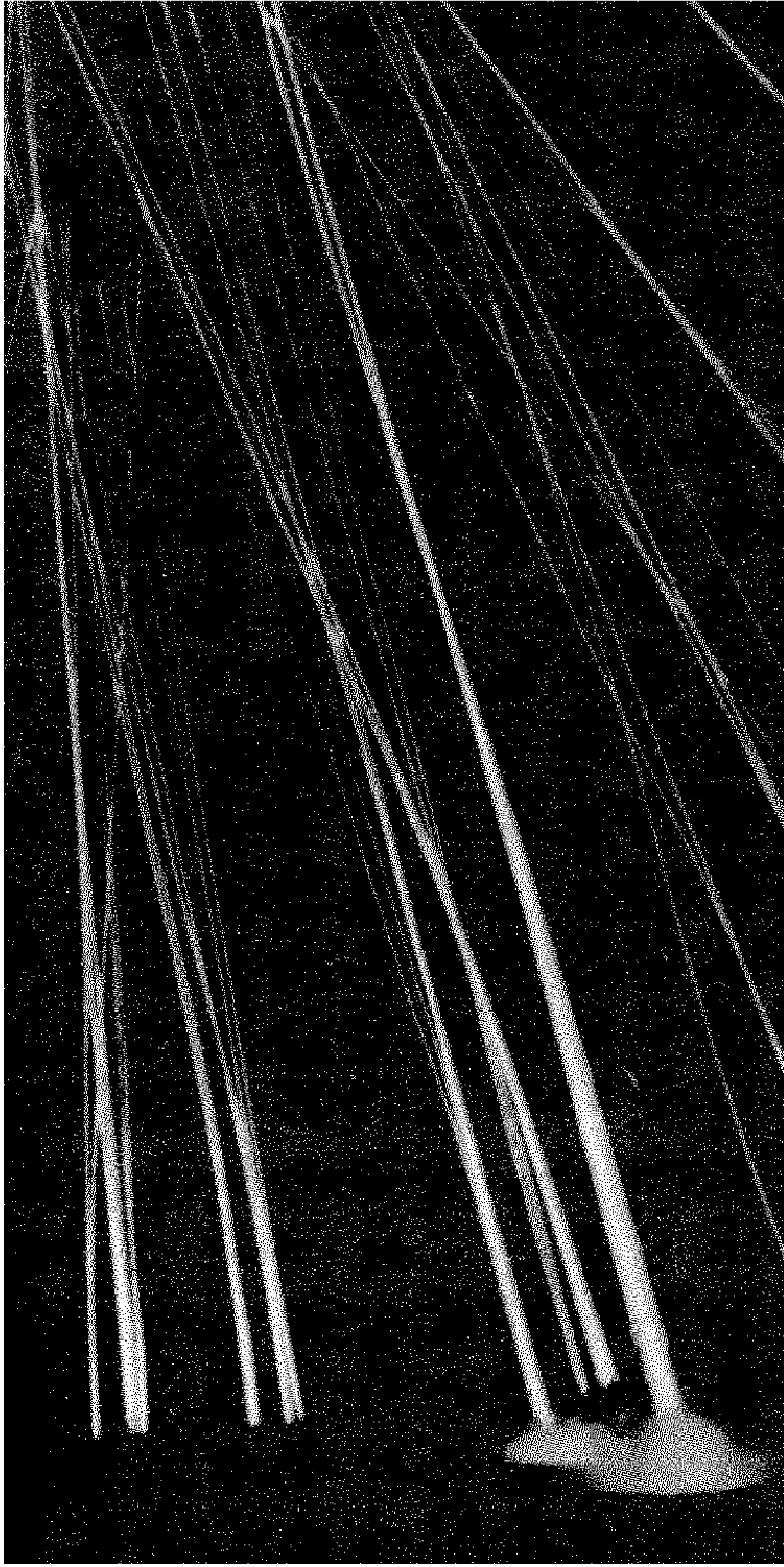
- صاروخ «ف٢» سلاح جديد أضيف للترسانة الألمانية وكان الأمل الوحيد الباقي.

- عربة تحمل صاروخ «ف١»... نحو عملية الاطلاق.

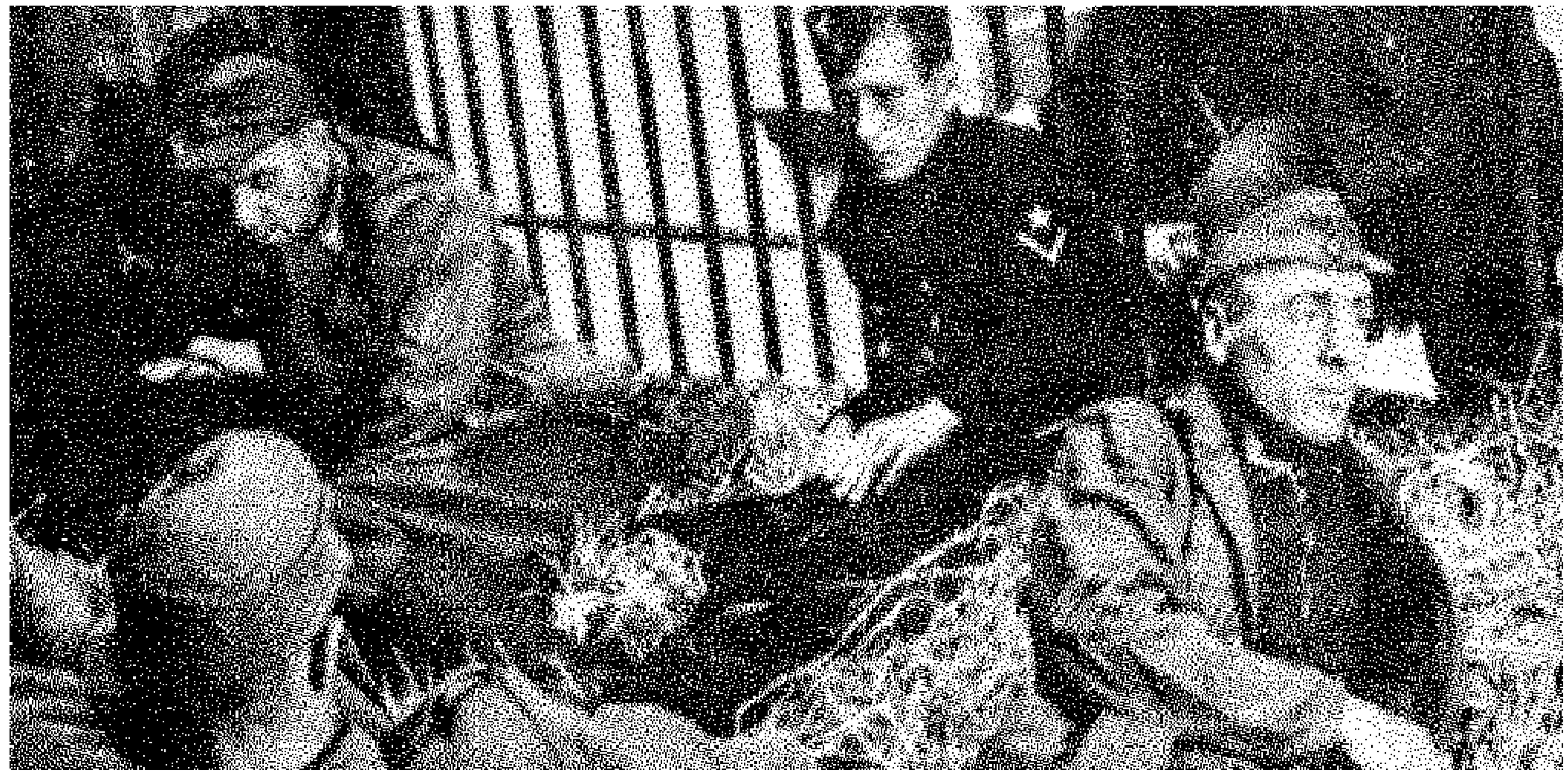


الانقـــاض ولا الاستسلام ». إلا ان الكولونيل « فيلك » قام بما يمكن ان يقوم به كل قائد تحاصر مجموعته رافعاً الراية البيضاء في رده على الفوهرر بتصريح في ٢١ تشرين الأول.

وفي ١٦ تشرين الثاني شن الجيشان التاسع والأول هجوماً عاماً بهدف بلوغ « الرين ». وكـــان عـــلى جيش « سمبسون » الـذي يهـاجم من خـط « سيغفريد » ان يستولي على الدساكر العديدة المنتثرة فوق سهل « ايشفايلر » واحـدة واحـدة. وكـان جيش هودجز يقـاتـل عـلى سفوح « الايفـل » الوعرة المكسوة بالثلوج، فكانت الخسائر جسيمة والآلام مخيفـــة. وقد بلغت المعارك من الحدة بحيث انتقلت قرية « هورتغن » من يد الى اخرى ١٤ مرة. كما انتقلت قرية « فوستاخ » ٢٨ مرة. وفي اواسط كانون الأول بلغ الجيشان الاميركيان

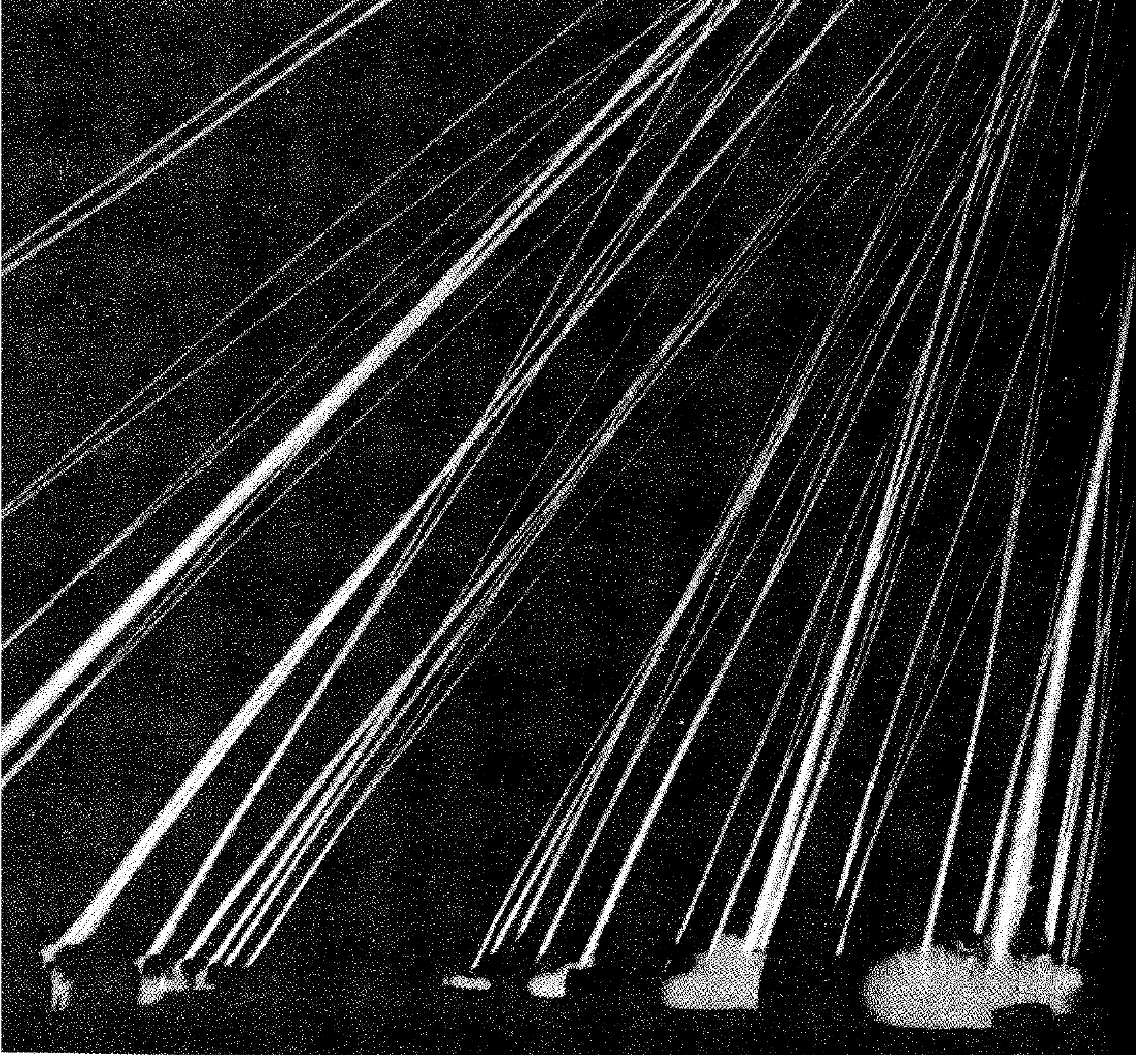


- جنود المـــان أسرى مـــع بعـــض الجواسيس البلجيكيين في الأقفاص في حديقة حيوانات انتورب.



- هتلر وموسوليني يتـأمـلان الخراب الـذي أحـدثـه انفجـار قنبلة في قـاعـة اجـتـاعـات الفوهرر.





- سماء «لندن» عبر الأنوار الكاشفة.

حـــــدود «الروير»، ولكن دون ان يتمكنا من الاستيلاء على «جوليخ» و«دورين»، وهكـــذا بقي «الرين» بعيداً.

قطع «جورج باتون» على نفسه عهداً ببلوغ الرين قبل سواه عبر «اللرين» و«بالاتينا». وفي ٨ تشرين الثاني انطلق عملاً بقرارات بروكسل، وبعدما كانت امطار الخريف الغزيرة، وأزمة النقل قد شلت جيشه الثالث طوال شهر كانون الأول، ودون ان يبلغ برادلي وايزنهاور لشدة ما كان يخاف من ان يطلب اليه انتظار هودجز وسيمبسون. كانت الأحوال الجوية مقبولة في اليوم الأول، لكنها ما لبثت ان ساءت، الأمر الذي انعكس سلباً



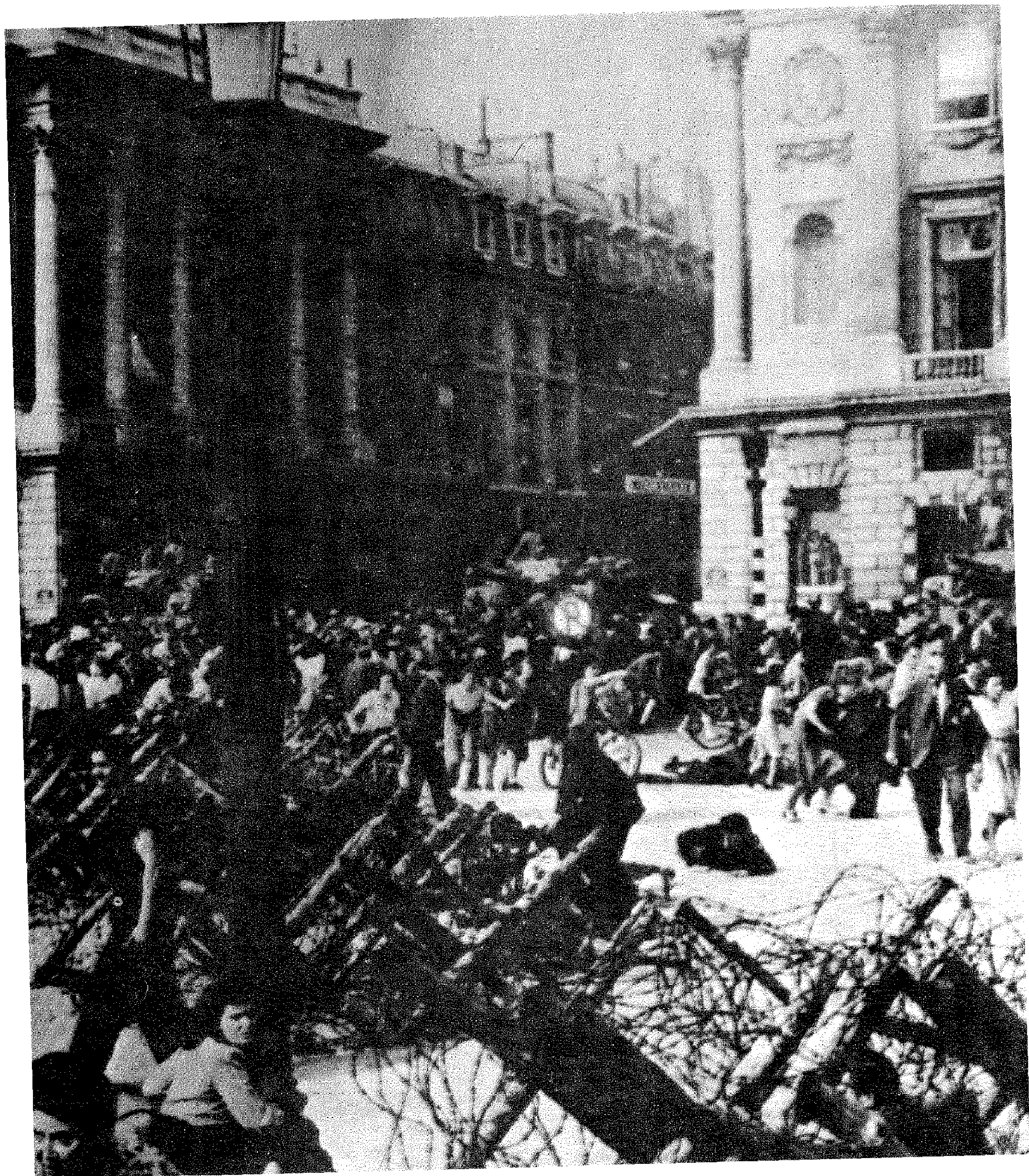
- فرانكفورت - آرن - مين وقد دمرت تماماً.

على الاميركيين المترفين الذين كان كل عنصر منهم يتسلم يومياً زوج جوارب مع المؤونة. وطلب باتون الى كاهنه المنذهل إقامة صلاة من أجل ايقاف المطر، فكان له ما أراد، ولكن بعد فوات الأوان.

وكما حصل لـ «ايكس - لاشابيل» حصل لمدينة «ميتز» التي تعتبر الهدف الأول للجيش الثالث. طوقت المدينة اولاً، ثم قامت فرقة المشاة ٩٠ تساندها الفرقة المصفحة العاشرة باقتحام ممر «الموزيل» حول «ثيونفيل»، ثم انعطفت في الاتجاه الجنوبي الشرقي.

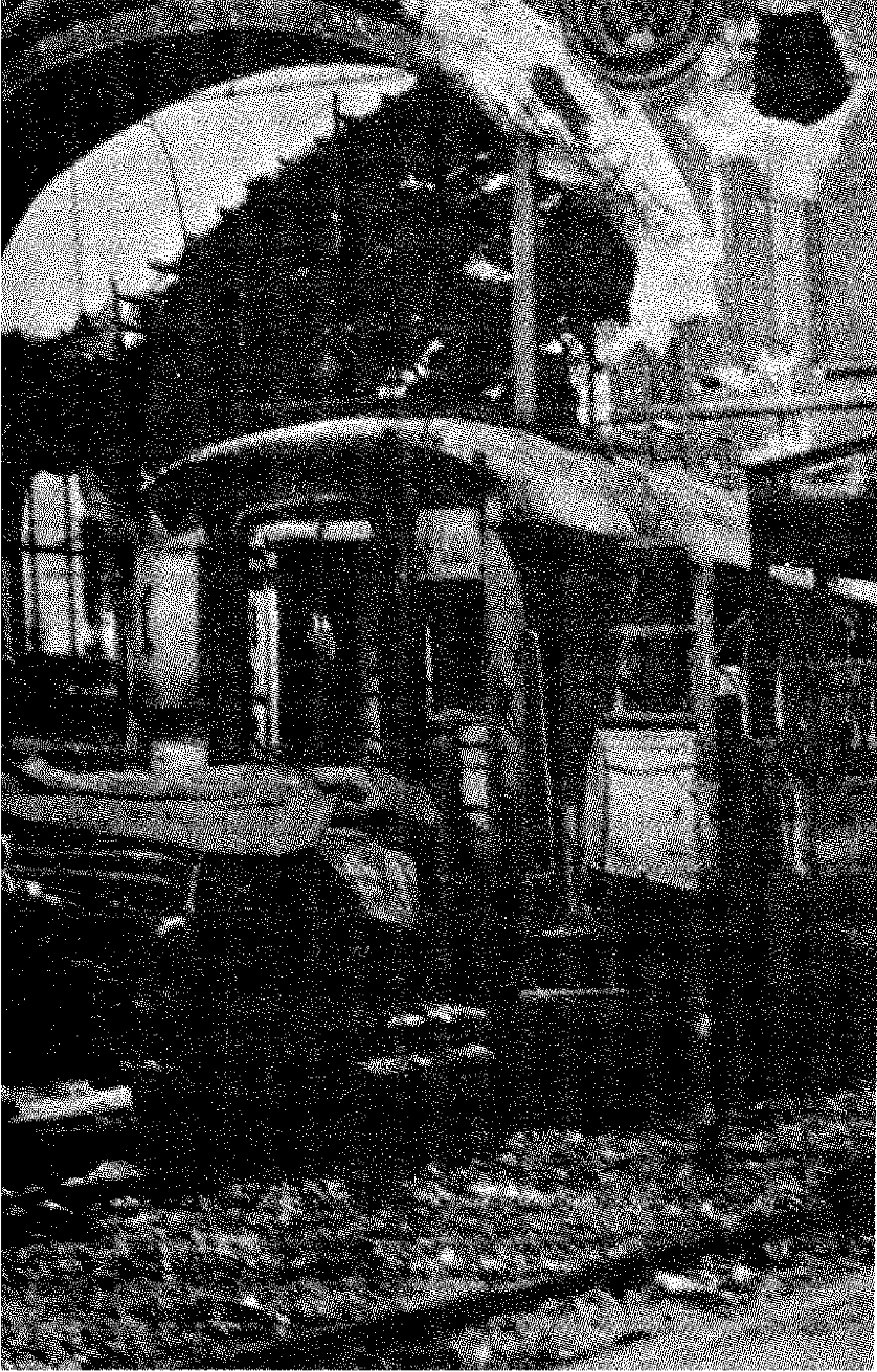
واجتازت «الساي» فرقة اخرى من الفيلق هي الفرقة الخامسة، ثم تقدمت شمالاً بشرق حيث تم الاتصال في ١٩ تشرين الثاني، على طريق «بولي». كانت الفيضانات رهيبة، والرؤية سيئة، والبرد قارساً، وقد انعكست كلها على الهجوم، إلا ان سوء التموين الألماني أدى الى تفكك الجناح الأيمن في الجيش الألماني الأول، فما كان من الفرقة المصفحة العاشرة الحليفة إلا ان يممت شطر «السار» دون ان تنتظر سقوط «ميتز».

لم يكن جديداً ان يطلب هتلر



- فرق المانية صغيرة تسبب الرعب للمدنيين في « ساحة الكونكورد » حتى بعد استسلام المدينة.

- محطة «آنهالتر» مدمرة.. برلين.



الدفاع عن «ميتز» حتى الموت! وبعدما اتهم الجنرال «لوبي» بالميوعة استبدل به الجنرال «كيتيل» الذي جعله الفوهرر يؤدي قسماً خاصاً بطولياً. الا ان اركان الجيش الأول العامة قد أخذت على عاتقها سحب افضل القوات من المصيدة، فيما هرب بمحض ارادته فوج صاعق وكل ما آل اليه «كيتيل» هو انه أصيب بجرح مميت في ساحة القتال. وقد حررت ميتز في ٢٠ تشرين الثاني من غير ان تتكبد أضراراً بالغة.

اندفع الفيلق الاميركي الثاني عشر، الذي كان يهاجم الى جناح الجيش الثالث الايمن، عبر خط «ماجينو» حتى بلغ الحدود في ٢٩ تشرين الثاني. وفي ٢ كانون الأول اجتاز «السار». وكان «باتون» قد اعد العدة اللازمة سلفاً لعبور «الرين»، ولكن المقاومة كانت قوية بحيث ان السيطرة كانت تتم منزلاً منزلاً. وفي منتصف كانون الأول اوقف الجيش الثالث من الوجهة العملية، فإذا بباتون المندفع لا يزال بعيداً عن الرين.

كان شهر تشرين الأول شهر خيبة بالنسبة للمجموعة السادسة والمجموعتين الأخريين. كانت الأولى مشدودة الى اتجاهين متباينين: كان الفرنسيون يرغبون في دخول الالزاس، عبر فجوة «بلفور» بينما كانت الأركان الحليفة تجتذب مجموعة «ديفيرز» في اتجاه الشمال لضمها الى جيوشها الأخرى.

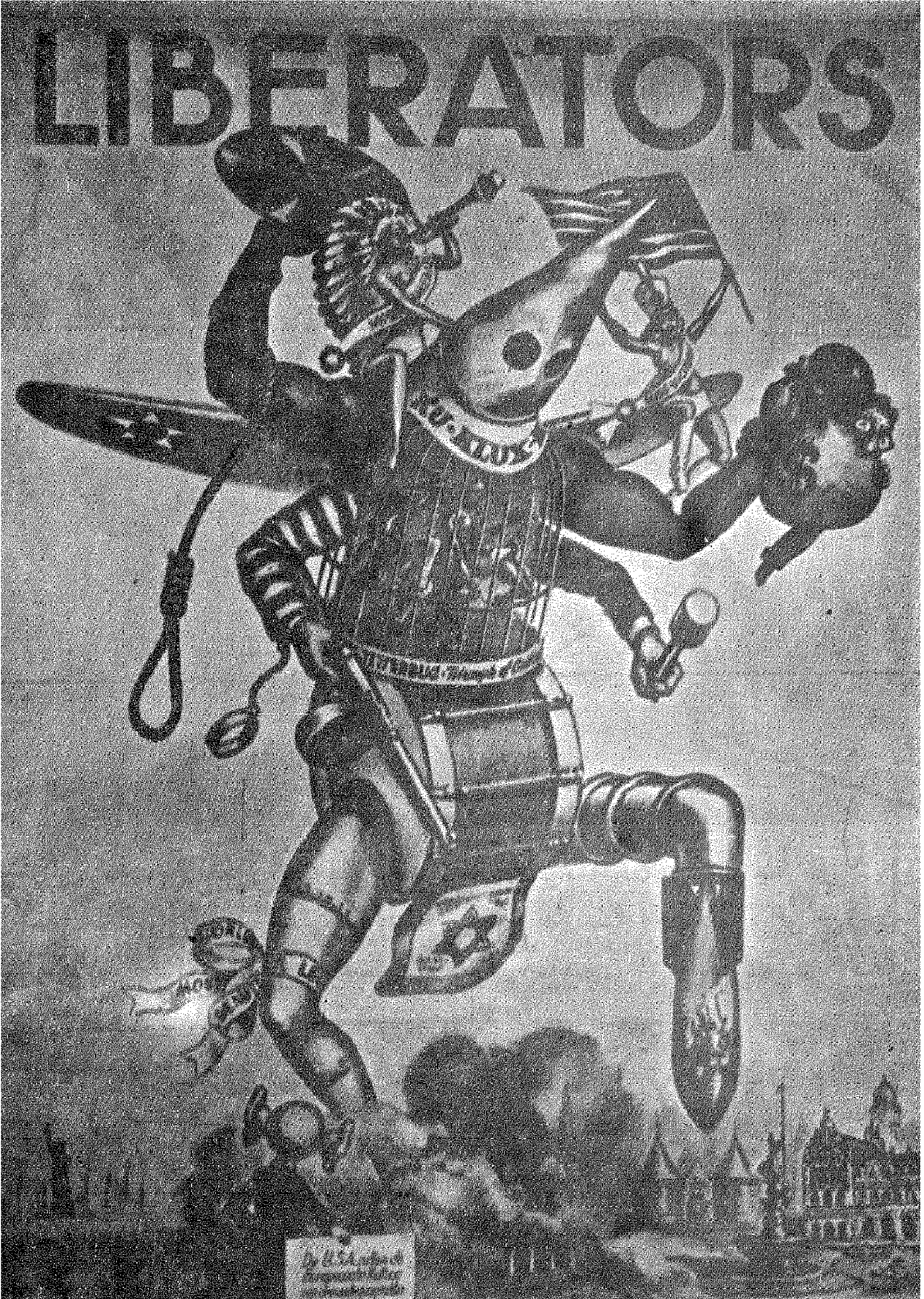
في اوائل كانون الأول كانت مجموعة الجيوش منتشرة في «لونيفيل» بالقرب من «مونبيليار»، بصرف النظر عن فرقة مشاة فرنسية وعن مجموعة انكليزية اميركية كانت تحرس الفجاج الألبية، وكان مخطط بروكسل قد اوكل اليها مهمة اقتحام فرجة «سافيرن»،



والاستيلاء على ستراسبورغ، وإقامة رأس جسر على ضفة الرين اليمنى. وقد آلت المهمة الرئيسية الى الجيش الاميركي السابع. واما الجيش الفرنسي الأول، الذي كان مهدداً بالبتر او بالاغلال في عملية اخضاع جيوب الأطلسي، فقد اقتصر دوره على متابعة عملياته وحماية جانبه الأيمن.

كانت مقاومة «دي لاتر» تهدف الى اخضاع بلفور، وقد عبر عن رغبته للدخول الى الالزاس من ناحية الجنوب، فلبي طلبه، ولسوف تجري عمليتان مختلفتان في آن معاً الى شمالي «الفوج» العليا وجنوبيها، الواحدة عبر ثغرة «سافيرن»، والثانية من خلال ثغرة بلفور.

كانت فرقة رماة الالمان ٣٣٨ في صباح ١٤ تشرين الثاني، هادئة البال، ولا تتوقع اي هجوم. وفيا كان قائدها الجنرال «اوشمان» يتفقد مخافره الأمامية انقض عليه المناوشون المغاربة من فرقة مشاة المستعمرات التاسعة، فقتل برصاصهم، وكانت فرقته مؤلفة من عناصر متفرقة، منها كتيبة من الصمّ



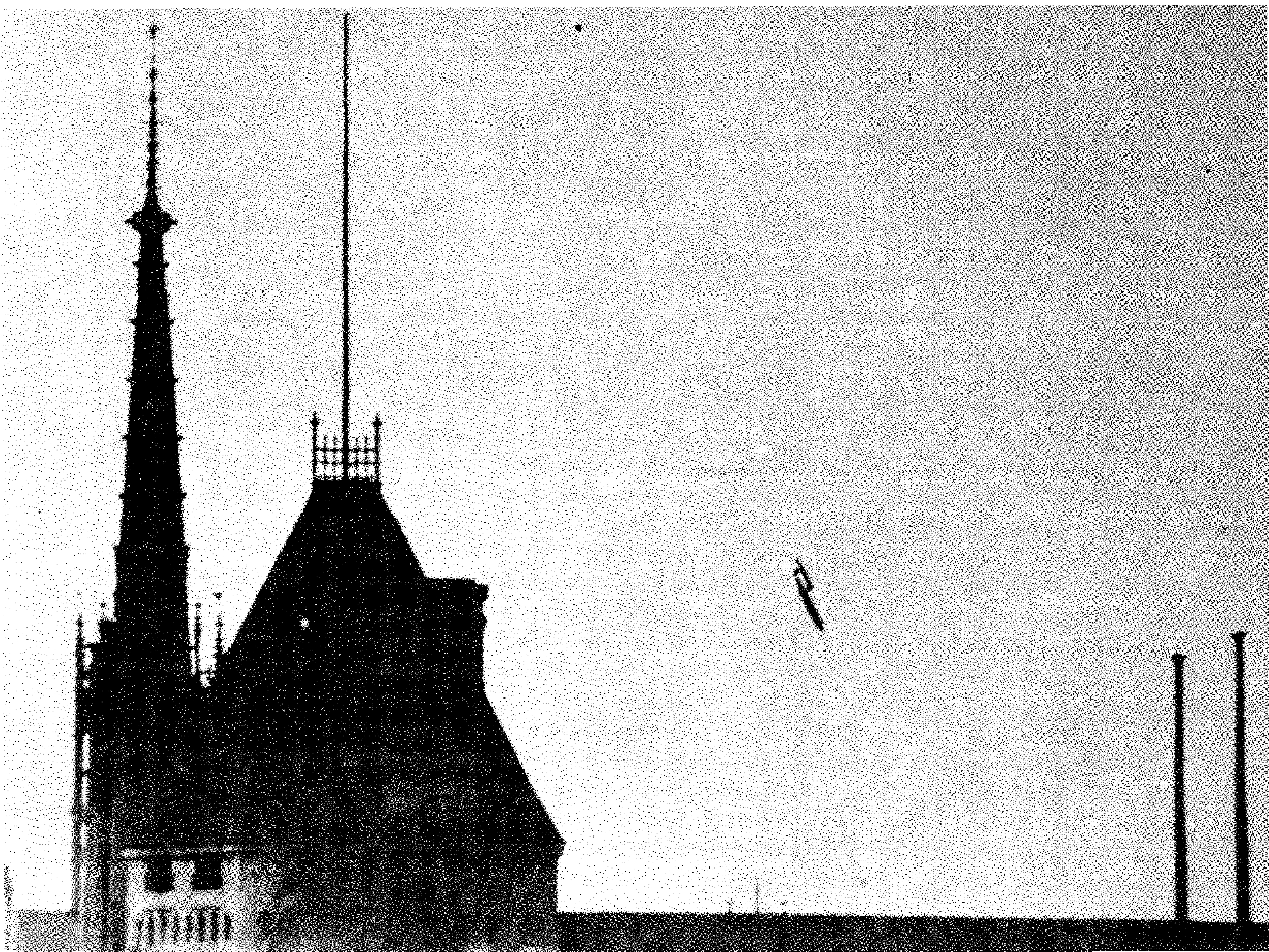
- ملصق هولندي يتنبأ بأن سقوط الحضارة الأوروبيــــة سيكون عـــلى يـــد الأحرار الأميركيين.



- حشود من فوج «شيشير» ترسو على ضفة الرين الشرقية، خلال المرحلة الأولى من اجتياز الفرقة الحربية ٢١ في الرين باتجاه الرور في آذار ١٩٤٥.

فحسب، وكانت هذه الفرقة تسيطر على ٣٠ كلم من الجبهة بين سويسرا وطريق بلفور - بيزانسون. وقد ابدت هذه الفرقة مقاومة باسلة، ولكن دون جدوى. وفي يوم ١٩ تم الاستيلاء على «هيريمونكور» و«مونبيليار» و«سوشو»، و«هيريكور»، وأمر هتلر، كالعادة، بالدفاع عن باب بورغونيا حتى الموت، إلا أن تأخر الامدادات قد حال دون انقاذ بلفور، فسقطت المدينة في ٢٠ من الشهر في يد فرقة المشاة الآلية الثانية.

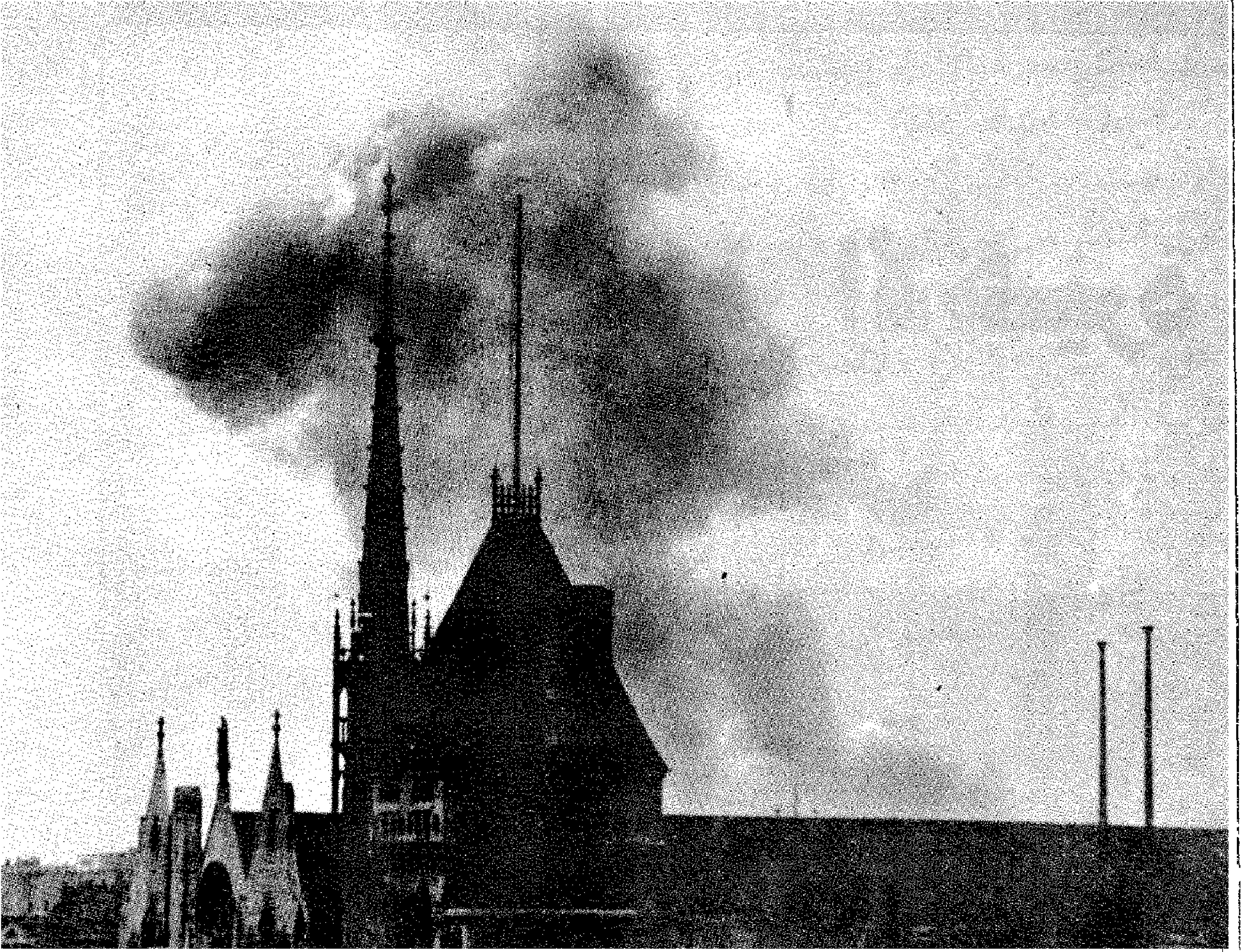
في هذا الوقت كانت فرقة المشاة الاميركية ٤٤ تهاجم ثغرة «سافيرن»، في حين تشن فرقة المشاة الاميركية ٧٩ هجومها من طريق «دابو» الثانوية وفج «فولفبرغ»، بينما تقوم الفرقة المصفحة الثانية بدعم هذين الهجومين،



صاروخ «ف ١» ينقض على «لندن».

وهي مجزأة الى أربع مجموعات تكتيكية.

في ١٩ تشرين الثاني حدثت الثغرة. وصمدت «فالسبور» بعد دفاع مستميت، الا ان الاميركيين كانوا قد استولوا على «بلامون» و«سيري» فاتحين الطريق امام الدبابات الفرنسية التي ما لبثت ان دخلت غابة «فانجنبور» ثم اجتازت فج «فولسفبرغ»، وزحفت بعد ذلك الى سافيرن، والتفت حول فالسبور. وسارت مجموعات لوكلير التكتيكية الأربع نحو ستراسبورغ تحت وابل من المطر. واحبطت مساعٍ ثلاث منها بسبب حصون الغرب: بيتان، كليبر، وجوفر، واما الرابعة، التي استدارت من خلال «برومات» فقد دخلت المدينة في الساعة ١٤،٣٠ من ٢٣ تشرين الثاني، وهرعت الى جسر «كيل»، وهي على اهبة الاستعداد لمتابعة تقدمها على ضفة الرين اليمنى، ولكن الجسر تفجر امامها.

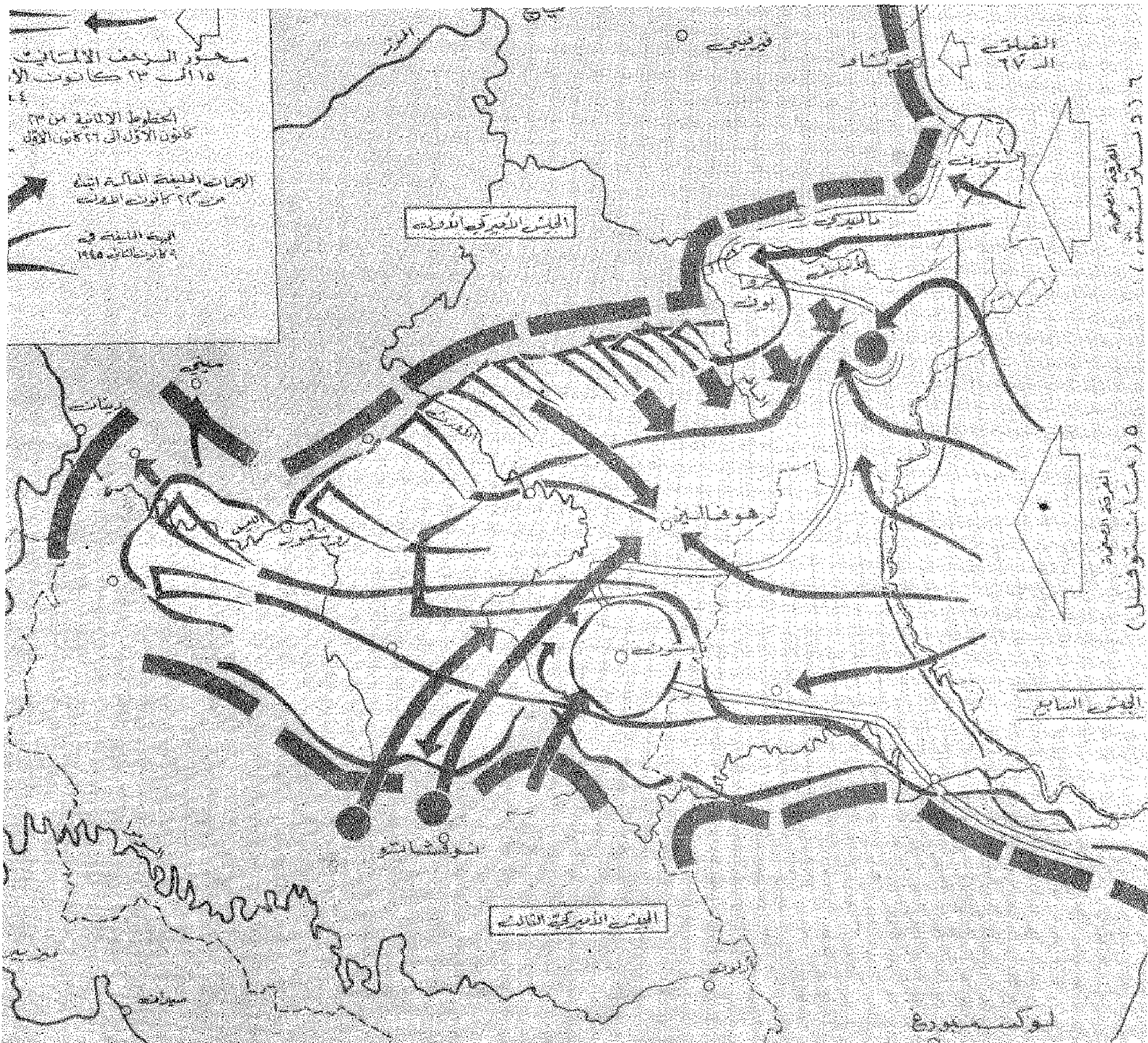


الدخان بعد انفجار الصاروخ.

وهكـذا، وبفضل احـداث غـير متوقعة، كانت أبهر الانتصارات في حملة الخريف من خط جيوش الجناح الأيمن، جيوش باتون وباتش ودي لاتر. ولكن هذه الانتصارات لم تؤد، لسوء الحظ، الى اي أهداف استراتيجية، فضلاً عن انها رفعت درجة التفاؤل في الأركان العامة الى حد المبالغة.

وبعـد الاستيـلاء عـلى «بلفور» و«مولوز» و«ستراسبورغ» استنتـج الجنرال «ريفرز» ان الجيش الألماني التاسع قد زال كقوة تكتيكية. وقدر على هذا الأساس ان الجيش الفرنسي الأول كان كافياً لانجاز تطهير الالزاس العليا. وان في وسعه نقل جيشه الاميركي السابع الى يمين باتون للاسهام في غزو «بالاتينا». ولسوف يشهد شهر كانون الأول الفيلقـين الامـيركيـين ١٥ و١٦ مشتبكـين في معـارك قـائمة من كلتـا نـاحيـتي الفوج السفـلى في اتجـاه «سارغومـين» و«بيتش»، و«فيسمبور».

حملة هتلر الأخيرة في الاردين



• بيـــان آخر هجوم للجيش الألمـــاني في « الأردين ».

لم يستطع هتلر ان يتحمل خسارة معركة الغرب، فانبرى، منذ شهر ايلول، على اعداد العدة لشن هجوم مضاد يستهدف تكبيد الحلفاء ثمناً باهظاً يوازي انتصاراتهم في نورماندي وبروفانسا.

في ٩ تشرين الأول وضعت القيادة الحربية العليا المعطيات المختلفة بين يدي هتلر، وكانت خمساً: هولندا، منطقة ايكس - لياج، لوكسمبورغ، اللورين، الالزاس. وكانت كلها عمليات هجومية معاكسة ذات أهداف محدودة، فهجوم لوكسمبورغ مثلاً يستهدف استعادة مناجم الحديد في «لونغوي»، اما هجوم الالزاس فالغاية منه استعادة فيزول.

لم يشأ هتلر ان يدلي برأيه في هذه المعطيات الخمس، بل سارع الى طلب احضار ملفات الجيشين الرابع والثاني عشر لحملة ١٩٤٠. فهذان الجيشان هما اللذان اجتازا «الاردين» واخترقا الجبهة الى «الموز»، ولكن بدا ان الملفات التي طلبها الفوهرر غير موجودة، بل هي رماد بفعل القصف.

خلال تشرين الأول تم تجميع الجيوش الألمانية وتدعيمها ثم وزعت على الشكل التالي:

١ - من البحر الشمالي الى محاذاة «دوسيلدورف» مجموعة الجيوش «هـ» بقيادة الكولونيل - جنرال «شتودنت».

٢ - حتى «الموزيل» مجموعة الجيوش «ب» بقيادة الفيلد مارشال «مودل».

٣ - حتى «كارلسرو» مجموعة الجيوش «ج» بقيادة الكولونيل - جنرال «بالك» الذي حل محل «بلاسكوفيتز».

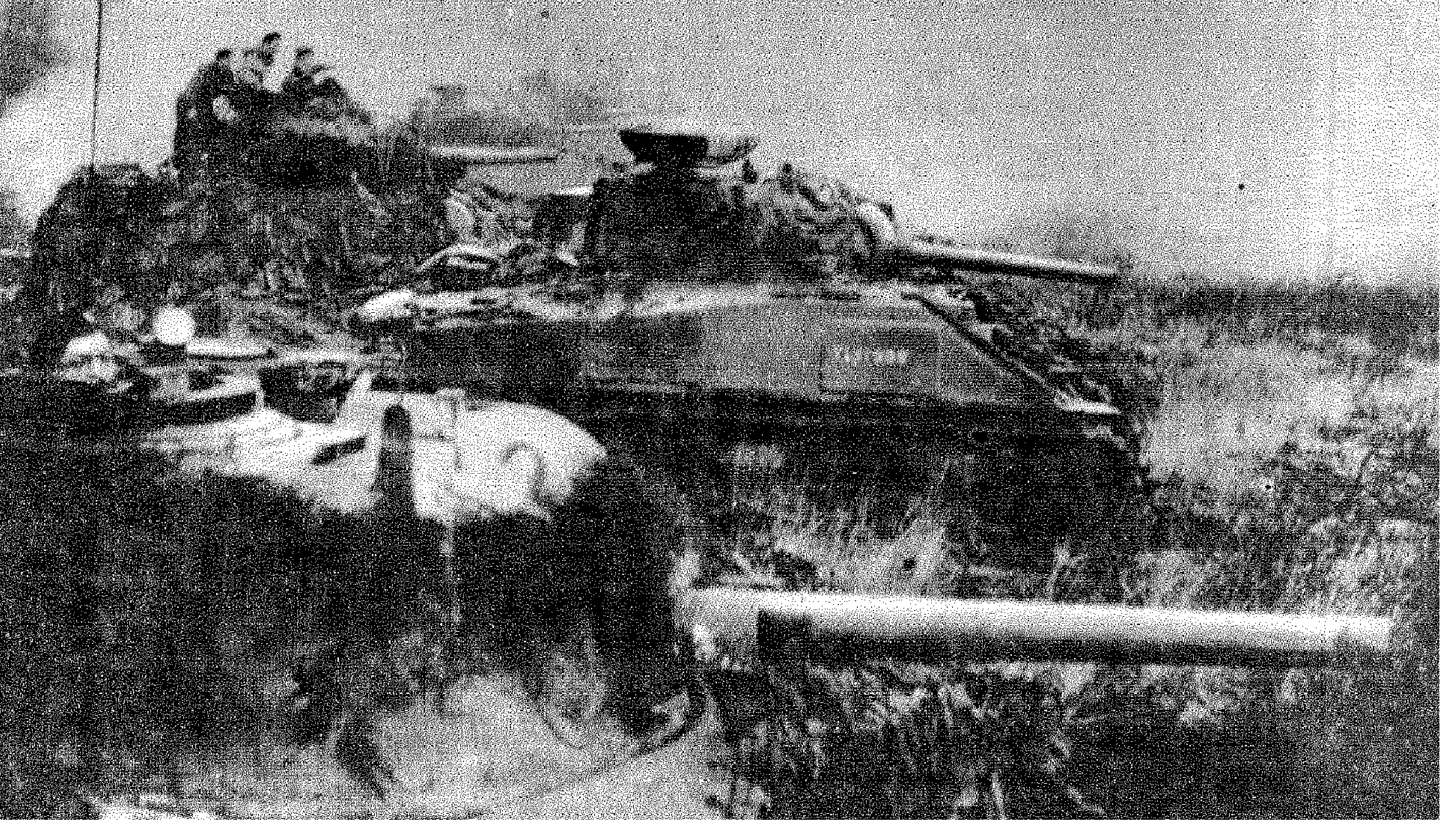
٤ - حتى الحدود السويسرية مجموعة الجيوش «اوبرهاين» التي استدعى هتلر لقيادتها رايخ فوهرر الصاعقة «هايزيك هملر». ولم يكن واحد من هؤلاء القادة الكبار على معرفة بنيات هتلر. واما الهجوم الذي كان يخططه فلسوف يحمل في التاريخ اسم «هجوم فون روندشتاد». ولكن روندشتاد لم يكن له في الواقع سوى دور تافه سواء في وضعه او تحضيره، او تنفيذه كان هتلر يعمل منفرداً في ريبة قتالة من جنوده انفسهم. اما الأمر الذي كان من المستحيل اخفاؤه عن قادة الجيوش او عن المكاتب الثانية الحليفة، فهو ان قوات من النخبة قد سحبت من خط النار، او اعيدت من الجبهة الشرقية. فالجيش المصفح الخامس، الذي كان يقوده جنرال شاب يبلغ الرابعة والأربعين من عمره هو «هاسوفون مانتوفيل»، تلاشى في معركة اللورين.

وهنالك فيلقان مصفحان صاعقان اقتطعا من الشرق، وشكلا تحت ستار الكتمان جيشاً مصفحاً سادساً اسند هتلر قيادته الى سائق سيارته السابق وحارسه الخاص «سيب ديترتش». هذا وقد كان الجنرالات الألمان والأركان العامة الحليفة على السواء في طور الافتراضات والنظريات، فراحوا يفكرون في انشاء كتلة هجوم معاكس تقاتل للوصول الى ضواحي «الرور»، اذا ما تداعت جبهة «الروير».

في ٢٤ تشرين الأول بدأ الغشاء ينقشع عن ذرى الجيش الألماني العالية، فقد استدعي الى بروسيا الشرقية رؤساء أركان مودل وروندشتاد العامون، والجنرالان «كريبس» و «فيستفال»، فأصغوا الى عرض لفكرة الفوهرر. اعترف هتلر بأن تقديم الوضع على حدود المانيا، بعد هزائم الصيف الكبرى، لم يكن غير اعجوبة، لكن العجائب لا تتكرر فمتابعة المعركة الدفاعية لا تعني سوى تأخير غزو الرايخ، وعندما يتم للأميركيين فتح مرفأ انفير من جديد سوف تتدفق القوة التي ستتوغل في هذه الجادة البحرية لتضرب الجبهة الالمانية بصورة لا تقاوم. لقد كان بالتالي ضرورياً حيوياً ان تستعاد انفير.

وبعدما أدرك هتلر الغاية، كشف عن الوسائل المتوافرة لبلوغها. لقد كان العدو منهك القوى. وكانت فرقة السبعون غير كافية للسيطرة سيطرة تامة على جبهة يبلغ طولها ٧٠٠ كلم. وعلى الجبهة الروسية كان القتال مستقراً، مما اتاح سحب قوات هامة، ولسوف يصبح بامكان مجموعة الجيوش «ب» تسلم امدادات قوامها ٢٠ فرقة مشاة، و١٠ فرق مصفحة، و١٠ فيالق مدفعية. وعلى صعيد الحماية الجوية فقد وعد «غورنغ» بتسليم ٣ آلاف مقاتلة، ولكن يا لها من وعود غورنغية! فلربما ستكون هذه الطائرات الفين بدلاً من ثلاثة آلاف، الا انها سوف تضم اول ١٠٠ طائرة نفاثة من طراز «دوسنياغر»، وهي الطائرة التي تفوق أقوى طائرات الاميركيين والانكليز وفضلاً عن ذلك فان رداءة الطقس المرتقبة في ذلك الفصل ستخفف من شأن الطيران.

لم يعد يبقى سوى تنفيذ الهجوم. لقد كشف هتلر لرئيس الأركان العامة نيته في شن الهجوم في «الاردين»، معترفاً بأن الجليد والثلوج ستجعل عبورها اكثر صعوبة مما كان عليه الأمر في ايار ١٩٤٠، إلا ان العدد كان ضعيفا في تلك المنطقة، وكان بالامكان صياغته شرط ان يبقى السر طي الكتمان.



• قوات مصفحة بريطانية.. باتجاه «نيميغ».

حمل «فيستفال» و«كريسل» هذه الخطة الجريئة الى رؤسائهما، فاذا بهؤلاء يبدون ريبة بالغة. كان روندشتاد ومودل من مجندي الهجوم، لكنهما اعتبرا ان فكرة السير الى انفير اشبه بالخيال، وانهما يريدان هدفاً اكثر واقعية. لقد توسل «فيستفال» زميله روندشتاد ان يحمل اعترافهما الى هتلر، لكن روندشتاد كان يصاب بالهلع عندما يفكر بذلك، لأنه كان يدرك تمام الادراك بأن الفوهرر سيقاطعه في اول الحديث فيما لو قصد اليه معترضاً، ثم يلقي عليه خطبة خيالية لا يفقه لها معنى.

في ٣ تشرين الثاني وصل «جودل» الى مقر قيادة الغرب، وقبل ان يتفوه بكلمة عن الغاية التي حضر من اجلها صرح أمام قادة الجيش الذين كانوا في انتظاره، بأنه ينبغي عليهم ان يوقعوا، بأمر من الفوهرر، عهداً بألاّ يفضوا بأي شيء مما سيسمعونه لتوهم، وانهم يعترفون بتعرضهم للعقوبة القصوى اذا هم اخلوا بالوعد ونكثوا بالعهد، فتبادل المارشالات والجنرالات النظرات الحائرة، ثم احنوا رؤوسهم دليلاً على اصابة العنفوان الألماني في الصميم.

وبصوت العجوز المتردد عرض

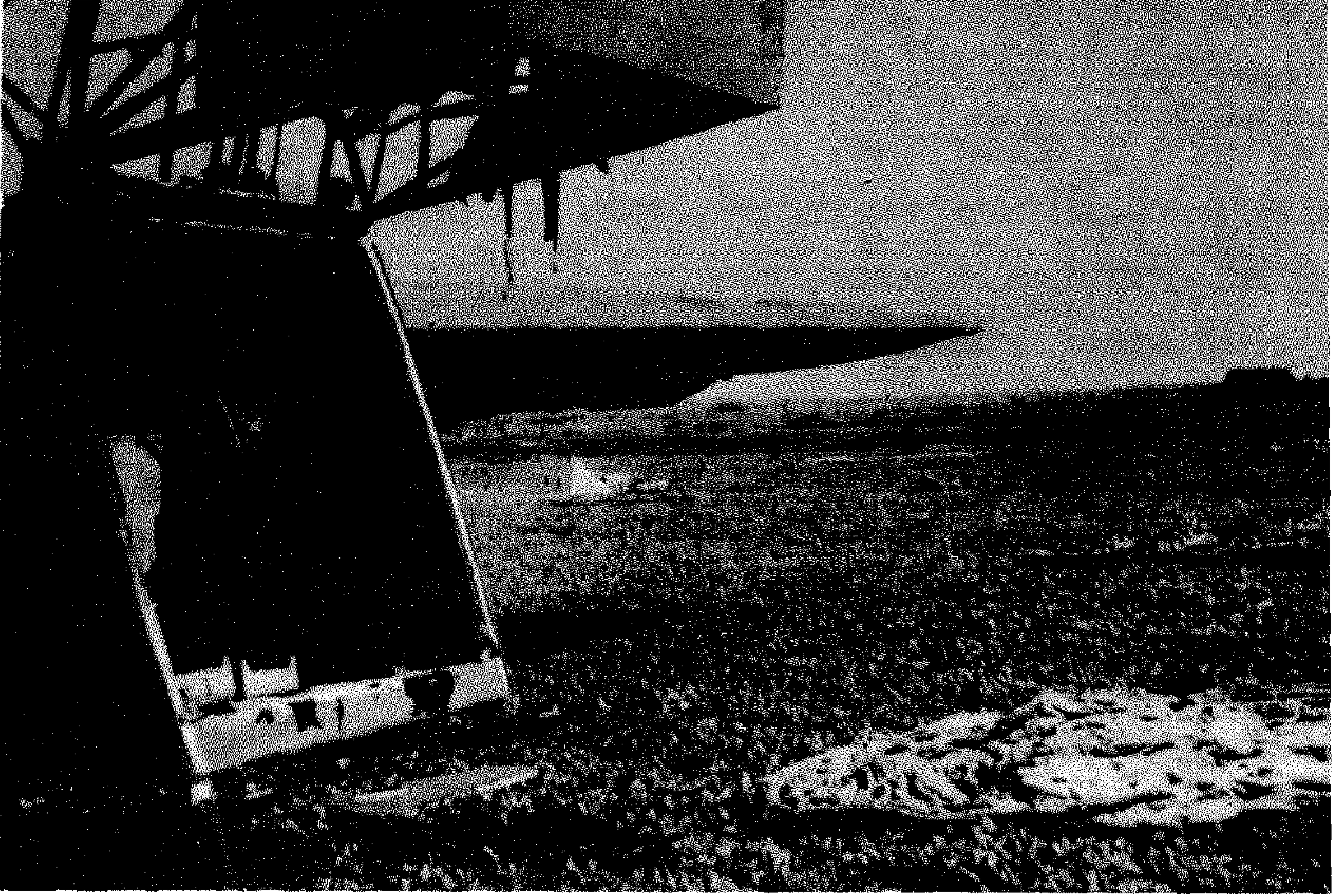
جودل ما كان هتلر يتوقعه من جنوده في الغرب. ان يغـــيروا مجرى الحرب ويحرزوا النصر لالمانيا في الوقت الذي راح فيه اعداؤها يعلنون عن هزيمتها. ولسوف تقوم بشن هجوم الاردين مجموعة مودل. لقد كان على جيش الميمنة فيها، وهو الجيش الخامس عشر ان ينفذ هجوم تثبيت في اتجاه «مايستريخت» بقيـــادة الجنرال «غوستـــاف فون رافغن»، وكـان عـلى جيش ميسرتها السابـــع، بقيـــادة الجنرال «اريـــك براندنبرجر»، ان يهاجم في اتجاه الجنوب، وان يستقر على «السوموا» حامياً العملية من ردة فعل مرتقبة صادرة عن باتون. وقد وقع مجهود الصدع ومناورة الاستغلال على عاتق الجيشين المصفحين الخـامس والسادس اللذين كان دورهما متفاوتاً، فعلى جيش «مانتوفيل»، المؤلف من اربع فرق دبـابـات و٣ فرق مشاة، ان يجتـاز «الموز» ويستدير نحو «بروكسل» من ناحية الجنوب، ثم يسير في اتجاه مصب الايسكو محطماً كـل منـاورة عـدوة معاكسة. واما الجيش المصفح السادس الذي يضم اربع فرق دبابات صاعقة وخمس فرق مشاة فقد كان موكلاً بالقيام بالمهمة الرئيسية التي تتمثل في اختراق «الموز» من نـاحيتي «ليـاج» وقنـاة البيتر والاستيلاء على انفير.

كانت النتائج المتوقعة من الهجوم كبيرة جداً حسب جودل، وهو الناطق باسم الفوهرر. فبعد الفصل بين الجيش الانكليزي والجيش الاميركي لن يبقى لهما خلاص الا في عملية ترحيل معجلة. ولسوف يعقـب ثغرة الاردين الثـانيـة دانكرك ثانية، الا ان هتلر كان يلح على أهمية السرعة، ويصر على بلوغ الموز منذ اليوم الثاني.

وفي هذا الإطار قدم مودل اقتراحاً مغرياً. فالجبهة كانت ترسم ناتئة حول «ايكس - لا شابيـــل»، وبـــدلاً من المغامرة في ما وراء الموز والقيام بمسيرة ٢٠٠ كلم، كان ينبغي ان يتجه الهجوم نحو الشمال بمؤازرة الجيش الخامس عشر المندفع انطلاقاً من «لمبورغ» وهكذا يصبـح بـالامكـان تطويـق القوات الاميركيـة العاملة في تلك النـاتئـة وتدميرها، وهي تبلغ نحواً من عشرين فرقـة، ولسوف يغـدو ممكنـاً بعـدئـذ استعادة انفير من عدو منهك مهزوم، وفي ظروف اكثر ملاءمة.

رفض جودل مناقشة هذا الاقتراح مكتفياً بالقول انه سينقل الأمر الى الفوهرر.

كـان الاتفـاق قـائماً عـلى ان يبـدأ الهجوم في ٢٧ تشرين الثاني الا انه تأجل الى ١٦ كانون الأول بسبب ازمة النقل. وخلال هذه الفترة استمر النقاش حول المخطط. وبعدما غادر هتلر مقره



• اثناء احتلال جسور «آرنهيم» - طائرة شراعية بريطانية.

الذي أحدق به الخطر الروسي جرت مناقشة استغرقت ٧ ساعات في المستشارية الجديدة في الثاني من كانون الأول: وقد كان عرض مودل قوياً الى حد ان هتلر لم يقاطعه ولو مرة واحدة، وذلك على عكس عادته، الا انه بقي ثابتاً لا يتزعزع، وقال ان مخطط مودل لم يكن سوى حل نصفي، حل ضعيف، ولسوف يتم تنفيذ مخططه هو، اي مخطط هتلر بكل تفاصيله. ولكي يضع حداً للجدال دس في يد «روندشتاد» مذكرة خطية يوضح فيها ان عقاب الموت سيلحق بالرؤساء الذين سيتخلفون عن تنفيذ الأوامر التي يتسلمونها.

وفي ١١ و١٢ كانون الأول جمع هتلر، على دفعتين، قادة الفيالق والفرق الذين كانوا سيشتركون في الهجوم من اجل اثارة ثقتهم. فاقتادهم رجال الصاعقة الى نقطة تجمع حيث خضعوا للتفتيش وجُردوا من اسلحتهم الشخصية، ثم كدسوا في سيارات نقل كبيرة خيل اليهم انها كانت تدور في الليل على غير هدى دون ان يعرف احد منهم المكان الذي يقصدون، او يقتادون اليه.. وهذا المكان سيتضح لهم فيما بعد بانه قصر «ريغنبرغ» الذي جهز منذ عام ١٩٤٠ ليكون مركز قيادة الفوهرر السري. واما الحصن

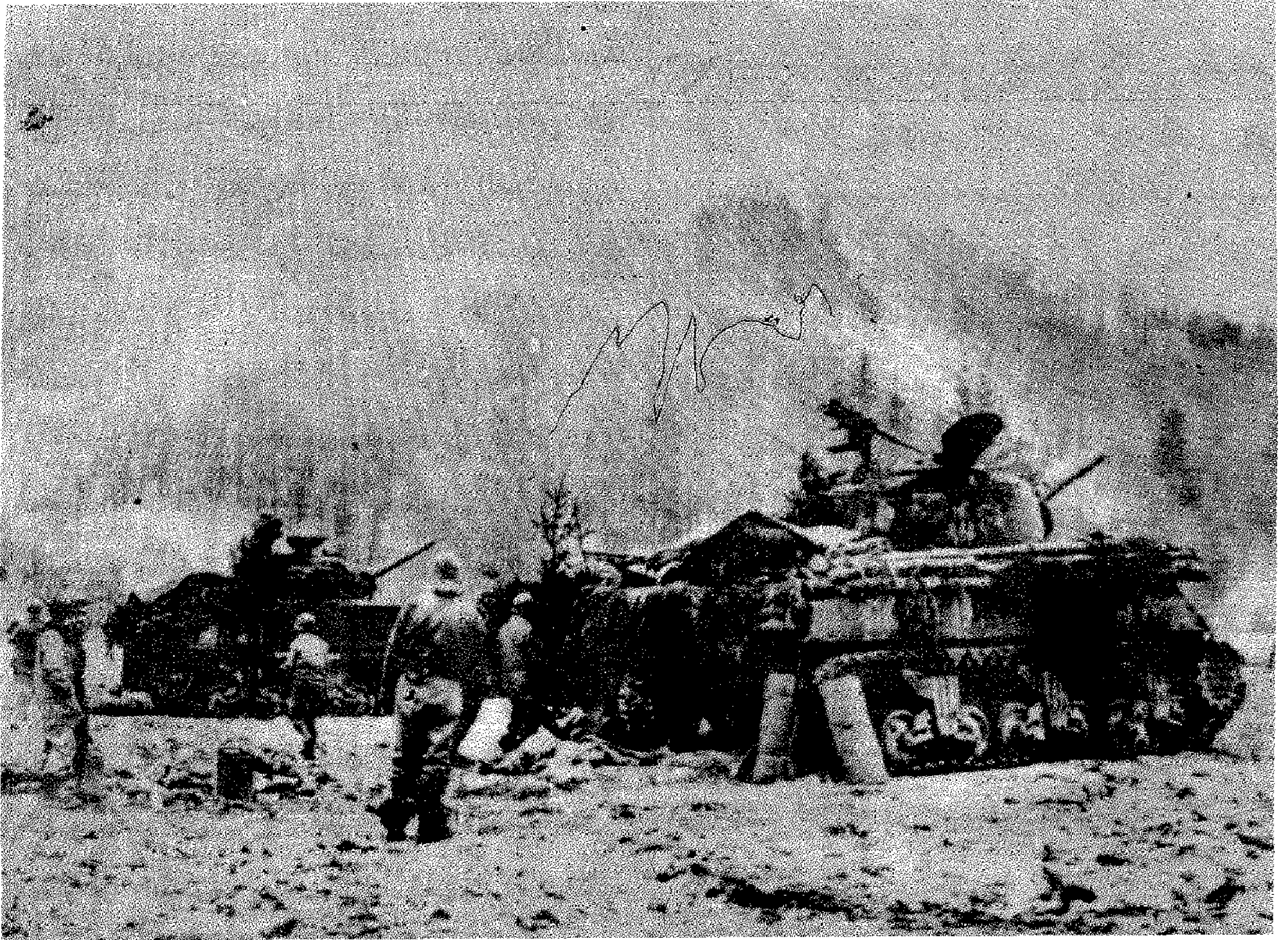
الذي انزلوا فيه فقد كان صغيرا. وطلب من جنرالات الصاعقة ان يبقوا واقفين، ومن جنرالات الجيش ان يجلسوا - من باب الحيطة - وخلف كرسي يقف احد الحراس الذي يمسك بيده مسدساً. ولسوف يصف «بايرلين» ذلك الجو بالقول: «لم يكن احدنا يجرؤ على مد يده الى جيبه لتناول منديله...».

وظهر هتلر رجلاً متداعياً يجر ساقه جراً ويسند ذراعه اليسرى بيده اليمنى ليسيطر على الرعشة التي اعترتها. يكاد ينطلق صوته، ومع ذلك استمر ساعتين في الكلام جاهداً النفس لاستعادة تلك الصورة المرعبة التي جعلت منه طاغية المانيا وبلية العالم. وراح يعيد الى الأذهان معارك فريدريك الثاني وصلابته وانتصاره مبرهناً ان التعاضد الحليف كان على وشك الانحلال وان نجاح هجوم الاردين سوف يعجله. كان الجنرالات يتوقون للحصول على بعض الايضاحات بشأن الوسائل التي كانت لا تزال في طور الوعود، مع ان اليوم المحدد للهجوم كان قاب قوسين او ادنى. وقد كانوا، جميعاً، يحبذون الحل الضعيف «الذي دافع عنه مودل» ولكن لم يكن بالامكان الرجوع الى النقاش، فالجنرالات المرؤوسون لم يساقوا الى الفوهرر لابداء رأي أو تقديم شكوى، بل استدعوا لتلقي كلامه، ولكن التأثير كان مفقوداً تماماً. فبالنسبة لرجال الحرب هؤلاء، كان وقع الثرثرة السياسية والدعوات الى العصبية وقع نداء اليأس، فانصرفوا وقد اسودت الدنيا في عيونهم.

كانت القوات المهيأة للهجوم تضم ٣٠ فرقة، قوامها ٢٥٠ الف مقاتل، و ١٩٠٠ مدفع، و ٩٧٠ دبابة، وان المطاردات الثلاثة آلاف التي وعد بها «غورنغ» فقد تراجعت الى حدود ١٥٠٠. واما «الدوسيناغر» فلم تكن جاهزة بعد، وقد سبب نقص الوقود اعطاء الدبابات نصف ما تحتاج اليه لاجتياز مسافة الـ ٥٠٠ كلم، وهي المسافة الدنيا المقدرة اللازمة لبلوغ انفير. وكانت فرق المشاة مقتصرة على فرق رماة الشعب، وهي الوحدات الكبيرة المرتجلة المحشوة بالفتيان او بالشيوخ والتي كان عليها، رغم هذا الواقع، ان تحدث الثغرات التي ستندفع منها الدبابات. وعلى الرغم من ان احداً من ضباط الأركان العامة لم يكن يؤمن ببلوغ «الموز» في اليوم الثاني، فان الحكمة كانت تفرض على الجميع التصرف وكأنهم متيقنون، أشد اليقين من هذا الأمر. وبالفعل كانت معنويات الجنود مرتفعة للغاية، وقد قيل لهم ان عام ١٩٤٠ قد تكرر وانهم سيدخلون

باريس مجدداً ظافرين، اما هم فكانت امنيتهم الأولى ان يكون الطقس محتملاً وأقل برودة.

الثلج الجليدي فضح ليل ١٥ - ١٦ كانون الأول ببياضه في غابة الاردين. وابتداء من مدينة «مونشاو» الالمانية الصغيرة حتى مدينة «اشترناخ» اللوكسمبورغية الصغيرة، كانت الفرق الاميركية الثانية، والتاسعة والتسعين، والمائة وستة، والثاني والعشرين والرابعة تسيطر على مسافة الـ١٣٠ كلم التي ستكون هدف الهجوم الألماني. كان الفيلق الخامس بقيادة «ليونار جيروي» والفيلق «تروي ميدلتون» الثامن اللذان يضمان الفرق الاميركية المشار اليها قد أعيد الى ذلك القطاع الهادىء بعدما ذاق الأمرّين على «الروير». وكان قسم من الفرقة المصفحة التاسعة قد انطلق نحو خط النار وبقي قسم منها قيد الاحتياط. ولم يكن هناك مجال لإقامة جبهة بالمعنى الحقيقي. كان الجنود الأميركيون يحتلون سلسلة من المراكز الصغيرة، ويخيمون في دساكر «شونبرغ» و«سان - فيت» و«هوفاليز»، و«باستون»، و«كليرفو» وغيرها. وكان الكثيرون



• دبابات اميركية فوق ثلوج «الأردين».

منهم يعودون في المساء ليتمتعوا بدفء الاسرّة. اما النشاط العسكري فقد أصاب منه الوهن حداً كبيراً بحيث ان القرويين وحتى بعض الجنود المأذونين الألمان يتنقلون في المنطقة المحايدة. وكانت احدى الفرق الأميركية، وهي الفرقة ١٠٦ بقيادة الميجر - جنرال «جونز» منعزلة بصورة تكاد تكون كلية في منطقة «شني ايفل» الصغيرة القاسية الا انها كانت تنعم بملذات الالعاب الرياضية الشتوية، حتى ان الجنود كانوا يحسون وكأنهم في بلدانهم، وفي بيوتهم بالذات. وان الأمر الوحيد الذي اثار الدهشة خلال الليالي الأخيرة هو تحليق عدد من الطائرات الألمانية من دون مبرر واضح، إلا انه تبين فيما بعد، بأن الغاية من هذا التحليق، وحرق الوقود، هي تغطية ضجيج الدبابات وجرارات المدفعية التي كانت تندفع الى خط النار.

في الأركان العامة كان الاعتقاد سائداً بأن القوات الاميركية تحاول التجمع على الرغم من رداءة الطقس، وقد اكتشفت الاستطلاعات الجوية فعلاً تحركات نشطة على الطرقات وخطوط السكك الحديدية، لكن انتعاش معنويات الأسرى الألمان كانت تدهش ضباط الاستعلامات الحليفة، ومع ذلك فان «الاردين» لم تكن تستلفت الأنظار.

وفي الساعة الخامسة والنصف بالتحديد انطلقت المدافع الالمانية جواً وبراً لتهز الاميركيين الذين كانوا في شبه سبات، وقد كان وقع المفاجأة عليهم عنيفاً جداً لدرجة ان اية معلومات عن الهجوم الجديد لم تكن قد بلغت مجموعة الجيوش ١٢ بعد شنه بأربع ساعات. وفيما كان برادلي في مقر القيادة الحليفة الجديد في قصر «تربيانون بالاس» في «فرساي» مع ايزنهاور دخل كولونيل يعلن ان الألمان يشنون هجوماً على الاردين، وانهم قد احرزوا بعض التقدم. وفي مستهل فترة ما بعد الظهر التقطت فرقة المشاة ٩٩ معلومات تفيد بأن العدو كان يحرص على القيام بعمل حاسم، فما كان من «بيديل سميث» رئيس الأركان العامة إلا ان ربت على كتف برادلي قائلاً: «ها قد تحقق ما كنت تريد! لقد كنت راغباً في شن هجوم معاكس، وها هي الفرصة سانحة لك!» فأجاب برادلي: «أجل، ولكنني لم اكن أريده بهذه الأهمية!».

بوشر للحال في تنظيم الصفوف، ووجهت القوات المصفحة بكاملها نحو القطاعات التي تتعرض للهجوم باستثناء الفرقتين ٨٢ و١٠١ المنقولتين جواً، والمقيمتين في «رامس» واللتين بقيتا قيد الاحتياط لدى مقر القيادة العليا. وما لبث ايزنهاور ان حرك هاتين الفرقتين

فدفع الأولى نحو «هوفاليز»، والثانية نحو «باستون».

كانت انباء الهجوم الألماني الشديد على الاردين تثير الذعر في اوروبا التي تحررت منذ فترة وجيزة، وكان يزيد من هذا الذعر قول هتلر: «ان فرنسا ستكون للأميركيين مصيدة فئران واسعة»، وقد تجلى هذا الذعر في ارتداد العديدين الذين التحقوا بالمقاومة مؤخراً، وفي اقدام آخرين على حزم حقائبهم استعداداً للفرار، وفي نشاط المهاجرين الفرنسيين ذوي الميول الألمانية الذين راحوا يشيعون انهم سيكونون في باريس في يوم رأس السنة وراحوا كذلك يقيمون خططاً لأعمال انتقامية شنيعة.

ولكن العام ١٩٤٤ الذي اراده الألمان تكراراً لعام ١٩٤٠ كان، في الواقع، مختلفاً، اذ ان الهجوم، هجوم ١٩٤٤، قد واجه صعوبات جمة تتمثل في ضيق الطرقات، واتساع الجليد، وهما الأمران اللذان جعلا من عملية التزود بالامدادات مخاطرة جهنمية، مما جعل القواد العسكريين يعتقدون بأن خروج المانيا المحاصرة النهائي الى الاردين العليا شبيه بصفحة من صفحات التراجع في روسيا اكثر منه بالوثبة الربيعية التي قامت بها جيوش روندشتاد الأولى.

لم يتسلم «ديترتش» غير قطاع من ٢٥ كلم في سبيل تحقيق الدور الحاسم الذي كلفه به الفوهرر. وقام فيلقه الأيمن ٢٧ بالهجوم وهو ينحاز الى الشمال من اجل اقامة جانب دفاعي على خط «مونشاو - اوبين - ليـاج». وقد تعاقب فيلقاه المصفحان الواحد تلو الآخر، فزحفت الفرقة المصفحة الصاعقة الأولى في الرأس، والفرقة المصفحة الصاعقة ٢ في اعقابها، لكي يتسلما على الموز بدل السباق نحو «انفير». وقد قامت ثلاث فرق من رماة الشعب بقتال المشاة، ممهدة الطريق أمام ارتال الدبابات.

في ١٦ و١٧ لم يحرز الفيلق الألماني ٦٧ سوى تقدم ضعيف لم بتمكن بواسطته من الاستيلاء على «مونشاو»، ولا من اسقاط منطقة السنبورن الجبلية الصغيرة التي كانت فرقة المشاة الأميركية ٧٨ تقوم بالدفاع عنها. والى يساره قامت فرق رماة الشعب التابعة لفيلق الصاعقة المصفح الأول، بدفع فرقة المشاة الاميركية ٩٩، وتمكنت من ان تفتح امام مصفحاتها ممرات «فارش» و«امبليف» المتعرجة. كان النهران الصغيران يلتقيان في «ستافلو»، ومن ثم ينضمان الى «الاورث» الذي يصب في «الموز» في «ليـاج»، إلا ان الأيام التالية كانت قاسية فأوقف هودجز هجومه على «الروير»، واستخدم

القوات الجاهزة للسيطرة بقوة على جانب الناتئة الذي شقه التقدم الألماني. ولم يتمكن الفيلق الألماني ٦٧ البتة من توسيع آفاق الهجوم بتقويم وضعه نحو الشمال. وكنتيجة لتعاقب فيلقين مصفحين فوق الطرقات المحفرة حصل ازدحام في السير جعل تدخل فيلق الصاعقة المصفح الثاني امراً صعباً للغاية. ودفع «ديترتش»، والجنرالات النازيون ثمن انعدام خبرة اركانهم العامة، وثمن دوافعهم الشخصية العنيفة التي حدتهم الى رفض مساعدة المحترفين، وقد بلغ سوء الطالع أوجه عندما اخفقت عملية مظلية يقودها الكولونيل «فون دير هيدت» اخفاقاً كاملاً. وقد اخفقت عملية «سكورزيني» القاضية بتخريب مؤخرات العدو بواسطة جنود المان يرتدون البزات الاميركية.

في ١٩ كانون الأول استولى فيلق الصاعقة المصفح الأول على «تروا - بون»، عند ملتقى نهري «الامبليف» و «النارش»، وبلغ قرية «لاغليز». ولكنه لم يتقدم الى أبعد من ذلك. ففرقة الصاعقة المصفحة الأولى قد دمرت بكاملها او كادت بعدما عزلها الطيران، وقد ارغمت فرقة الصاعقة المصفحة التاسعة على عبور «الامبليف» ثانية بعدما شنت عليها فرقة «ايربورن» ٨٢ هجوماً معاكساً، وقد



جرت محاولة لنقل مجهود الجيش نحو الجنوب، فكان من شأنها ان زادت في تفككه، ويوم عيد الميلاد اتخذ جيش الصاعقة المصفح السادس موقف الدفاع بعدما أدرك الوهن.

والى اليسار شن الجيش المصفح الخامس هجوماً على جبهة يربو عرضها



• قوات اميركية فوق الثلوج في « الأردين ».

على الضعفين، وبقوات اقل عدداً. واصطدم فيلقه الأيمن وهو الفيلق٦٦، بالفرقة المصفحة الأميركية السابعة التي بقيت تنازعه السيطرة على مفترق طرق « سان فيت ». واما فيلقا ميسرته، وهما الفيلق المصفح ٥٨ والفيلق المصفح ٤٧،

فقد اجتازا « الاور » وطوقا فرقة المشاة الأميركية ١٠٦ في « شني ايفل » وارغما الفرقة ٢٨ على الفرار، ثم جاوزا دوقية « لوكسمبورغ » الكبرى. وفي الفيلق ٥٨ استولت الفرقة المصفحة ١١٦ على « هوفاليز » على طريق « ارلون –



• جندي اميركي... لحظة انتظار أثناء معارك بلجيكا.



• جندي الماني اثناء الدفاع في «الأردين».

ليـاج» وقـد بعثـت من رمـادهـا النورمـانـدي. وفي الفيلـق ٤٧ تقـدمت فرقتان منبعثتان اخريان هما الفرقة المصفحـة الثـانيـة و«البنزرليهر» تعوق الخرائـب سيرهما نحو الغـابـات الغضة المنبسطـة حول «سانـت - اوبـير»، فوصلـت فرقـة «بنزرليهر» بـامرة «بايرلين» امام باستون في مطلع ليل ١٩، وكانت فرقة «ايربورن» ١٠١ الاميركيـة، التي قـدمت مهرولة من «رامس»، قـد احتلت تلـك المدينة الصغيرة لساعات خلت. في باستون تمر طريق «لوكسمبورغ - بروكسل» عبر «نـامور». وكـانـت اربع طرق ثـانوية تتشعـب نحو «نوفشاتو» و«لاروش» و«تروا فيـيرج» و«ايتلـبروك». وفي

١٩٤٠ كانت مجموعة جيوش روندشتاد قد تمكنت من احتلال باستون منذ صبيحة العاشر من ايار، مستولية دون قتال على عقدة المواصلات الاردينية. واما الاستيلاء عليها في ظروف الشتاء القاسية فقد كان اليوم ضرورياً اكثر فأكثر، ولكن الحيرة اخذت «مانتوفيل»، فباستطاعته اما ان يلقي بكامل فيلقه المصفح ٤٧ على باستون، او ان يستدير حول المدينة فيحاصرها. فبالحل الأول كان له حظ في ازالة عقبة رئيسية بشكل سريع، ولكن كان هنالك ايضا مجازفة بكسر نمط الهجوم. وبالحل الثاني كان بميسوره ان يستمر بلا انقطاع في سباقه الى «الموز»، ولكنه اذ ذاك يحتفظ في جهازه الشرياني الضعيف بجلطة خطيرة.

وتبنى «مانتوفيل» حلاً وسطاً، فترك أمام باستون فوجاً من البنزرليهر لكي يؤازر فرقة رماة الشعب ٢٦ في الاستيلاء على المدينة ثم دعم المحاصرين بلواء «فوهرر بغليت» وهو الاحتياط المصفح لدى الفيلق ٤٧، وبواسطة عناصر من الفرقة المصفحة الآلية الخامسة عشرة، وكانت الحامية تضم، فضلا عن فرقة «ايربورن ١٠١»، عناصر من الفرقتين المصفحتين التاسعة والعاشرة، اللتين قطع عليهما الانكفاء، وبعض تشكيلات المؤخرات التي كانت مؤلفة كلها من الجنود الملونين. وكان القائد هو البريغادير - جنرال «ماك اوليف» الذي حل مؤقتاً محل «ماكسويل تيلر».

وقبل ان يبدأ الهجوم على يد الجنرال «هاينز كوكوت» قائد المحاصرين رأى هذا الأخير انه من الأصوب ان يوجه انذاراً أخيرا، وقال مانتوفيل: انه فعل ذلك من غير اذن منه. وعاد اليه مفاوضه بجواب «ماك اوليف» الخطي، الا وهو كلمة واحدة تحمل سخرية وسباباً! وعلى هذا الأساس بدأ الحصار.

في ذلك الوقت بالذات كانت الدبابات الألمانية تتابع سيرها نحو الموز بجهد بالغ بفعل المقاومة الحليفة النشطة، وبفعل صعوبة الطريق وقلة الوقود. وفي الشمال استولت الفرقة المصفحة ١١٦ على «روش - ان - اردين» فعبرت «الاورث» في «هوتون» ولكنها، اذ أضاعت ٤٨ ساعة على أثر خطأ في القيادة، اصطدمت بفرقة اميركية جديدة، وهي الفرقة ٨٤، اعترضت طريقها. والى الجنوب استولت فرقة «بنزرليهر» على «سانت - هوبير» و«روشفور»، ودفعت بعناصرها المتقدمة حتى «سيرنيون» على مسافة ٢٠ كلم من «دينان»: وبين الاثنتين وقفت الفرقة المصفحة الثانية مجمدة مدة

٣٦ ساعة بسبب فقدان الوقود، وعادت الى الانطلاق في ٢٢، فحطمت حصناً دفاعياً بين «مارش - ان - فامين»، و«روشفور»، وفي ٢٤ بلغت مجموعتها الاستطلاعية «فوا - نوتردام» على اولى ذرى «الموز». وكان النهر ينساب تحت اعينها، وهو يكاد لا يبعد ٦ كلم. وكان جنود رومل قد ابصروه من الموضع نفسه لثلاثة وخمسين شهراً خلت.

ولكن الأمر يتعلق، هذه المرة، بناتئة ضعيفة. فقد راحت قوات ساحقة تتضافر في وجه الفرقة المصفحة الألمانية الثانية التي تورطت بشكل خطير. كانت السماء قد انقشعت، وعاد الطيران الى انجاز عمله الرهيب، وانهال على الطرقات كأنه بساط من القنابل، وتعرضت المؤخرات القريبة منها والنائية لغارات متكررة حطمت مواصلات مجموعة الجيوش برمتها. واما الفرقة المصفحة الألمانية الثانية التي سحقتها المدفعية، وأرهقتها أسراب المطاردات - القاذفات كالذباب. فقد اعتبرت منتهية حكماً. وما كان من بايرلين، الذي طار لنجدتها ببسالة، إلا ان التقط بعض الناجين، فعاد بهم نحو «روشفور» مع فرقته «بنزرليهر» التي عرفت هي الأخرى مذاقاً مراً.

ومع اخفاق الهجوم الألماني اندفع الحلفاء في ردهم، ولم يكن في وسع احد ان يصور ايزنهاور تحت وطأة المطرقة في «الاردين»، وهي صورة «الهياج والزئير» على حد قول مونتغمري، وأضاف يقول: «لم أكن أتوصل الى فهم ما يقوله. ولحسن الحظ انقطعت المكالمة قبل ان يفرغ (ايزنهاور) من كلامه..» ولم يكن معاونو القائد الأعلى الاميركيون من جهتهم بأكثر رضى. فقد كتب ضابط أركان عامة انكليزي الى «بروك» يقول: «لقد دخلت الى المقر العام لقيادة هودجز كالمسيح وهو داخل الى المعبد يطهره. ولم ير أحد برادلي منذ بدء المعركة..». اما المراجع الأميركية فقد ذكرت ان «أيك» ومعاونيه قد ظلوا ثابتين كالصخرة، وهم يقومون الوضع بكل برودة أعصاب.

في ١٩ كانون الأول انعقد مؤتمر حربي خطير في احدى الثكنات «فردان» ضم ايزنهاور وتيدر وبرادلي وديفيرز وباتون وغيرهم. وقد أدلى هذا الأخير بالتعليق التالي: «يجب ان يترك هؤلاء الخنازير للوصول الى باريس حيث يجري عندئذ الانقضاض عليهم من خلف وسحقهم سحقاً!» فأجاب «أيك» بأنه لا يعقل ان يترك الألمان يجتازون الموز. وقال انه يفكر بأن يكبحهم على وجه الناتئة الشمالي، وبأن

يشن عليهم هجوماً معاكساً على الطرف الجنوبي. وسأل باتون متى يكون باستطاعته ان يطلق عملية تقوم بها ست فرق باتجاه باستون وهو فاليز! فأجاب باتون بأنه سوف يكون قادراً على التحرك منذ الثاني والعشرين، ولكن بشرط ان يسير بثلاث فرق فحسب. وقد أوضح ان السرعة في الانجاز أفضل من العدد، اذ يجب تسديد الضربة فيما يكون العدو في حالة توازن غير مستقر، وقد رضي «ايك» بذلك.

في اليوم التالي قرر ايزنهاور تسليم مونتغمري القوى الحليفة التي كانت في شمال الناتئة بعدما اعتبر ايزنهاور ان الثغرة الألمانية قد قطعت الاتصالات. وبموجب التسليم الجديد نقل الجيشان الاميركيان الأول والتاسع الى أمرة مونتغمري الذي لم يتورع عن ذكر الفوضى وحتى الذعر اللذين كانا يسيطران في القطاعات الأميركية. وبدلاً من ان يدفع الى الساحة بفيلقه البريطاني الثلاثين أمره بالمحافظة على ممرات الموز، مما دفعه الى القول فيما بعد: «عندئذ شعرت بالطمأنينة». ولم يخض القتال في ٢٤ شمالي «دينان» إلا لواء مصفح واحد من الحرس، فأسهم في دحر الفرقة المصفحة الألمانية الثانية.

وبر باتون بالوعد، فبدأ هجومه في



• لوحة تمثل جنودا اميركيين متعبين.. ولكن باتجاه النصر.

الساعة الرابعة من صباح ٢٢ كانون الأول بفرقه المصفحة ٢٦، و ٨٠، و ٤، فاصطدم بالجيش الألماني السابع الذي كان يضم ثلاث فرق من فرق رماة الشعب، وفرقة من المظليين، والذي كان يحمي الجانب الألماني الأيسر، كان التقدم الأميركي شديد البطء في بداية الأمر بسبب الثلوج والطرق المحفرة، ولكن سرعان ما أشرقت شمس ٢٣ فانبرى الطيران يحلق في الأجواء ويقصف بعنف، مما عجل في التقدم.

وأما «باستون» فقد راحت تقاوم بقوة، بعدما تم تموينها جيداً بفضل تحسن الطقس، ثم بدأ المحزرون يقتربون منها. وفي صبيحة ٢٦ جاوزت الفرقة المصفحة الرابعة «فو - لي - روزيير» على طريق «نوفشاتو». وفي الساعة ١٤ اتصل رئيسها الجنرال «غافي» هاتفياً بباتون وقال: «أتسمح بأن أقوم

بمخاطرة كبرى؟ » فأجاب باتون: «أجل، بالطبع، ولكن ما الخبر؟ » فاقترح «غافي » ان يرسل باتون فرقته المصفحة «ر » بامرة الكولونيل «وندل بلانشار »، فالأرض التي علاها جليد كثيف كانت ملائمة للدبابات، ولم تكن الفرقة إلا على بعد ٦ اميال من المحاصرين.

وهكذا كان انقضاض الفرقة المصفحة، فاعرضت عن «سيبرين » وعن طريق «نوفشاتو »، سالكة طريقاً ريفياً، فسحقت دسكرة «اسونوا ». وراحت تتقدم وسط حشود من الألمان اعيتهم الحيلة. وفي الساعة ١٦,٥٠ شاهد رتل صغير من ثلاث دبابات «شيرمان » وبعض الشاحنات، بقيادة الملازم الأول «بوغيس »، حشداً من الجنود ببزات الكاكي وهم يهاجمون حصناً، فإذا هم من نقابي كتيبة الهندسة ٣٢٦، وهكذا رفع الحصار عن باستون.

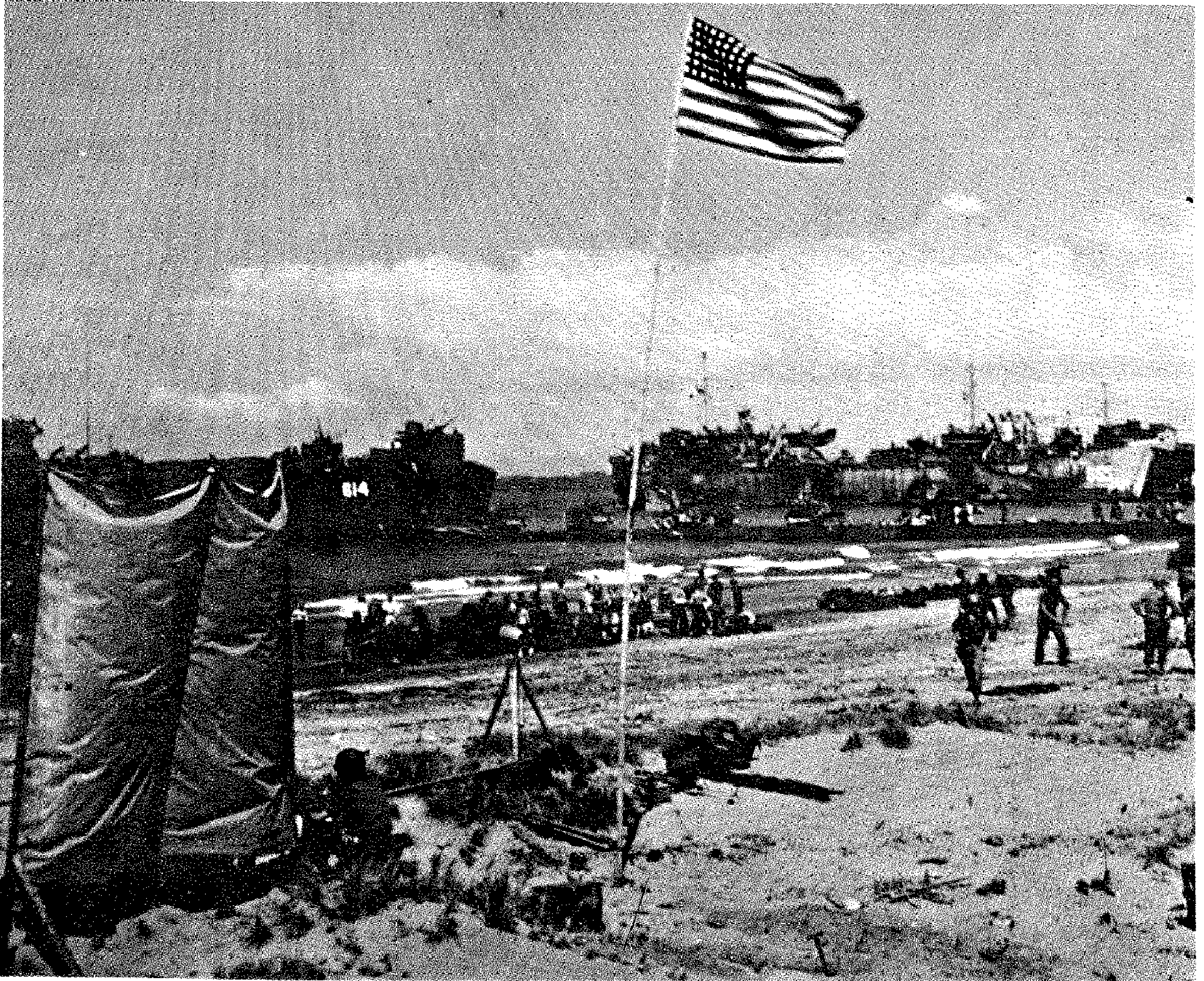
لم تكن تلك نهاية معركة «الاردين ». لم تتخل القوات الألمانية الا عن النواتىء التي استحال الدفاع عنها، فيما بقيت متشبثة بخط دفاعي يشمل نصف الأراضي التي أعيد احتلالها منذ ١٦ كانون الأول. وحول «باستون » استمر القتال عاصفاً، وقد امتص في هذا القطاع وحده ثلاثة فيالق المانية، وقد تساءل المقاتلون لماذا ينبغي التعلق بنتف الغابات تلك بهذا القدر من الضراوة؟ كان روندشتاد قد طالب منذ ٢٢ كانون الأول بالانكفاء الى ما وراء خط «سيغفريد »، فعاضد مودل وغوديريان اقتراحه، ولكن هتلر لم يرض به.

وأما سره الجديد فقد كان استئناف معركة الاردين! لقد فُقِد اكثر من ١٠٠ الف رجل، وكميات هائلة من العتاد الى حد ان الجنرالات الألمان كانوا يعلمون ان الجيش الألماني قد هزم نهائياً، وكان معظمهم يعتقد بضرورة التخلي عن القتال في الغرب وبذل أي ثمن للحؤول دون قيام الروس بغزو ألمانيا. ولكن هتلر كان يصر على ان انتصاراً في الغرب ضروري ومعقول. وكان المطلوب اولاً استنفاد احتياطات العدو في القطاعات الثانوية. واختار الفوهرر الالزاس، ولسوف يتم الانطلاق من ثم لغزو انفير من الموقع الذي احتفظ به في الاردين.

كان الجيش الأميركي السابع، في الساعة الأخيرة من عام ١٩٤٤، قائماً بشكل زاوية من «سارلوي » حتى جنوبي «ستراسبورغ ». ومن ناحيتي الفوج بين «سارغومين » و «هارغونو » انزل الفيلق السادس فرقه الثلاث الى خط النار، وقد وقعت عليه اولى هجمات هتلر التمويهية في قلب ليلة رأس السنة.

معارك " ليتي " البحرية الثلاث

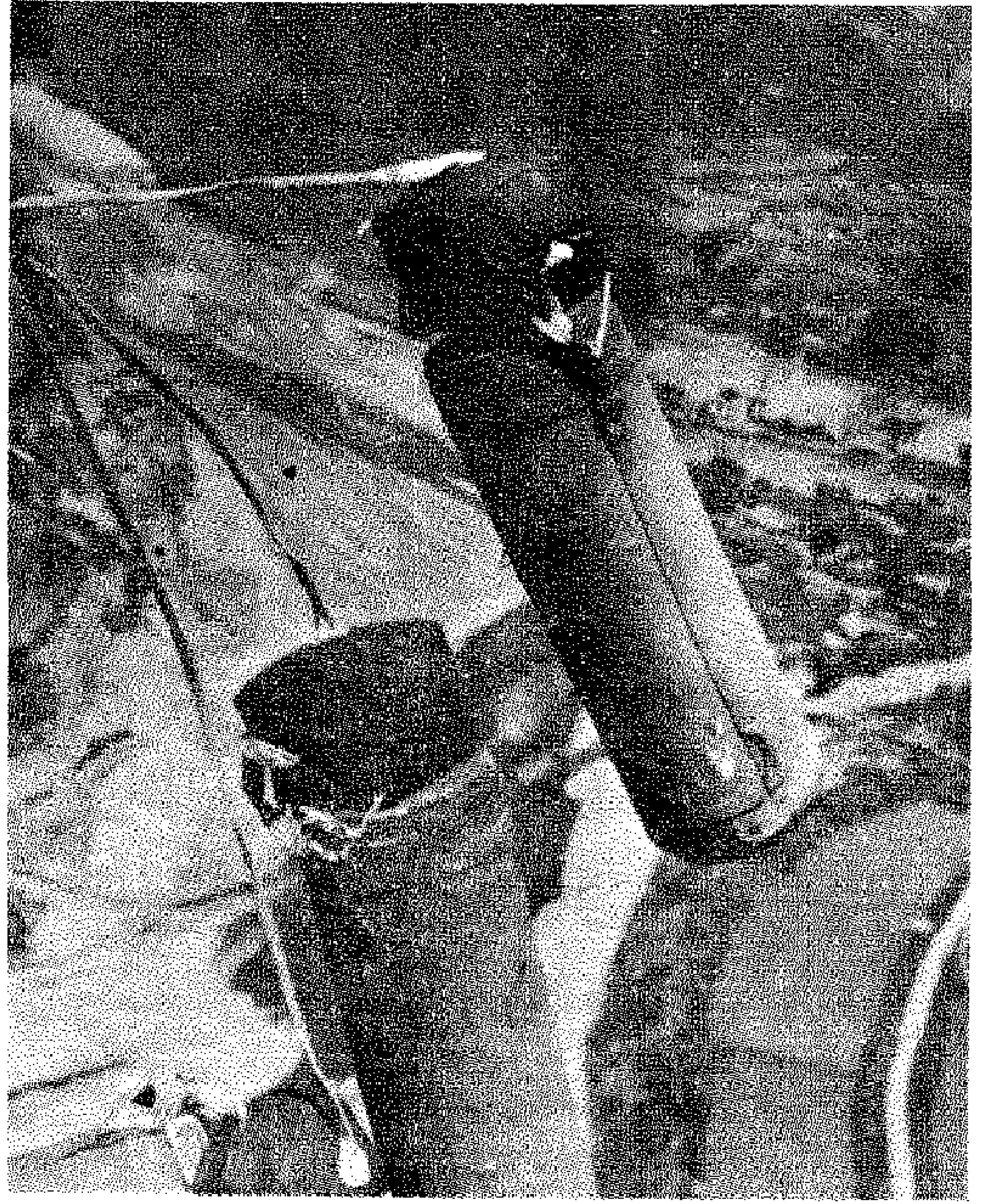
• منظر عام لشاطىء «لنغاين» في جزيرة «لوسون» بعد النزول.




RESTRI
ARE

كان ضياع «سايبان» وهزيمة بحر الفيليبين بالنسبة لليابان نذير شؤم، ولكن شيئاً من ذلك لم يغير شيئاً في ارادة امة القت بكل ثقلها على الساحة.

في ١٨ تموز ١٩٤٤ استقال الجنرال «توبو» واعضاء حكومته معتذرين عما سببوه لجلالة الامبراطور من قلق واضطراب وما كاد رئيس الحكومة الجديد«كوتيا كاكويزو» يتسلم مهام منصبه حتى راح يرفع الشعارات الحازمة الصارخة: قتال حتى النهاية، وحتى ينكس الأعداء له رؤوسهم.



- انزال جوي لمجموعات حرب العصابات في جنوب شرقي الصين.
- تحديد مكان الطائرات والبواخر (الصديقة والعدوة) داخل غرفة رادار على متن حاملة طائرات اميركية.

ولكن شتان ما بين الشعارات والقدرة على التنفيذ، لا سيما وان اليابان قد عاشت ثلاث سنوات من عمر الحرب نالها منها الكثير من الانهاك وتفتت القوى. كان المسؤولون اليابانيون قد توهموا ان الاستيلاء على جنوب شرق آسيا، وعلى مواردها الجمة يتيح لبلدهم تحمل اوزار الحرب مهما طال أمدها، فإذا خطؤهم فادح فاضح، واذا هم مضطرون الى حماية الامبراطورية التي اقتطعوها من عدو يستطيع، متى شاء، ان ينتقي الموضع الذي يرميه بتفوقه المادي الضخم. ومن اين لليابان ان تكون قوية في كل الأرجاء، والأراضي التي تبسط سلطتها عليها، تمتد، بالرغم من كل ما تخلت عنه، من الفيليبين حتى برمانيا، فالكوريل، فمنشوريا؟

وانسجاماً مع الشعارات الطنانة التي رفعها رئيس الحكومة اليابانية الجديد اطلق على خطط الدفاع التي وضعتها هيئة الأركان الامبراطورية العليا اسم «شو»، اي النصر. اما الخطة فتقوم على تشكيل قوة احتياطية متحركة خاصة بكل منطقة معرضة للتهديد. قد ينجح المهاجم في تحقيق مداهمة مباغتة في البداية، لكنه سيجابه، فيما بعد، بقوات ضخمة تزحف اليه محاولة سحقه. وهكذا بلغت مخططات شو اربعاً:



• فرقة من فرق «الكاميكازي».

«شو ١» يتعلق بالفيلبين، و«شو ٢» بـ«فورموزا» وجنوبي الصين، و«شو ٣» يختص بكبريات الجزر الثلاث: هونشو، سيكوكو، وكيوشو. اما «شو ٤» فتتعلق بالجزيرة الكبيرة: هوكايدو.

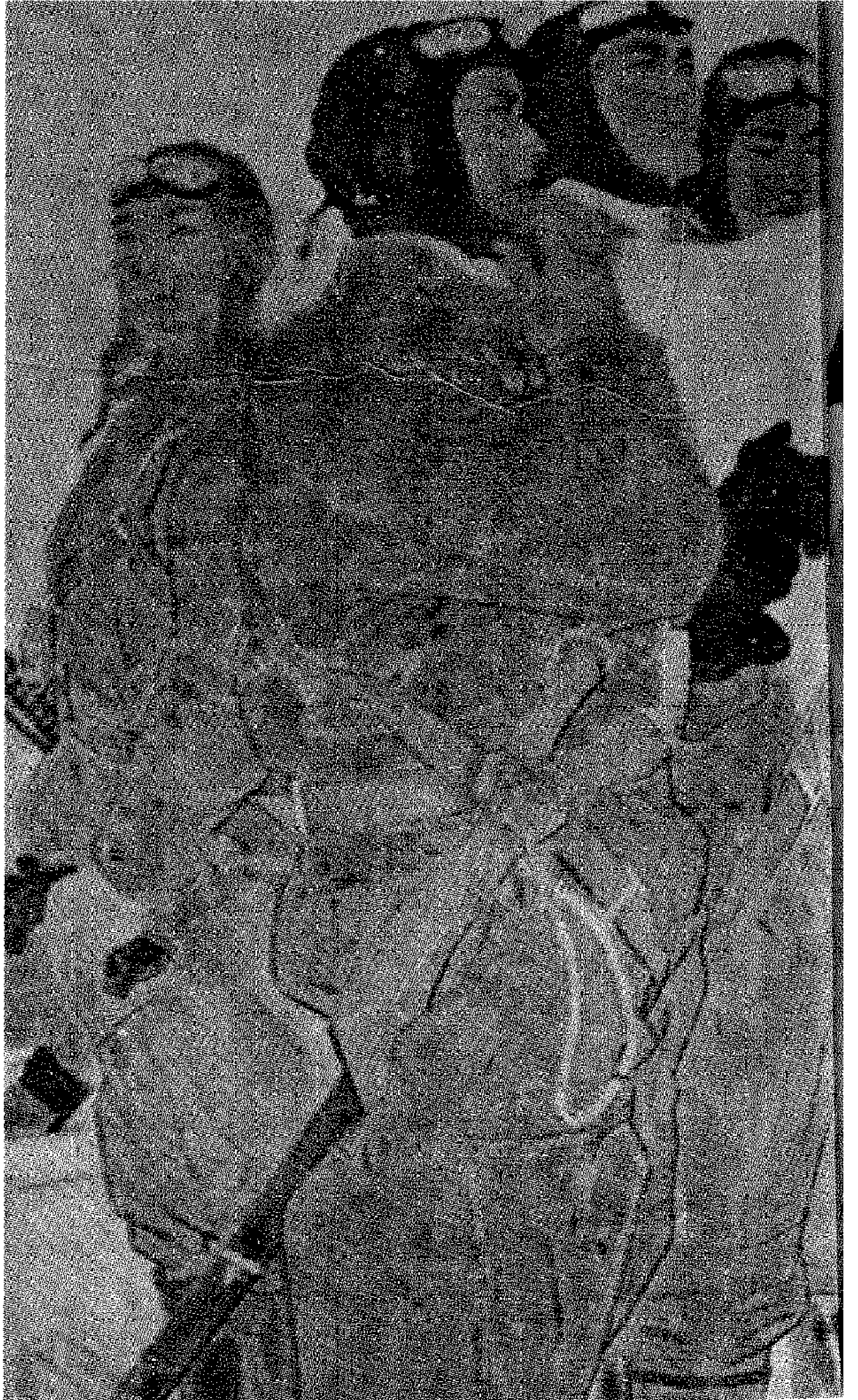
كانت الخطة الأولى أقرب الخطط احتمالاً ووقوعاً. فلو قيض للأميركيين ان يهبطوا في الفيلبين لغدت جزر الوطن الأم في متناول قاذفات قنابلهم، وتمكنوا من تلقف المواد الستراتيجية كالنفط والمطاط والقصدير وغيرها المتدفقة على اليابان من جزر «السوند»، و«ماليزيا». ولذا فقد قر رأي العسكريين والصناعيين على اعتبار مسألة المحافظة على الفيلبين مسألة حياة او موت.

جعلت مجموعة جيوش المارشال - كونت «هيشايشتي تيروشي» مسؤولة عن قطاع جنوب شرق آسيا، فجعل مقره

بسرعة في اي منطقة تتعرض للهجوم امراً لا بد من تأمينه، وكان ذلك يحتم حرية النقل البحري. وهكذا عادت نظرية الدفاع عن الفيليبين كما عادت خطط شو كلها بشكل عام الى الفكرة التي طالما تغنى بها البحارة اليابانيون، ألا وهي تهيئة أسباب معركة بحرية ضخمة تعيد زعامة البحر الى اليابان ولو موقتاً.

ولكن وضع البحرية الامبراطورية لم يكن مرضياً. وقد تعرضت عملية استعادة توازنها لصعوبات جمة. وفي محاولة لاستبدال حاملات الطائرات المدمرة عمدت الى تحوير البارجتين القديمتين «ايزي» و«هيوغا»، والى استخدام هيكل «الاماغي»، شقيقة «الياماتو»، العظيمة ضمت هذه القلاع الى «الزويكاكو»، بطلة «بيرل هاربور»، والى حاملات الطائرات الخفيفة «شيودا»، و«شيتوزي»، و«جونيو»، و«ريوجو»، فأعيد بها تشكيل قاعدة جديدة لسلاح الطيران البحري دعيت الاسطول الثالث او فيلق الميدان. واحتفظ بقيادتها الاميرال «توكيز ابورو اوزاوا»، المحارب العنيد في بحر الفيلبين.

واذا كان أعيد ترتيب القاعدة، فأن القمة بقيت تفتقر الى إعادة التنظيم، فالمجزرة المستمرة منذ موقعة



العام في «مانيلا»، واسند أمر الدفاع عن الفيليبين، المؤلفة من ٧ آلاف جزيرة بين كبيرة وصغيرة، الى القطاع الرابع عشر بقيادة «تومومييهي باماشيتا» الذي يطلق عليه اسم قاهر سنغافورة. ففضلاً عن الحاميات المتمركزة في الجزر الرئيسية قسم ما يقارب ١٥٠ ألف رجل قسمين، احدهما رابط في جزيرة لوسون الشمالية، والآخر في الجنوب في جزيرة «مندناو». كانت امكانية حشدهم

بحر المرجان قضت، بالفعل، على نخبة الطيارين الذين حالوا وجالوا في بيرل هاربور. كان تدريب الملاحين الجدد يسيراً نسبياً في البحرية الأميركية، عسيراً غاية العسر بالنسبة للعنصر البشري الياباني. ولقد ذهب بعض المتعصبين من الضباط الفتيان الى ان الطيار لا يحتاج لكل ذاك التدريب من اجل ان يتحطم بطائرته على سفينة معادية فيجرها الى حتفها، الا ان هذه العقيدة التي سيدين بها رجال الكاميكازي العنيدون، لم تكن قد حظيت بعد بموافقة السلطات البحرية. كان على اسطول اوزاوا، والحالة هذه ان ينتظر في بحر اليابان الداخلي ريثما يتم تدريب طياريه البطيء.

•

بدا الوضع أفضل حالاً بالنسبة للسفن الكلاسيكية، فـ «الياماتو» و «الموزاشي» (٦٥ الف طن، ومدافع من عيار ٤٦٠ م) ما زالا أقوى سفن القتال في العالم، وعدد البوارج القديمة والطرادات الثقيلة ما فتىء ضخماً. إلا ان النقص كان يتجلى في المدمرات والسفن المساعدة، وبخاصة في ناقلات النفط. ففيما اتصف اليابانيون بالضعف في سائر قطاعات حرب الغواصات الهجومية والدفاعية على السواء لم ينازع الأميركيين منازع في هذا الحقل، فتمكنوا من انزال افدح الخسائر بسفن



• ادميرال «ياماموتو».



• جنود اميركيون.. وبدا أحدهم جريحاً.

النقل، جاعلين من السفن الصهاريج اهدافهم المفضلة. ولسوف تضع السلطات البحرية اليابانية التي تم استجوابها بعد الحرب عمل الغواصات الأميركية في طليعة العوامل التي أدت الى الهزيمة.

فرضت الصعوبات التي اعترضت عملية التموين تقريب القوات البحرية اليابانية من مصافي «بورنيو» و«سومطرا»، فلم يبق في «كوري» و«سازيبو»، غير اسطول الفيس اميرال «شيما» المؤلف من ٣ طرادات و٤ مدمرات الى جانب حاملات طائرات «اوزاوا» الخالية من الطائرات. اما ما تبقى فقد انتقل الى مرفأ «لينغا» بقيادة الاميرال «تاكيوكوريتا».

تلك كانت العدة التي اعتمد عليها القسم البحري من خطة « شو ١ »، وهي تنم عن اليأس التي وجدت فيه اليابان، إلا انها لم تعترف به على الاطلاق. وتدليلاً على ذلك سيقوم اسطول « اوزاوا » مقام الطعم الذي يجتذب اليه عمداً سفن الأميرال « هالسي » الضخمة، موفراً لـ « كوريتا » فرصة تدمير القوات البحرية والبرية التي ستحاول اميركا غزو الفيليبين بها.

والحقيقة ان موعد هذا الغزو آخذ في الاقتراب بشكل واضح. ففي ايلول حمل « ماك آرثر » على جزيرة « موروتاي » الواقعة بين « غينيا الجديدة » و « منداناو »، فاحتلها، وحمل « نيميتز » في الشهر نفسه على ارخبيل « بالاو » الصغير، فسيطر عليه. وقد بدت جزر الفيليبين وكأنها هي الهدف التالي، وبالنظر الى توقيت التحركات الأميركية المعتاد اعتبر شهر تشرين الثاني موعداً للزحف عليها. غير ان اليابانيين جهلوا ما اذا كان العدو سيوجه ضربته الى الشمال ام الى الجنوب، ام الى الوسط: على « لوسون »، ام « منداناو »، ام على احدى اقوى الجزر المجتمعة في بحر « ميزايا » وهي: « باناي »، و « نيغروس »، و « سيبو »، و « سامار » و « ليتي »..

★ ★



• الاسطول البحري الأميركي فوق مياه المحيط الهادىء.

• نزول مشاة البحرية الأميركية على شاطىء « ليتي ».

عند الأميركيين استمر النقاش الستراتيجي بحدة، فالبحارة الأميركيون راحوا يؤكدون انه في استطاعتهم توجيه ضرباتهم الى قلب اليابان مباشرة، إلا ان « ماك آرثر » تشبث برأيه القائل ان طريق طوكيو انما تمر بالفيليبين دون سواها.



في شهر تموز دعي ماك آرثر الى « هونولولو »، ففوجىء بوجود الرئيس روزفلت الى جانب جورج مارشال، وقد كان الرئيس راغباً في تكوين فكرة شخصية عن نزاع الهادىء الستراتيجي. كان الأميرال «كينغ» قد استبقي في واشنطن، إلا ان الأميرال « نيميتز » دافع عن نظرية البحرية المتمثلة في تركيز القوات كافة تحت قيادتها والنزول في فورموزا، التي تعتبر جزءاً لا يتجزأ من الامبراطورية اليابانية منذ عام ١٨٩٥، واحتلالها يعني قطع اليابان عن كل مغانمها، بما فيها برمانيا وماليزيا والفيليبين التي كانت تجمد اكثر من مليون رجل. ولسوف تغدو طوكيو على بعد ثلاث ساعات من مدى طائرات « ب - ٢٩ ».

من الوجهة العسكرية كانت نظرية نيميتز مقنعة، إلا ان براهين ماك آرثر قد تعدت الحدود الستراتيجية الى الاعتبارات السياسية والنفسانية والعاطفية: فالفيليبينيون قد حصلوا على وعد اميركي باعطائهم الحرية، ولم يكن في وسع أميركا ان تترك ١٧ مليوناً من الأصدقاء « ينزفون في أماكنهم » وهم يخوضون حرب ادغال، بانتظار استسلام اليابان الذي كان لا يزال بعيد المنال.

كان ماك آرثر متأهباً للقفز الى « منداناو »، ثم الى « ليتي »، ومنها الى لوسون. ولتسهيل هذه العودة المظفرة كان على البحرية ان تضع نفسها في تصرف منطقة الهادىء الجنوبية الغربية.

لم تسفر مناقشة هونولولو عن نتيجة حاسمة، بل انتقلت هذه المناقشة الى هيئة الاركان العامة، وراح الجو يميل الى التوصل لحل وسط، فتقرر ان يستولي نيميتز على قاعدة « ياب » فيما يستولي ماك آرثر على منداناو وليثي، وبعد احتلال هذه الأخيرة سوف يتقرر، وفقاً للظروف، ما اذا كان يجب تحرير الفيليبين عبر احتلال لوسون، ام الانقضاض مباشرة على فورموزا في آذار ١٩٤٥.



• تقدم المشاة بحماية المصفحات اثناء معارك «ليتي».



استمرار تقدم المشاة الاميركيين عبر مواقع «ليتي».

• بيان معارك ليتي.

في ذلك الوقت كانت الحرب تدور على شيء من الرتابة. فالأميرال هالسي يدور في الهادىء بالفرقة ٣٨ المؤلفة من ١٧ حاملة طائرات، و٦ بوارج، و١٣ طراداً، و٥٨ مدمرة. وقد ارهقت القواعد اليابانية دون هوادة، ودمرت الطائرات بالمئات في الجو وعلى الأرض، علماً بأن ردات الفعل كانت ضعيفة للغاية، حتى ان هالسي توصل الى استنتاج اكيد هو ان العدو قد تحطم عموده الفقري، ونتيجة لذلك تقدم باقتراح يقضي بالانقضاض السريع على «ليتي» بدل اضاعة الوقت في «ياب» و«منداناو»، ومعلوم ان «ليثي» هي مركز الأرخبيل الفيليبيني ومفتاحه.

قام نيميتز بنقل هذا الاقتراح

المرتحل الى مؤتمر «كيبيك» مباشرة، فما كان من كينغ ومارشال وارنولد إلا ان قطعوا الغداء وانصرفوا الى دراسته. وبعد انقضاء ٩٠ دقيقة انطلقت الموافقة نحو الهادىء الجنوبي: الجنرال ماك آرثر والاميرال نيميتز مدعوان للتخلي عن العمليات الوسيطة، باستثناء احتلال جزر بالو، لتنفيذ نزول في «ليتي» في أقرب وقت ممكن. وما لبث الفيلق ٢٤ الذي اتجه شطر ياب ان الحق بمنطقة الهادىء الجنوبية الغربية، وانضم الى الفيلق العاشر ليكونا معاً الجيش السادس بقيادة الجنرال «والتر كروغير».

ليتي جزيرة يبلغ طولها ١٥٠ كلم وعرضها ٣٠ كلم، وتمتد بين منداناو وسامار. يفصلها عن الأولى مضيق «سوريغاو» العريض، وعن الثانية مضيق «سان جوانيتو» الضيق الوعر. وتغطي الجبال والمستنقعات ثلاثة ارباع الجزيرة. واما الجزء النافع فواقع الى الشمال في وادي ليتي ووادي «ارموك» اللذين تفصل بينهما سلسلة جبال يبلغ علو بعضها حدود ٤ آلاف متر. ومنذ غزو افريقيا الشمالية لسنتين خلتا، كان التكتيك الأميركي المتعلق بعمليات الانزال قد تحسن الى حد كبير. فانزال ليتي الذي بدأ في ٢٠ تشرين الأول، والذي يضم ٧٠٠ سفينة و١٧٥ ألف

• بيان لمعارك «برمانيا».. هجوم وهجوم مضاد.

رجل، قد حصل وكأنه تمثيلية ذات ادوار متعددة. فالفيلق العاشر، الذي يتألف من فرقة الخيالة الأولى وفرقة المشاة ٢٢٤ قد نزل في خليج «سان بدرو» الصغير، الواقع في اقصى خليج ليتي بجوار العاصمة الصغيرة «تاكلويان». واما الفيلق ٢٢٤ الذي يضم فرقتين المشاة ٧ و٩٦، فقد نزل



● الجنرال « مـــاك آرثر » عـــلى احـــدى سفن الانزال الاميركية.

على ٢٠ كلم الى الجنوب بالقرب من مدينة «دولاغ» الصغيرة ومطارها. وعلى الرغم من ان اليابانيين كانوا يدركون أهمية النيران الأميركية التي ستسلط على رمال الشاطىء، لم يحصنوا الساحل، بل نظموا دفاعهم عمقاً.

ومنذ اليوم الثاني تمت السيطرة على «تاكلويان» ومطارها، ثم على «دولاغ»، و«بالو». وما لبث ماك آرثر ان نصب في تاكلويان خليفة لـ«مانويل كويزون» هو «سيرجيو اوسمينا»، وبهذا التعيين عادت الشرعية الى الحياة، وعادت المؤسسات تعمل من جديد على أول رقعة من الأرض المحررة.

الا ان معركة ليتي البرية بقيت في المرتبة الثانية على اعتبار ان مصير الجزيرة، سيتقرر في البر، بل في البحر حيث كانت تنشب معركة في غاية التعقيد.

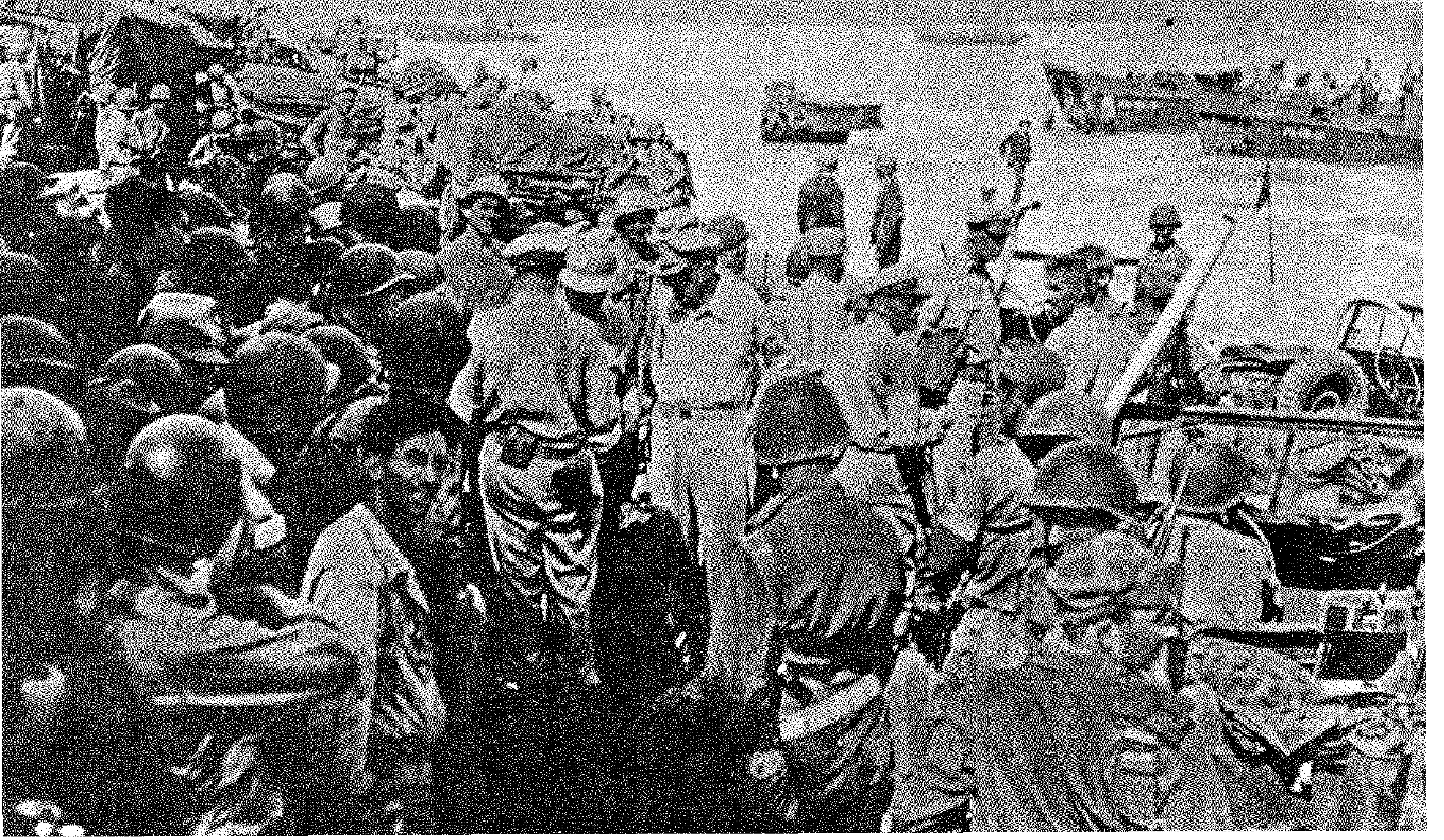
في ١٨ تشرين الأول أصدر الأميرال «تويادا» امراً بتنفيذ المخطط «شو ١». لم تكن حاملات الطائرات، الموكلة باستدراج قوة الصدام الأميركية، تعد غير ١١٠ طائرات يقودها طيارون ناشئون. واما البارجتان المرممتان «ايزي» و«هيوغا»، فلم يكن على متنهما طائرة واحدة ولا حتى مدفع واحد، وهذا يعني ان وجودهما لا يقدم ولا يؤخر بوصة واحدة، إلا ان اصطحابها قصد منه دعم التأثير الذي سيوفره الاسطول الفدائي، ولسوف يقول الأميرال اوزاوا: «كنت اتوقع تدمير اسطولي بكامله، ولكن الأمر الوحيد الذي كان يهمني هو ان يتمكن «كوريتا» من انجاز مهمته..». وفي ٢٠ تشرين الأول انصرف بصحبة حاملات طائراته، في حين كان «كوريتا» قد غادر «لنغارودز» من جهته، متجهاً نحو «بروني» على ساحل بورنيو الشمالي. وفي ٢٢ غادر «بروني» بعدما انقسم جيشه قسمين، وكان أقل هذين القسمين أهمية بقيادة الأميرال «نيشيمورا» ويضم البارجتين «فوزو» و«ياماشيرو»، والطراد الثقيل «موغامي» و٤ مدمرات، وكان متفقاً ان تلحق بها سفن الأميرال «شيما» السبع، وان تسير شطر مضيق «سوريغاو» للالتفاف حول ليتي من الجنوب، وأما القوة الرئيسية التي كانت بقيادة كوريتا، فقد كانت تضم البوارج «ياماتو»، و«موشاشي»، و«نوغاتو»، و«كونغو»، و«هارونا» و١١ طراداً، و١٥ مدمرة. وكان عليها ان تعبر مضيق «سان برنادينو» لتستدير حول «سامار» وتخرج الى خليج ليتي مع نيشيمورا في وقت واحد. كانوا يأملون بأن يكون الأميرال هالسي قد انخدع باسطول اوزاوا في تلك الأثناء، وكانوا

واثقين من ان مجزرة ستحل بالسفن الأميركية العتيقة الباقية أمام ليتي، ومن انه سيجري عزل القوات المنزلة الى الشاطىء، فيخفق بالتالي غزو الفيلبين.

وفي يوم ٢٣ تشرين الأول استعاد الهادىء صفاءه بصورة تدريجية. وكانت احدى مجموعات حاملات الطائرات التابعة لهالسي تتزود في «اوليتي»، وكانت الثلاث الأخريات تحوم في عرض «سامار». واما الاسطول الأميركي الآخر، وهو السابع، بامرة الأميرال «توماس ك. كينكيد»، الذي كان مكلفا بتنفيذ النزول وبحمايته المباشرة، فقد ملأ خليج ليثي بكتلة من السفن ذوات الأحجام المختلفة، والتسميات المختلفة، والاختصاصات المختلفة، وكانت ترافقها البوارج العتيقة الست، «ميسيسبي»، و«ماريلاند»، و«ووست فيرجينيا»، و«تينيسي»، و«بنسلفانيا»، و«كاليفورنيا». لم يكن الأميركيون يتوقعون حلول معركة بحرية، ولم يكونوا شاعرين بالقوات اليابانية الثلاث المتجهة نحوهم دفعة واحدة.

ما كاد الفجر ينبلج حتى دخل الاسطول القادم من «بروني» الممر المائي الضيق الذي يفصل جزيرة «بالاوان» الطويلة عن مرتفع بحري يعرف بـ«دينجروس غراوند»، وكان يبحر في خطين متناسقين ويتقدم خط اليمين الطراد «اتاغو» ترفرف عليه راية الأميرال «كوريتا». وبعد الساعة السادسة بدقائق معدودة اصابته طوربيدات عدة أغرقت مواقده، وانتزعت مراوحه ودفته. وقد نسف الطراد اللاحق «تاكاو» كذلك بالطوربيدات، ومن بعده، في الساعة ٦,٤٠، لقي الطراد «مايا» المصير نفسه، وهو السفينة الثالثة في رتل اليسار، غرق «اتاغو»، وتفجرت «مايا»، وراح «تاكاو» يحبو باتجاه سنغافورة. ان البحرية الأمبراطورية التي هاجمتها الغواصات، قد وجدت نفسها من جديد ضحية قلة جدارتها في القتال ضد الغواصات. واستأنف «كوريتا» سيره بعدما نقل رايته الى «ياماتو»، ولكنه بات مستضعفاً وقد حدد العدو موقعه.

وخلال النهار تم كذلك تحديد موقع اسطول الأميرال «نيشيمورا» بواسطة الدوريات الجوية. واما القوة الوحيدة من القوات اليابانية الثلاث التي كان الأميركيون يجهلون وجودها في البحر، فهي تلك التي كانت تحاول ان تلفت اليها الأنظار لاستنزال الصاعقة على نفسها! وأبحر «اوزاوا» طوال النهار من غير اي حادث، وخلال الليل انعطف نحو الجنوب الشرقي بغية الاقتراب من «لوسون».

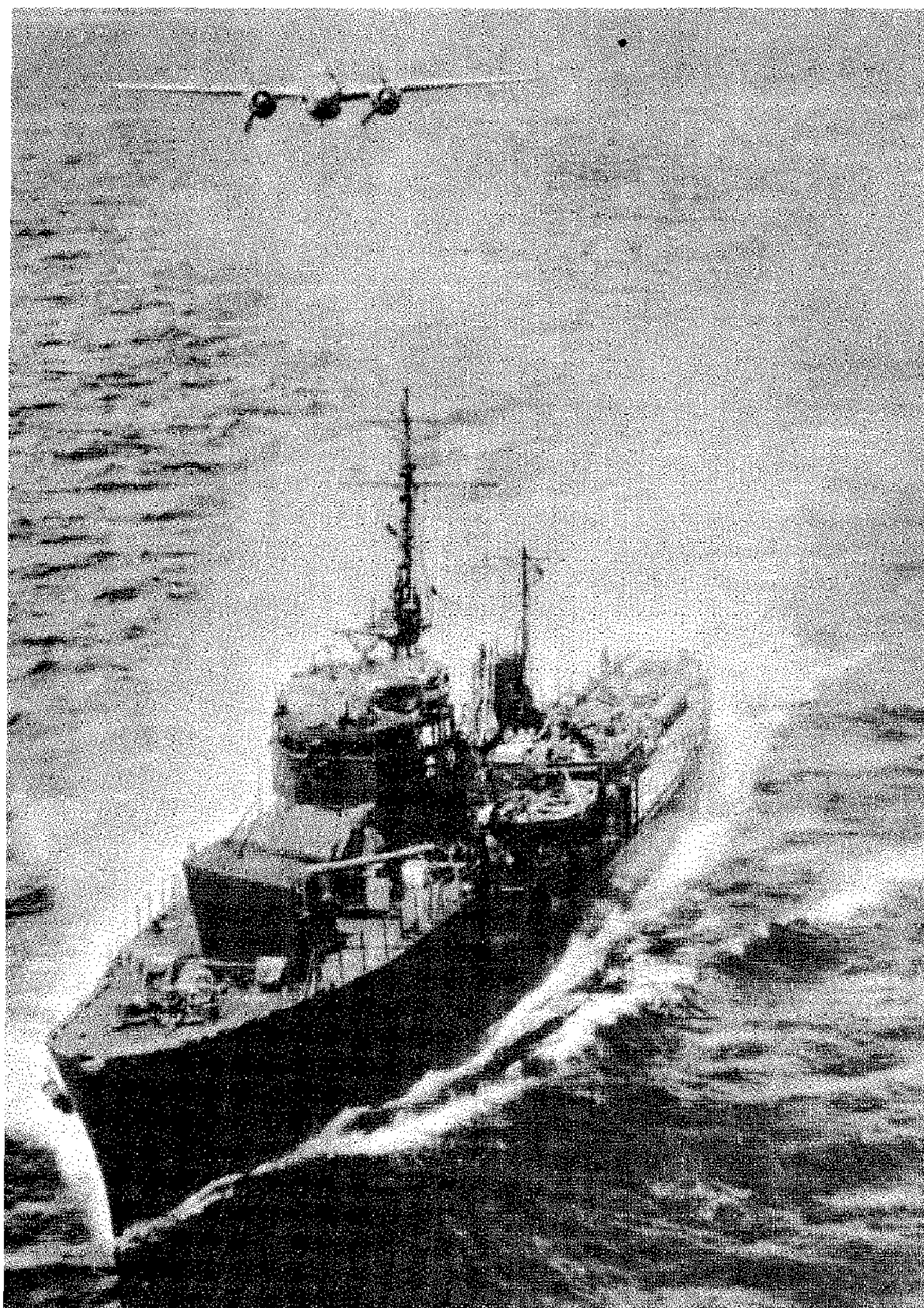


• «ماك آرثر» بين الجنود على شاطىء «باليكبابان» في بورنيو.

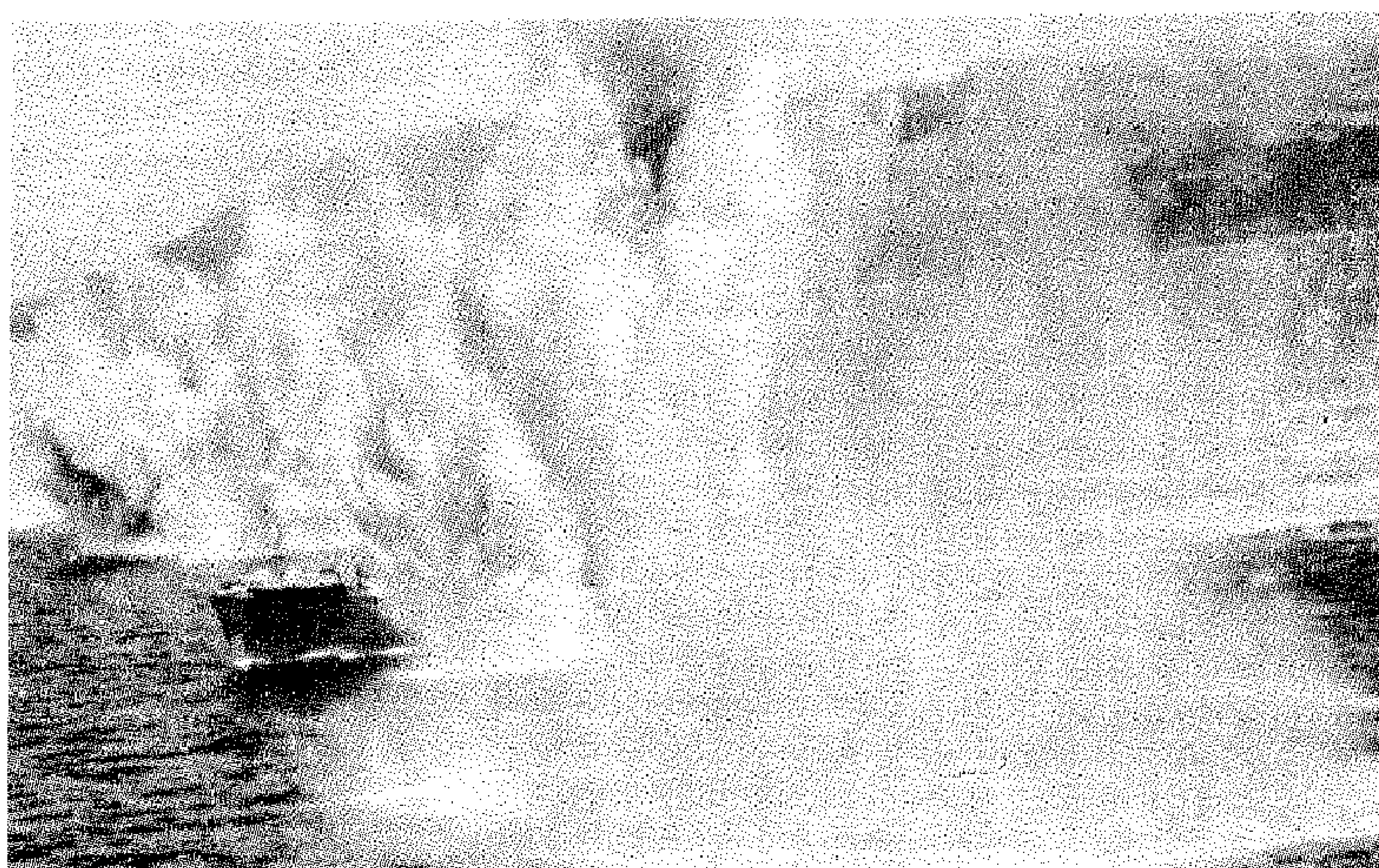
كان يوم ٢٤ حامياً. حاول الأميركيون سحق اسطولي «كوريتا»، و«نيشيمورا» قبل ان يصلا الى المضايق. وأطلق اليابانيون طيرانهم المتمركز في الجزر فسجلوا اول هدف لصالحهم. وفي مطلع الصبيحة تلقت القوة البحرية الأميركية بقيادة الكونتر - اميرال «فريدريك ك. شيرمان» هجوماً عنيفاً شنته ١٥٠ طائرة. وقد تمكنت آخر طائرة من الموجة من اصابة «برنستون» بأحد طوربيداتها، فتصاعد من حاملة الطائرات دفق هائل من دخان، وقد استمرت مكافحة النار لانقاذه حتى المساء. ولكن لم ير اصحابه مفراً من الاجهاز عليه.

إلا ان اليابانيين اصيبوا هم بالخسارة ايضاً. فقد هوجم اسطول «كورتيا» ٥ مرات دون ان تتمكن مدفعيته المضادة للطائرات من التعويض عن طائرات المطاردة التي كان يفتقر اليها. وقد اصيبت معظم سفن الاسطول، ومن جملتها «الياماتو» و«موشاشي» التي اصيبت ١٢ مرة، وظلت مشتعلة طيلة النهار.

في هذا الوقت كان اوزاوا يتابع



• طـائرة امـيركيـة من نوع «ب - ٢٥» تقصف مدمرة يابانية.



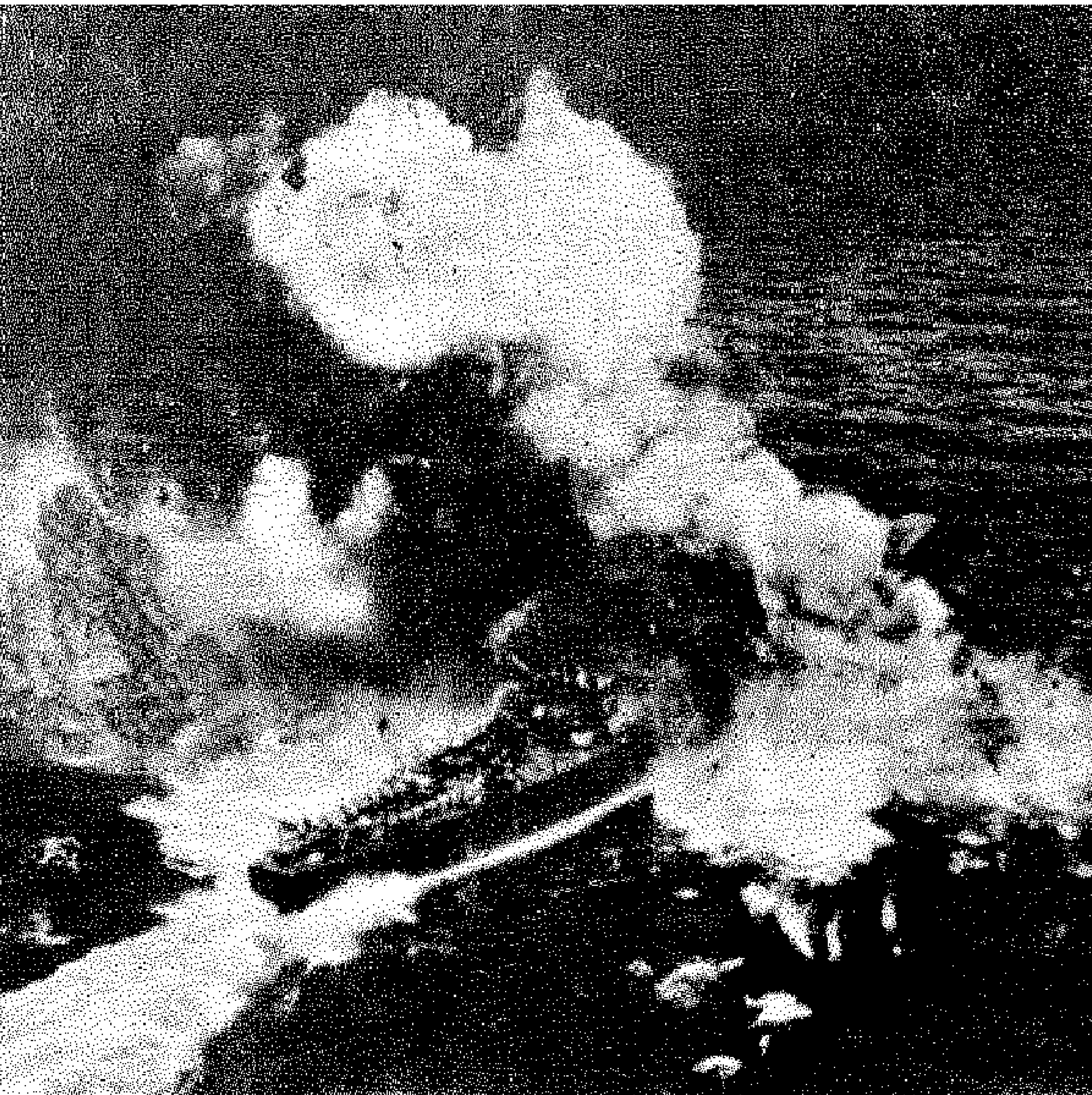
• اصابة سفن يابانية في عرض البحر.

سيره وقد داخله اليأس من عثور العدو عليه، وكان قد أطلق طائراته عسى ان تسدد بعض الضربات، لكنها لم تعثر على هدف واحد. وما ان مال النهار الى نهايته حتى حلقت طائرات استكشاف اميركية فوق الاسطول الياباني. وعلم «اوزاوا» ان العدو قد اكتشف موقعه، وعلم بجارة اوزاوا انه قد قضي عليهم وعلم «هالسي» انه كاد يقع فريسة للمفاجأة. ففيما كان يوجه كل اهتمامه نحو بحر «ميزايا»، وفيما كان يرسل أساطيله لاصطياد اسطولي البوارج والطرادات اللذين كانا مبحرين نحو «سوريغاو» و«سان برنادينو»، كانت قوة العدو الرئيسية تتقدم لطعنه من الخلف. فقد آن الأوان لإزالة هذا الخطر، وما دام العدو راغباً في القتال، فقد وجب اشعال معركة غاية في العنف.

ومع بداية الليل صدرت الأوامر، فتجمعت القوات الثلاث الموجودة امام «سومـــار»، واتجهـــت نحو رأس «انغانو»، وهو الطرف الشمالي لجزيرة «لوسون». كان من المتوقع اكتشاف العدو عند الفجر، ونشوب القتال في مستهل الصبيحة.

لقد ترك ذهاب الاسطول الثالث مضيق «سان برناردينو» مكشوفاً، وكذلك جانباً من الاسطول السابع، فاستبد الذعر في عدد كبير من مرؤوسي هالسي، غير انه لم يجد سبيلاً الى نفس الأميرال، الذي راح طياروه، طوال النهار، يصبون على الأساطيل العتيقة المتجهة نحو المضائق جام ضرباتهم، ملحقين بها خسائر جسيمة دون ان يتكبدوا هم خسائر تذكر.

كان على العدو ان يضمدجراحه، او يعود أدراجه تحت جنح الظلام. كانت ثقة هالسي عظيمة، وكانت تحدوه رغبة ملحة في الخلاص من حاملات الطائرات اليابانية، حتى انه لم يترك ولو مدمرة واحـــدة للحراسة في منفـــذ «سان برناردينو»، كما اهمل اعلام «كينكيد» بأن جانب الاسطول السابع الأيمن سوف يغدو معرضاً، فانقض على اوزاوا لا يلوي على شيء، وذلك وفقاً لمشيئة اوزاوا ورغبة الأركان العامة الامبراطورية.



• المدمرة اليابانية بعد اصابتها اصابات مباشرة.

كاد الرجال يختنقون في قعور السفن في ذلك الليل الشديد الحرارة الذي توقفت فيه كل حركة في خليج ليتي، الا ان سفن قتال الاسطول السابع ما لبثت ان أقلعت باتجاه الجنوب لسد مضيق سوريغاو. وفي الناحية الشمالية كان الأميرال كينكيد هادىء البال، ومقتنعاً بأن هالسي وسفنه الجبارة كانوا ساهرين امام مضيق «سان برناردينو».

تابع الأميرال «نيشيمورا» سيره طوال النهار عبر بحر مندناو، فدخل مضيق سوريغاو عند منتصف الليل دون ان ينتظر سفن الأميرال «شيا» السبع التي كانت في اثره على مسافة نحو من ٣٠ كلم. كان توقيته دقيقاً للغاية بحيث انه سيصل الى خليج ليتي عند الفجر مع كوريتا الذي كان قادماً من الشمال.

وفوق المياه الراقدة القاتمة راحت الأشباح تنقض بأقصى سرعتها، ولم تكن هذه الأشباح سوى قذائف المدفعية اليابانية التي تنطلق عشوائياً بسبب قلة الخبرة الأمر الذي حال دون اصابة اي من سفن العدو البالغ عددها ١٨٠ سفينة. وفي الساعة الثانية بلغ نيشيمورا شطر المضيق الأضيق دون ان تلحق به اي خسارة. وفي ذلك المضيق الواقع بين مندناو وبانيون نشب القتال عنيفاً. وبعد الموجة الأولى انقضت فرقة مدمرات الكابتن «جيسي ب. كاورد» تغير بدورها. ومن الشرق انبثقت ثلاث سفن، فاطلقت ٢٧ طوربيداً، ثم انسحبت وسط المياه الصاخبة التي اثارتها قذائف اليابانيين. وبعد مضي ٨ دقائق سقطت بعض القذائف على «الفوزو»، احدى بارجتي نيشيمورا، فاعطبتها وجنحت الى اليمين.

ومن الغرب انطلق الهجوم الثاني وفي طليعته سفينتا الفرقة الأخريان. ومع اندفاع هذا الهجوم انفجرت مدمرة يابانية، في حين أخذت مدمرة أخرى تغرق فيما بقيت ثالثة الى الوراء تعرج. وتلقت بارجة الأميرال «ياماشيرو» كذلك طوربيداً.

واستؤنفت عمليات العقاب دون هوادة. فشن الكابتن «ماك آرثر» بدوره هجوماً بما لديه من مدمرات كبرى. لم يبق في الميدان سوى ثلاث سفن يابانية هي «ياماشيرو» و«موغامي»، و«شيغورا». وقد تمكنت السفينة الأولى من النجاة من اصابة مباشرة، فاستدارت نحو الشمال، فاذا بها امام سد مثلث يتمثل في بوارج الاسطول السابع الست، وطراداته الثمانية التي بادرت الياماشيرو بنيران كثيفة تطلقها بواسطة الرادار، فردت السفينة اليابانية على النار، ولكن بدون تكافؤ أبداً، الأمر الذي رسم له نهايتها

المحتمة، فما لبثت، بالفعل، ان جنحت وغرقت واضعة حداً نهائياً لمعركة مضيق سوريغاو، التي تعتبر احدى المعارك الثلاث التي تؤلف معركة ليتي البحرية.

في هذه الأثناء كانت معركة رأس «الناتو» تندلع على مسافة ٣٠٠ ميل الى الشمال، لم تتمكن بعض القوى الأميركية من الالتحاق بالمعركة، ولكن القوات التي كانت بامرة الأميرال هالسي ومساعده الأميرال «مارك أ. ميتشر» كانت كافية للقيام بأية مهمة. فهنالك ٦٤ سفينة جديدة هي ٥ حاملات طائرات ثقيلة، و٥ حاملات طائرات خفيفة، و٦ بوارج، وطرادان ثقيلان، وستة طرادات خفيفة، و٤٠ مدمرة و٧٠٠ طائرة. وكانت هذه الكتلة تتقدم بسرعة ٢٥ عقدة في وجه السفن السبع عشرة الغريبة التابعة للأميرال اوزاوا، وفي وجه الطائرات الـ٢٩ التي عادت اليه في الليلة السابقة. لم يكن هنالك مجال للقتال، وانما لمجزرة اكثر منها قتالاً.

قفل اوزاوا عائداً الى الشمال، وفي نيته استدراج العدو الى ابعد نقطة ممكنة. وتعاقبت الغارات ابتداء من الساعة التاسعة فاغرقت الغارة الأولى حاملة الطائرات «شيتوزي»، وأعطبت حاملة الطائرات «زويكاكو». وأصابت الثانية حاملة الطائرات «شييودا» بجروح ثخينة، والحقت الأضرار بالطراد «ثاما». وأجهزت الثالثة على حاملة الطائرات «زويكاكو»، وأحرقت حاملة الطائرات «زويهو»، وأجهزت الرابعة على الزويهو، وأعطبت البارجة المعدلة «ايزي». واقتربت سفن المدفعية لتضيف قذائفها الى القنابل. كان جلياً ان لا شيء يمكن ان ينقذ اسطول اوزاوا من التدمير الكامل الذي ترقبه اميراله وارتضاه.

ومع ذلك فقد حصل العكس، اذ ان المعركة الثالثة من معركة ليتي، وهي معركة سامار، كانت دائرة هي الأخرى. فالأميرال كوريتا كان يتوقع خوض القتال عند وصوله الى مضيق «سان برناردينو»، ولكنه مر من غير ان يطلق مدفعاً من مدافعه، وبعدما أضيئت الأنوار نزولاً عند رغبته. وراح يتقدم بعجلة اذ انه كان قد تأخر ست ساعات، وهو يعلم ان لا حليف له في مغامرته المتهورة غير السرعة.

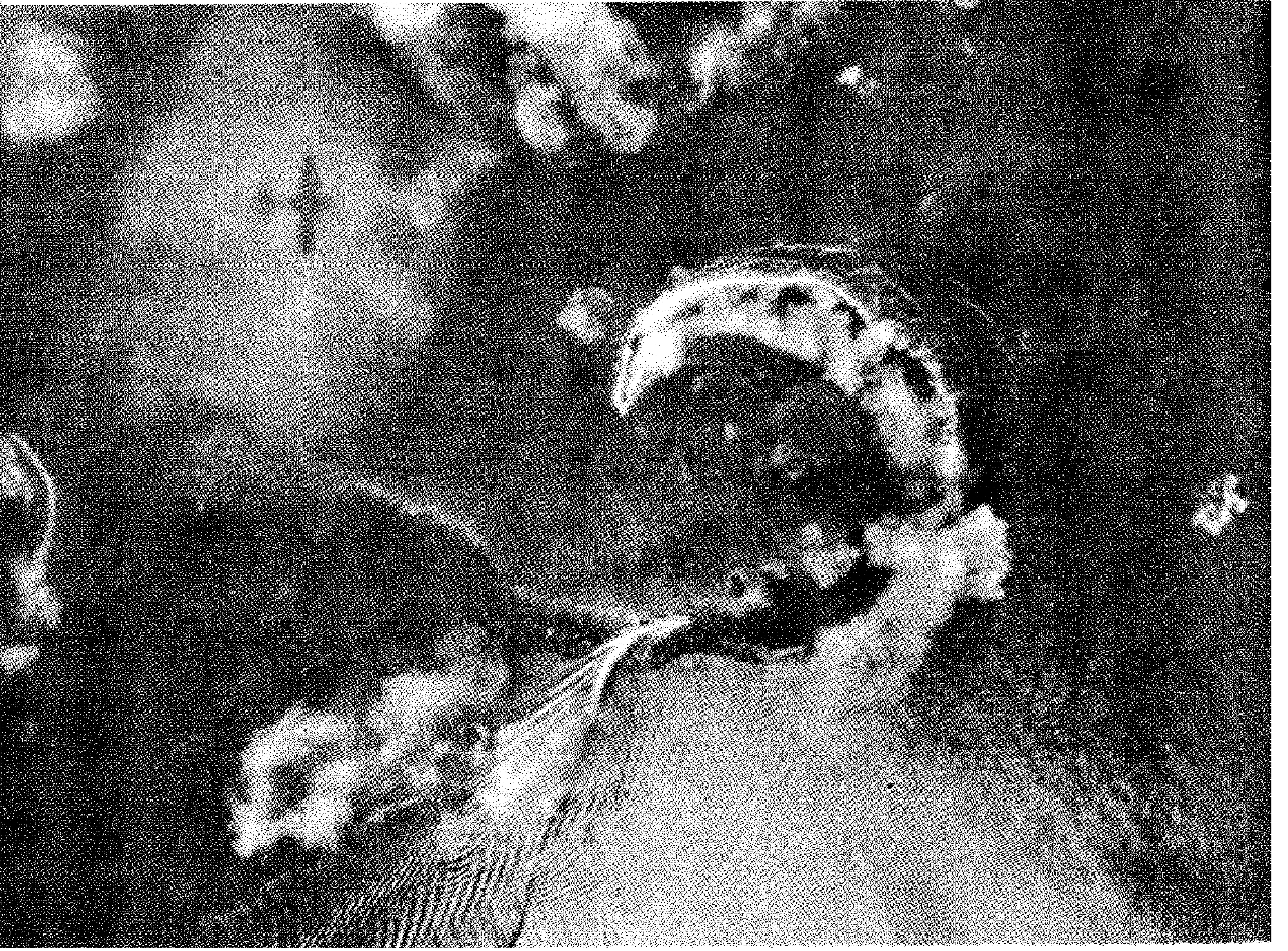
كان البحر هادئاً مع طلوع النهار فنشر كوريتا سفنه ووضع المدمرات الى الجوانب، والطرادات في النسق الأول، والبوارج في رتلين. فكانت «ياماتو» و«ناغوتو» الى اليمين، و«كونغو» و«هارونا» الى اليسار. وفي الساعة السابعة أبصر مراقبو كوريتا حاملات

الطائرات في الأفق ففتح نيرانه على مسافة ٣٢ الف متر.

في الساعة ٦,٤٧ اطلقت طائرة جومائية اميركية تابعة لدورية مضادة للغواصات الانذار عندما اكتشفت اسطولاً عدواً قوياً غربي سامار. فظن الأميرال «كليفتون - سبرنغ»، للوهلة الأولى، ان في الأمر خطأ، وان تلك السفن هي سفن هالسي. ولم يمض ربع ساعة حتى تعرف بنفسه الى السفن اليابانية الكبيرة التي راحت تصب حوله القذائف، فكانت المفاجأة مذهلة، لأن سفن الاسطول السابع الرئيسية التي انتصرت في معركة سوريغاو لا تزال في جنوبي «ليتي»، ولم يكن في مواجهة السفن اليابانية سوى مجموعة «سبرنغ» ومجموعات مماثلة تضم حاملات طائرات مواكبة، ومدمرات، ومدمرات مواكبة، إلا ان حاملات طائرات المواكبة لم تكن في الواقع، سوى سفن تجارية تم تجهيزها لتتسع لنحو ٣٠ طائرة. واما مدمرات المواكبة، التي كانت مصممة لحماية القوافل، فكانت بطيئة لا تتجاوز سرعتها ٢٠ عقدة. وامام هذا الوضع كان بامكان «كوريتا» ان يثأر لهزيمة نيشيمورا وتقهقر اوزاوا، إلا ان الأميركيين برهنوا عن بسالة وحذاقة في القتال دفعت «سبرنغ» الى شن هجوم معاكس متسترا بحجاب كثيف من الدخان، وراحت قاذفاته تكيل للعدو بعدما عززت بقاذفات المجموعتين الأخريين، فاذا بكفتي الخسائر تتعادلان. في الجانب الأميركي أغرقت المدمرتان «هوييل»، و«جونسون»، ومدمرة المواكبة «ساموبل ب. روبرتس» وحاملتي الطائرات «غامبيي» و«سانلو». وتحت وطأة القنابل والطوربيدات الأميركية غرقت الطرادات الثقيلة شوكاي وسوزويا وشيكويا، وأصيب الطرادان «كومانو» و«توني»، والبارجة «كونغو» بجروح. وفي الساعة ٩,٢٥ ترك كوريتا القتال منكفئاً نحو الشمال.

في هذا الوقت وصلت الى الأميرال هالسي استغاثات عديدة من كينكيد واوامر عديدة من نيميتز. فقد طلب منه وحتم عليه ان يعود لنجدة الاسطول السابع الذي كان في مأزق.

انتابت هالسي حيرة شديدة. فقد كان ممسكاً بزمام انتصار يبيد فيه العدو الذي كان يجري امامه. وراحت بوارجه تقترب من السفن اليابانية التي كان بعضها قديم العهد، والبعض الآخر مصاباً بأضرار. وكانت حاملات طائراته مستعدة لاستقبال الموجات التي سددت للتو ضرباتها الأولى، فاكتفى، بادىء الأمر، بان امر القوة التي تضم حاملتي طائرات ثقيلتين، وحاملتين اخريين خفيفتين، بأن تتجه نحو سامار، وبعد



• سفينة يابانية تدور حول نفسها اتقاء لضربات الطائرات.

ذلك، واذ غدت الاستغاثات ملحة، انتهى الى قرار تخلي بوارج الأميرال «لي» الست عن المطاردة، وكذلك حاملات طائرات الأميرال «بوغان» الخمس، وكذلك هالسي نفسه على متن «نيوجرسي» وسحبت هذه السفن جميعها ناحية الجنوب.

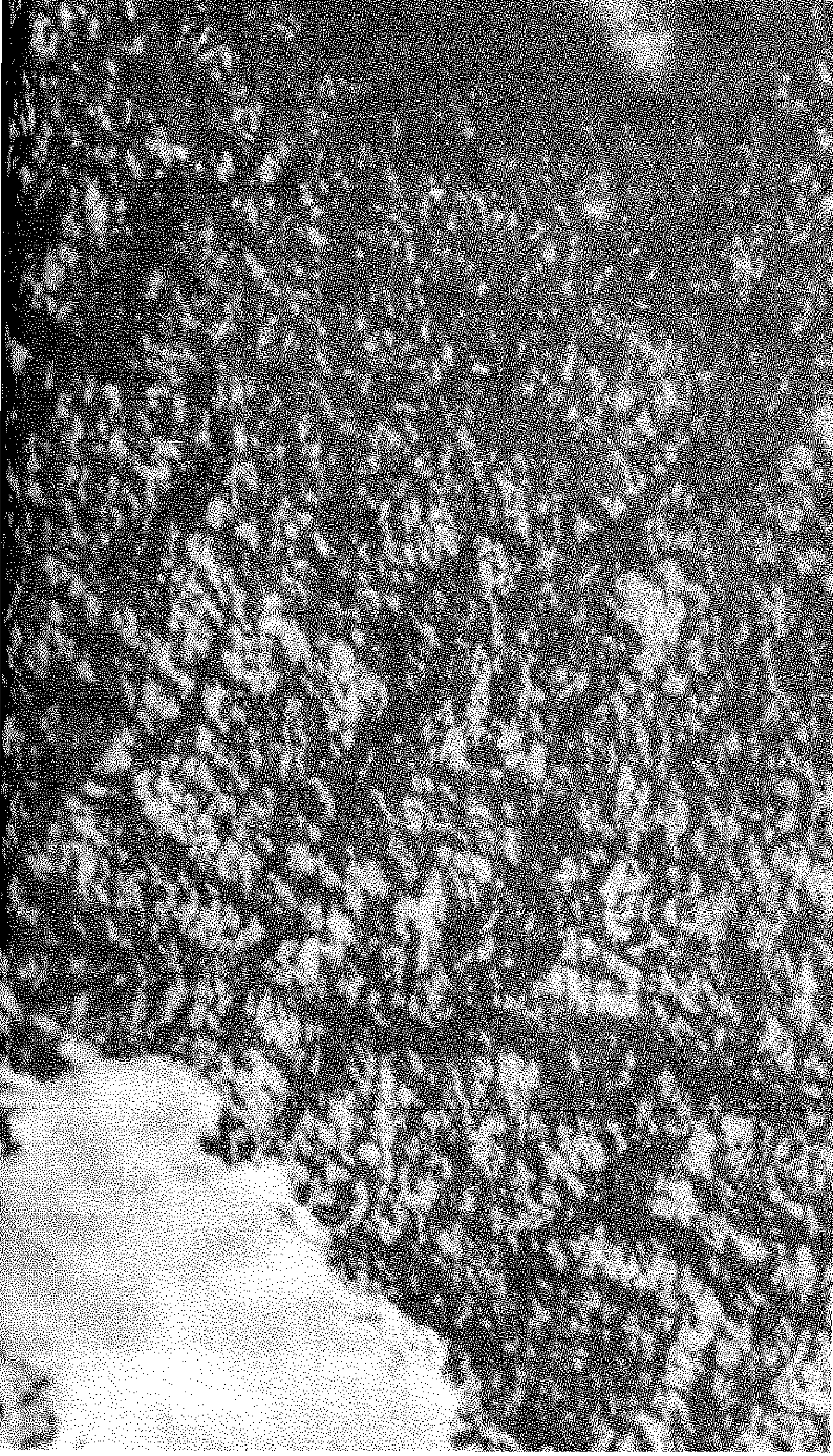
في الساعة ١٧,١٠، وكان وابل القنابل على سفن اوزاوا قد تضاءل، وقع هجوم أخير لم يسبب اية ضحية. واما الأميرال الياباني، الذي نقل رايته الى الطراد الخفيف «اويوتو»، فقد انتابه الذهول اثناء حلول الليل، وهو لا يزال حيا! ولسوف يعيد الى اليابان بارجتيه، فضلاً عن ٨ مدمرات و٣ طرادات.

استطاع كوريتا كذلك النجاة، منقذاً اربعاً من بوارجه الخمس، فاجتاز مضيق «سان برناردينو» من جديد

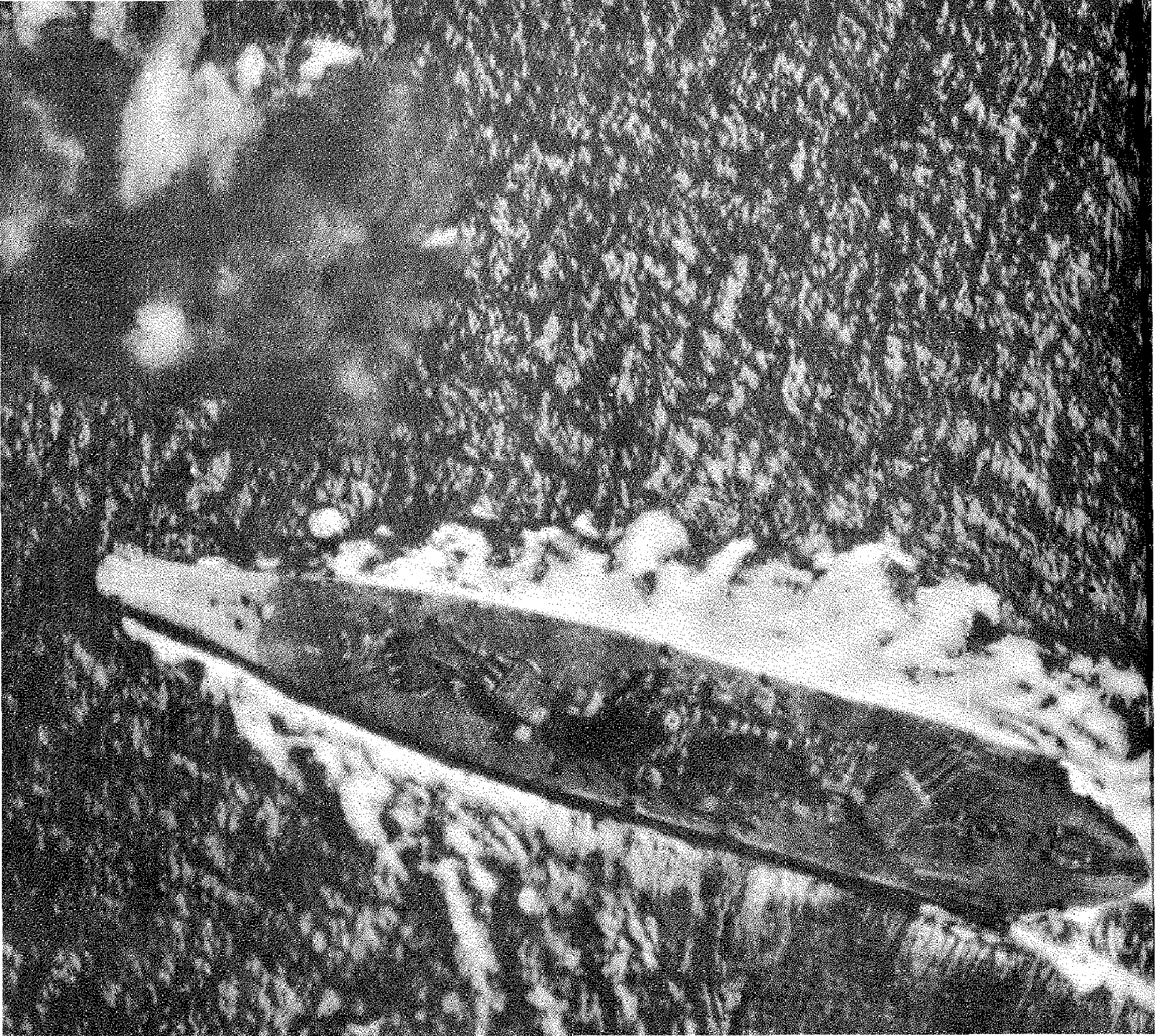
وهو يتقدم هالسي بعشر ساعات. واما التشكيلات الجوية التي سترسل في الغد للبحث عنه فلن تعثر له على أثر.

وهكـــذا كـــان انتصـــار «ليتي» الأميركي منقوصاً. ولكنه الى ذلك يعني الهزيمة النهائية للبحرية اليابانية. فالخسائر التي تكبدتها، وتدمير حاملات طائراتها جميعاً كانت تحظر عليها العود الى عمليات جماعية ومع ذلك فقد بقيت اليـــابـــان تقـــاوم بشراسة، فـــانشىء الجيش ٣٥ في ليتي بقيادة الليوتنان - جنرال «ساساكو سوزوكي». وجاءت قوافل صغيرة من «لوسون» و«سيبو» و«منـــدانـــاو» تحمـــل الامـــدادات الى الجزيرة الـــتي تتعرض للهجوم، وكـــان الاميركيون يأملون في غزو سريع بعد انتصاراتهم الأولية، ولكن ما لبثوا ان وجدوا انفسهم امام حملة قاسية لا بد من خوض غمارها، وقد زادت الرياح الموسمية في قساوتها، فكانت مسيرات مضنية في الوحول، ومعارك قاسية تحت سيول الأمطار.

لم يفقـد اليـابـانيون رباطـة جأشهم حتى في البحر، بل سرعان ما ادخلوا «الكاميكازي»، وهم الفدائيون، الى ساحة المعركة. وأول مأثرة من هذا النوع أقدم عليها الكونتر - اميرال «اريما» الذي ارتمى بطائرته، في ١٥ تشرين الأول، على سفينة اميركية. وبعد



ثمانية أيام أنشأ رئيسه الفيس اميرال «اونيشي»، جهازاً لفدائيي الموت. وفي ٢٧ تشرين الثاني ظهر «الكاميكازي» في خليج ليتي حيث اعطبوا الطراد «مونبولييـه» والبـارجـة «كولورادو». وبعد يومين سددوا ضربة قاضية الى الماريلاند، وقد كان لهذا التطور الياباني المهم تأثير بالغ في نفوس الحلفاء الذين ترسخت لديهم القناعة بأن التغلب على اليابان انما يستلزم ابادة اليابانيين ابادة



• اصابة احدى السفن اليابانية في عرض «كافيينغ».

كاملة، وقد حررت تعليمات الى المراسلين الحربيين تحظر عليهم الاتيان على ذكر الكاميكازي بأي صورة من الصور.

وشيئاً فشيئاً راح الجيش السادس يتقدم في وادي ليتي، مرغماً اليابانيين على التراجع الى وادي «اورموك». وقد اتاح نزول فرقة المشاة ٧٧ الاستيلاء على المرفأ الصغير، الذي كان الموقع الأخير في ايدي اليابانيين. وراحت المقاومة المنظمة تتجسد على الأرض باعتبار ان اليابانيين قد يرفضون الاستسلام بأي شكل من الأشكال، فجرى اجلاء العناصر الممتازة خفية باتجاه الجزر المجاورة، في حين تشتت الآخرون في الجبل حيث واجهوا المصير الأسود، اما قتلاً، واما حرماناً.





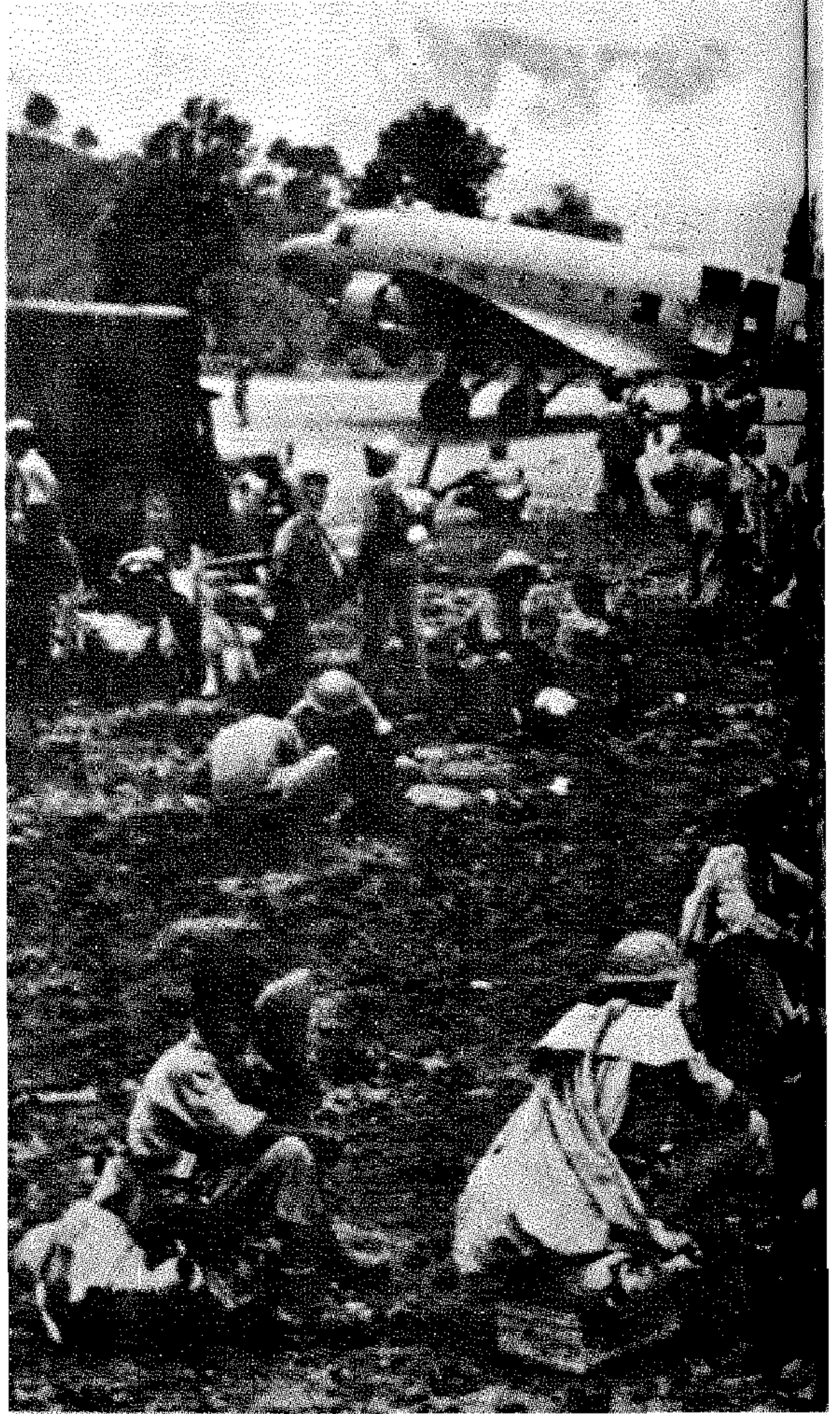
فتح الصين

اثارت «برمانيا» الواقعة بين الهند والصين بعض المسائل الستراتيجية الخطيرة في وجه الحلفاء واليابانيين على السواء. وقد سعى الحلفاء الى احتلالها من اجل إعادة مواصلاتهم البرية مع «تشانغ كاي تشك». وكان على اليابانيين ان يختاروا بين امرين: فاما ان تعتبر برمانيا جانباً دفاعياً بسيطاً، واما ان تعتبر قاعدة هجومية توفر

فرصة اضرام نار الحرب في الهند باشعال ثورة قومية توافق بروز جنودهم على ارضها.

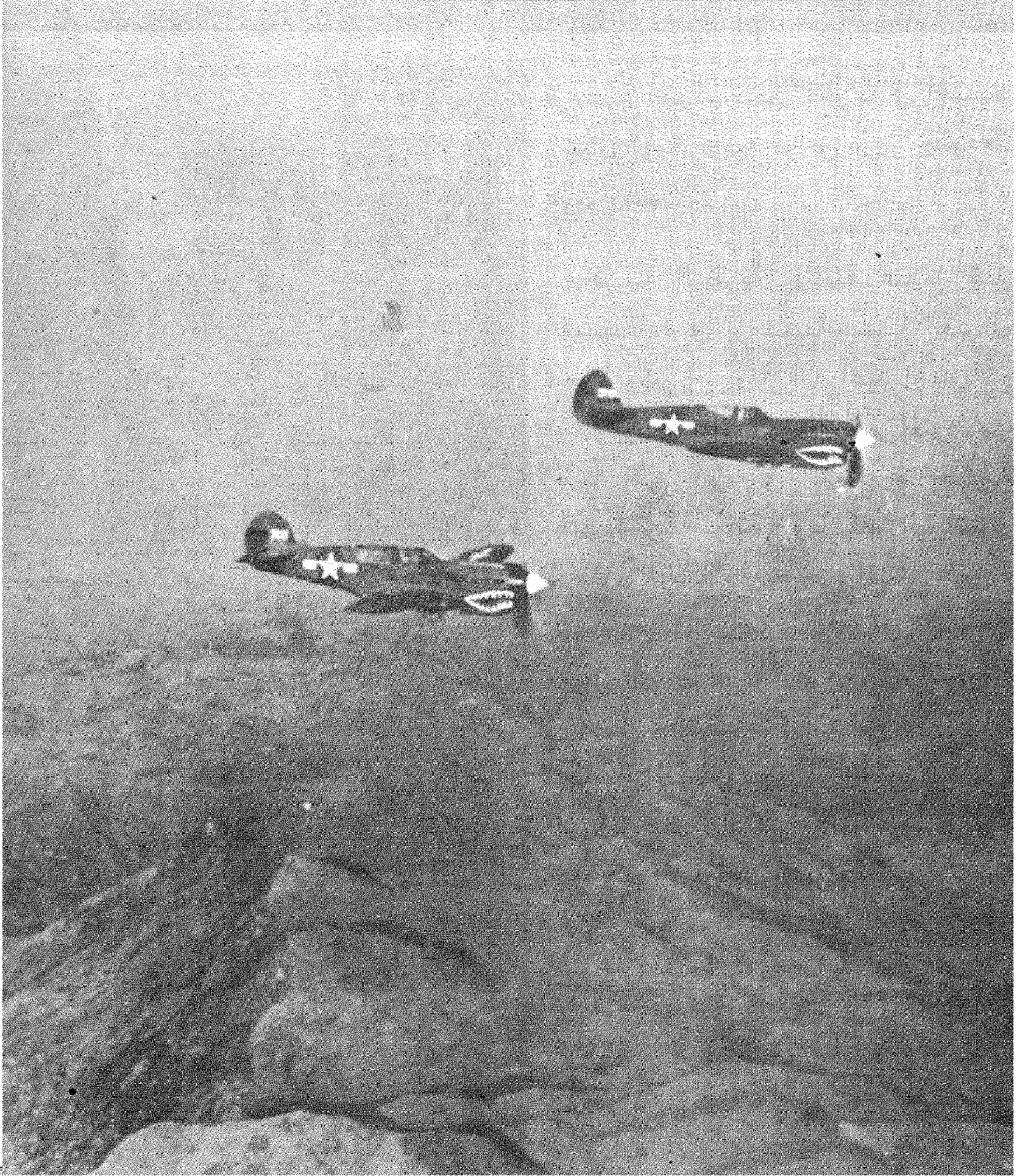
فازت النظرية الثانية عندما تسلم القيادة في برمانيا الجنرال «موتاغوشي». وما ان اعيد «سوباش شندرابوز» ملك السنغال غير المتوج من المانيا حتى اقام في سنغافورة حكومة الهند الحرة الموقتة. وما كاد اليابانيون يدخلون الى «اسام» حتى انتقل «بوز» اليها حيث وجه نداء الى الـ ٤٠٠ مليون هندي داعياً اياهم الى التحرر، وحصل «موتاغوشي» من الأركان العامة الامبراطورية، تحقيقاً لهذا المشروع الضخم، على ثلاث فرق جديدة اتت تعزز فرق الجيش الخامس عشر الخمس.

لم يكن وضع الحلفاء، عسكرياً وسياسياً، مريحاً، بل على العكس من ذلك، كان غاية في التعقيد، فمسرح عمليات جنوب شرق آسيا خاضع لاشراف الانكليز، وقد وضع تحت قيادة الأميرال اللورد «لويس مونتباتن» المقيم في كيبيك. وفيما قدمت بريطانيا القسم الأكبر من القوات البرية (الجيش ١٤ بقيادة الجنرال و.ج. سليم) وطيران القتال، اعتبر جسر «هملايا» الجوي،



• استراحة بعض الجنود البريطانيين والهنود.

• جندي صيني وآخر اميركي.. يركزان قنبلة في المركز الرئيسي ١٤ في الصين.



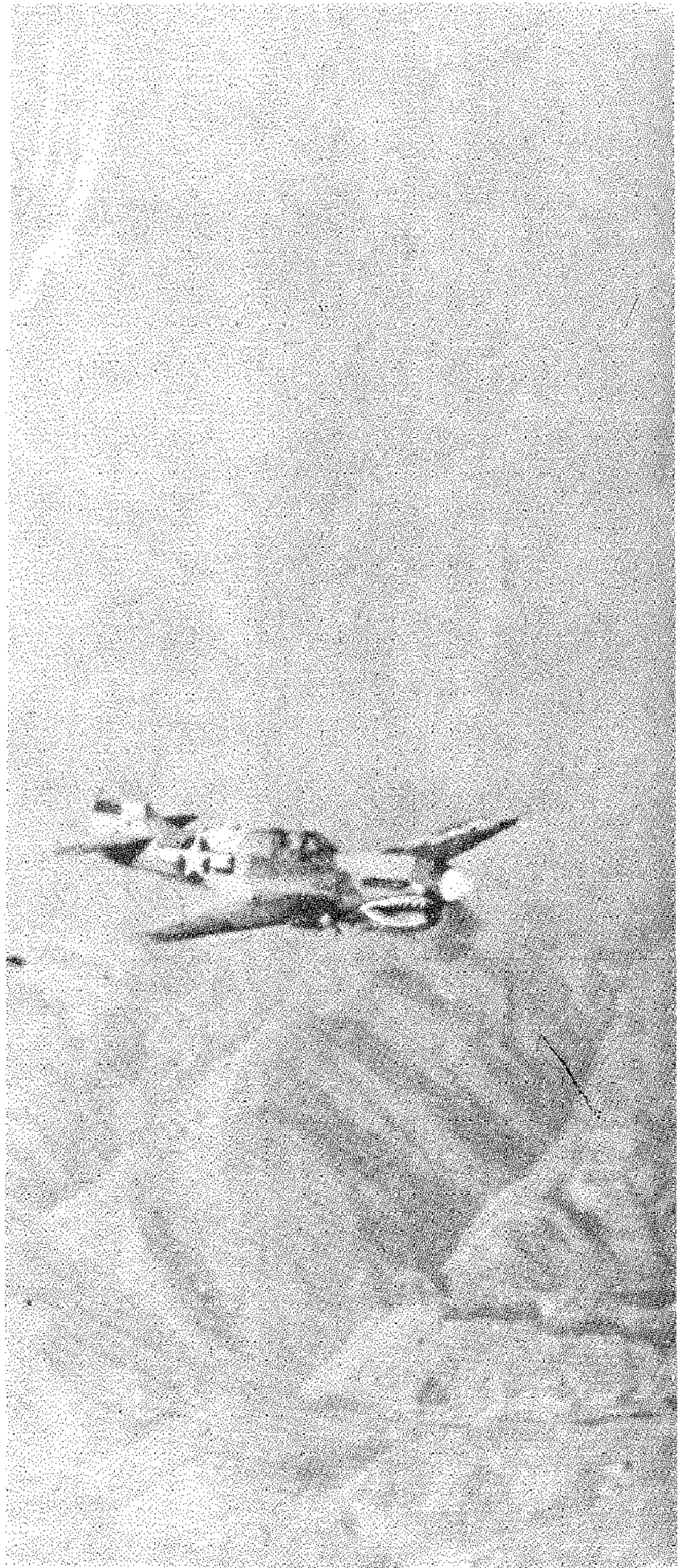
• طائرات حليفة تغير على جنوبي الصين.

وهو الطريق الوحيد لتموين الصين، عملية اميركية جبارة. وسيطر النفوذ الأميركي كذلك في الصين حيث تسلم الجنرال «كلير شينولث» قيادة الطيران الصيني، وحيث قام الجنرال «جوزف

أصعب ميادين الحرب العالمية على الاطلاق.

كانت التقارير الشخصية سيئة فـ «فينيغر جو» قال ان «ستيلويل» جندي قدير ونزيه، ولكنه شديد الحذر، ومن غير الممكن ان يستطيع «تشك» تحمله. ناصبته عصبة «شينولت» العداء، واتهمه انصار الصين في واشنطن بكره الآسيويين والتحيز الى جانب المستعمرين الاوروبيين. غير ان ستيلويل، في الواقع، لا يطيق الانكليز، ولطالما تعمد التجريح بهم كتابة وشفاهة.

تضمن برنامج ١٩٤٤ ثلاث عمليات: اولاً هجوماً يشنه الفيلق البريطاني ١٥ على المنطقة الساحلية، ثانيا حملة يوجهها الفيلق البريطاني الرابع على المنطقة الوسطى، ثالثاً زحفاً على برمانيا العليا تقوم به الفرق الصينية الثلاث التي حشدها ستيلويل بمساندة تشكيلات بريطانية اميركية مختلفة. تشكل العمليتان الأوليان المرحلة الأولى من الزحف على «رانغون» وتهدف الثالثة الى إقامة طريق وانشاء خط للأنابيب يمتدان من «ليدو» ويلتقيان طريق «مندالاي» في ما وراء «لاشيو»، مما سيسمح باقامة صلة برية بالصين لا تنتظر اعادة فتح برمانيا الوسطى، ولكن ذلك كان يفرض النهوض بمجهود



و. ستيلويل» مبدئياً بمهام رئيس اركان «تشانغ كاي تشك» ولقد نشأ من هذا التشابك في الصلاحيات في بلد جبلي، شديد الحر موحش تشابك في القيادة والتنظيم جعل المسرح الصيني البرماني

جبار. اعتبر «مونتباتن» ذلك المشروع خيالياً لا يقبل التحقيق، ولم يسلم به الا نزولاً عند الحاح الأميركيين.

كان اليابانيون أسرع من خصومهم فبادروا بالهجوم على برمانيا السفلى منذ كانون الثاني، وطوقوا الفرقة البريطانية السابعة في جبال «اراكان»، وعندما خيل لـ«سليم» انه قد اعاد الوضع الى نصابه دفع بثلاث فرق نحو سهل «امفال» الواقع في قلب الجبهة، فاحدق الخطر بخط «ليدو» الحديدي، وبوادي «براهما بوترا»، غير ان اليابانيين قد فقدوا الحماسة التي وفرت لهم انتصاراتهم في «جاوا» وماليزيا، وما ان حل حزيران حتى انقشعت غيوم الخطر نهائياً عن الهند، وأعيد فتح سهل «امفال» وطفق الجيش الرابع عشر يدفع بالعدو الى وادي «شيندودين» في غمرة السيول الجارفة.

وفيما دارت هذه المعارك البريطانية في برمانيا الوسطى تقدم ستيلويل على رأس جنوده الصينيين نحو وادي «الاراوادي» الأعلى عبر ٤٥٠ ميلاً من الجبال والأدغال. وفي ١٤ ايار تمت السيطرة على مطار «ميتكينا» الذي يعتبر مفتاح المنطقة. الا ان اليابانيين تشبثوا بالمدينة واوقفوا التقدم نحو الحدود الصينية، وقد استغل مونتباتن الفرصة فاقترح وقف الهجوم عند هذا الحد طالباً بتوفير سبل النقل الجوية للبريغادير «و.د.لنتين» الذي خلف «أ.و.ونغيت» منظم حرب العصابات ضد اليابان، والذي مات قتلاً، وهنا برز خلاف اميركي - بريطاني جديد.



• ميكانيكي اميركي يشرح لجندين صينيين ميزات الـ«ب - ٤٠».



دام النقاش طويلاً، واحتدم الى حد بعيد فيما استنفذت القوات اليابانية قواها، وما لبثت حامية ميتكينا ان استسلمت. وهكذا في مطلع ١٩٤٥ انجزت طريق ليدو. وفي ٢٨ كانون الثاني دخلت القافلة الأولى بلاد الصين دون ان يتمكن «ستيلويل» الذي له الفضل الأكبر في هذا الانتصار من الاحتفال بهذه المناسبة على اعتبار ان «تشانغ كاي تشك» و«مونتباتن» قد

طلبا سحبه، اما «مينيغرجو» فقد سقط نتيجة لتحالف اعدائه. اتصلت طريق ليدو بدخول طائرات «ب ٢٩» الى الميدان، فقد قر رأي رؤساء الأركان على عدم استخدام قاذفات القنابل الضخمة تلك في اوروبا، بل في نطاق المحيط الهادىء وكانت امكانية استخدامها الوحيدة ضد اليابان في مطلع عام ١٩٤٤ تقدم على جعل قاعدتها في الصين. وتحقيقاً لهذا الغرض تم تشكيل الاسطول الجوي العشرين، وجعل تحت قيادة الجنرال «كورتيس لي ماي». فعمدت جماعات من العمال الصينيين الى انشاء مطارات ملائمة في «لوليانغ» و«تشينغتو». وريثما تعود المواصلات البرية الى العمل، كان لا بد من نقل انهر البنزين فوق جبال «حملايا». قامت طائرات «ب - ٢٩» باولى غاراتها على «بانكوك» في الخامس من حزيران، وفي ١٥ حزيران دمرت مصنع «ياماتا» للصلب في اليابان، فكان تدميره ذا اثر بالغ. وفي الشهور التالية قصفت معامل الصلب في منشوريا، والقاعدة البحرية في «سازيبو»، فضلاً عن مدينة «ناغازاكي»، ولكن القواعد الصينية هذه أثارت الجم من الصعوبات، ولم تأت الغارات الجوية على مستوى نفقاتها. ولذا انتقل الاسطول الجوي العشرون الى «الماريان» التي تم احتلالها حديثاً، وحط في «غوام» و«سايبان» و«تيبنيان» حيث غدا على بعد ١٣٠٠ ميل من طوكيو.

• من الشمال الى اليمين: فيلدمارشال سيرجون ديل، شنولت، ارنولد، فينيغر، جوستيلويل وكلايتون. بيسيل، في زيارة لمركز طائرات «النمر الطائر» في «تشانغ كنغ».



هتلر بين الشرق والغرب



• جبهة « الفوج »: جنود وراء رشاشاتهم.



• آلة حديثة المانية مملوءة بالمتفجرات تدفع ناحية العدو تنفجر هناك.

مع مطلع رأس السنة بدأ هجومان المانيان في أوروبا، الأول على الدانوب والآخر على الرين.

ولأربعة أيام خلت كان هذان الهجومان موضع جدل صاخب في مقر القيادة العام. فغوديريان حمل الى هتلر تقديرات رئيس مكتبه الثاني المتعلقة بالجبهة الشرقية، وقد قدّر التفوق العددي الروسي بنسبة ٧ مقابل ١ للدبابات و١١ مقابل ١ للمشاة، و٢٠ مقابل ١ للمدفعية، وعندما تهدد قوات بهذا الحجم المقاطعات الشرقية لألمانيا، وعندما يكون الهجوم الروسي العام وشيك الوقوع، فهل من المنطقي القيام بعملية ثانوية في الغرب؟ وهل يعقل أيضاً الدفاع عن بودابست بأي ثمن؟ أليس من الأجدى أن تلقى القوات التي بقيت متوافرة في ألمانيا امام روسيا وبرلين، ثم التفاوض مع الأميركيين والانكليز اذا كان هناك سبيل الى ذلك؟.

كانت ردة فعل هتلر كالعادة، سيلاً من الغضب قائلاً ان الروس يخدعون المكتب الثاني الألماني، علماً بأن الجبهة الشرقية لا تزال على الفيستول في حين ان الجبهة العربية متاخمة للرين. ولهذا السبب ابقى هتلر على هجوم الالزاس المعاكس الذي سوف يلحق بالعدو ضربة عنيفة.

في المجر كان الوضع يزداد سوءاً منذ الخريف. وفي ٢٩ تشرين الأول تقدم مالينوفسكي حتى ضاحية بودابست. وبعد ذلك بأيام تمكن تولبوخين من إحداث ثغرة في جنوبي العاصمة، ومن ثم انتقل المجهود الروسي الى الجنوب. وتم عبور الدانوب على جبهة واسعة، ووجدت مجموعة الجنرال «فريتيدبيكو» نفسها ملقاة على موقع «مارغاريتين». كان هتلر قد أحل «فوهلر» محل «فرينيد» على رأس مجموعة جيوش



• عائلات الجنود السوفيات الذين قتلهم الألمان تتفقد جثثهم.

الجنوب، الا أن تبديل الأشخاص لم يحل دون الهجوم السوفياتي في ١٩ كانون الأول بشكله الجامح، فجبهة اوكرانيا الثالثة قد خرقت موقع « مارغاريتين » وارهقت الجيش السادس، وجبهة اوكرانيا الثانية ارهقت الجيش الثامن وبلغت الدانوب، فغدت بودابست محاصرة. وقد عين الفوهرر « فنكلمان » قائداً للمدينة آمراً بالدفاع عنها بيتاً بيتاً، وداعياً السكان الى مقاتلة البولشفيين، لكن المجريين سرعان ما رفعوا الراية البيضاء، بل أكثر من ذلك فإن عمال ميسكولك قاتلوا الى جانب الروس. وفي ٢٣ كانون الأول، وهو يوم الحصار، كانت المدينة تعيش وكأنها في حالة سلم.

لكن هتلر قرر الدفاع عن المجر رغماً عنها باعتبارها « حصن فيينا » على حد قوله، وباعتبارها المصدر البترولي الوحيد الباقي للرايخ، ولهذا السبب سيشن هجوم معاكس لفك الحصار عن المدينة يقوم به فيلق الصاعقة المصفح القادم من بروسيا الشرقية، الا أن غوديريان اعترض على ذلك، فما كان من هتلر الا أن ربت على كتف قائد أركانه العامة قائلاً: « يا عزيزي

الكولونيل – جنرال، أنا لا أعتقد بأن الروس سيهاجمون على الاطلاق. صدقني انها لخدعة كبيرة. وأنا مقتنع بأنه لن يحدث شيء في الشرق».

لم يكن الهجوم الالماني الذي بدأ في الالزاس ليلة رأس السنة مقلقاً للأركان العامة الحليفة لكون الفرق القائمة به سيئة التغذية والتزويد، وقليلة العدد، وغير جديرة بالتالي بتحويل القيادة الاميركية عن العملية التي كانت تستأنفها لنزع الثؤلول من جذوره، تلك التي ابقى عليها تراجع مودل المحدود في الاردين. وكان كل تقدم، وكل تهديد يحيق بثغرة سافيرن وطريق «نانسي – ستراسبورغ» يضعان الفيلق الاميركي السادس في خطر شديد. وبموجب هذه الاعتبارات اتخذ ايزنهاور القرار الحكيم القاضي بإخلاء الالزاس ونقل جبهة مجموعة الجيوش ٦ الى قمم «الفوج».

كانت مغانم الهجوم في اليومين الأولين متواضعة نوعاً ما. ولم يكن قائد مجموعة الجيوش قد غادر «لونيفيل» بعد، عندما وصلت اوامر جديدة من القيادة الحليفة العليا تقضي بوقف التراجع والدفاع عن ستراسبورغ. يجب على الفيلق السادس ان يتشبث بخط «ماجينو»، ولسوف يشن الفيلق الخامس عشر هجوماً معاكساً لدفع العدو الى غربي الفوج. فالالزاس وستراسبورغ اللتان تقرر التخلي عنهما منذ فترة قصيرة غدتا رهاب معركة حاسمة، وكان ديغول هو صانع هذا الانقلاب. فعلى اثر وقوفه على ثبات القيادة الحليفة العليا ابرق الى روزفلت وتشرشل رافضاً التخلي عن الالزاس، وآمراً «دي لاتر» بالدفاع عن ستراسبورغ. وكان تشرشل قد عاد من اثينا حيث أمضى ميلاداً سيئاً، وهو يحاول ايقاف القتال الدامي الذي اثارته «ويلاس»، فهرع الى فرساي ودخل مكتب ايزنهاور في الوقت الذي كان هذا الأخير يستقبل رئيس الحكومة الفرنسية الموقتة. لم يشترك في النقاش، ولكنه كان قد أبدى رأيه لأيزنهاور فيما خص مسألة التخلي عن ستراسبورغ، وهو الرأي الرافض.

لم يجد «ايك» صعوبة في تعليل قراره من الوجهة العسكرية الا ان ديغول اجابه بأنه سوف يدافع عن ستراسبورغ مهما كلف الأمر وحتى لو أن القوات الفرنسية استقلت عن القيادة الحليفة، فرد «ايك» بأن كلمة واحدة منه تكفي لحرمان القوات الفرنسية من كل رصاصة وكل ليتر وقود، فأجاب ديغول بأن فرنسا في سخطها كانت كفيلة بأن تحرم الحلفاء من استعمال السكك الحديدية والمخابرات التي لا غنى للعمليات عنها. كان التهديد مفرطاً، لكنه أثر في نفس ايزنهاور الذي كان

شديد الحرص على تفادي أي صعوبة تطرأ في مؤخراته، فما كان منه الا أن اصدر تعليمات فورية لـ «ريفيرز» تقضي بأن يقتصر التراجع على اخلاء النواتىء التي يتعذر الدفاع عنها ولكي تمسك ستراسبورغ بحزم.

وفيما كانت العاصفة تهدأ كان ديغول يغادر مكتب ايزنهاور قائلاً: «ولقد افترقنا صديقين حميمين»، اما «ايك» فقال: «لقد انصرف مرح الطباع، وهو يعبر عن ثقته اللامتناهية في مؤهلاتي العسكرية».

في يوم ٣ كانون الثاني نفسه بدأ الهجوم العام الحليف على الاردين. الجيش الاميركي الأول بقيادة مونتغمري شن هجوماً على جانب الناتئة الأيمن، وهو يستهدف «هوفاليز» بالفيلقين السابع والثامن عشر. وشد الجيش الثالث مجهوده باتجاه باستون وسانت هوبير بالفيلقين الثالث والثامن، وحصرت غزارة الثلج القتال في الطرقات، وآزرت الدفاع بجدها من تحركات النواتىء. وراح هتلر يتدخل يومياً لكي تخرج مجموعة الجيوش «ب» من موقعها الدفاعي، ولكي تستعيد المبادرة في العمليات، لكن مودل أصر على أن القوات الألمانية لا يمكنها الا تتبنى موقف الدفاع لأسباب عديدة، وهكذا راحت شعبتا الكلابة الاميركية تنطبقان ببطء.

في فرنسا اخفقت المحاولة الألمانية لسد ثغرة «سافيرن» بواسطة تقدم غربي «الفوج» في حين استعاد الاميركيون «فنجن». ومع الاخفاق الالماني تبدل وجه معركة الالزاس، فعدل هتلر مخططه على اساس ان جوهر العمليات لن يجري غربي الفوج، بل شرقيها. ولسوف ينطلق هجوم الجيش الأول من منطقة «فيسمبور» ويوجه نحو «فاسولون» و«هولشيم». ولسوف يهاجم الجيش ١٩ للالتقاء به عبر «ارنشتاين».

واما فرقة رماة الشعب ٥٥٣، التي ستعبر الرين بالقرب من «ماغونو» فلسوف تكون بمثابة رباط بين المجهودين. وستراسبورغ التي كانت خارجة عن نطاق المعركة في المخطط الاولي قد غدت، والحالة هذه، قلب المعركة. ومع ذلك فقد اوضح الفوهرر بأن هدف المدينة هذه لم يتبدل. فجل ما في الأمر هو أن يتم الاستيلاء على ثغرة «سافيرن» من الشرق ومن الغرب على السواء، وإبادة قوات العدو بين الفوج والرين.

لقد تم عبور فرقة رماة الشعب ٥٥٣ النهر في ٥ كانون الثاني ثم تمكنت من انتزاع قرية «غامبشيم» من فرقة المشاة الاميركية ٤٢ التي أبعدت حتى حواشي «بيشويلر». ومن ناحية ستراسبورغ

كـان رأس الجسر ممتـداً حـتى منتزه « الفانتزيناو ».

كان الدفاع عن المدينة قد انتقل من الجيش الاميركي السابع الى الجيش الفرنسي الاول. وكلف « دي لاتر » بهذا الدفاع وحدته الكبيرة الوحيدة المتوافرة لديه، وهي فرقة المشاة الجزائرية الثالثة التي كانت قادمة من الفوج العليا وهي تترنح فوق جليد الطرقات. فكان عليها ان تسهر على قطاع من ٣٠ كلم بين رأس جسر « غامبشيم، وارنشتاين » فضلاً عن ستراسبورغ. وإلى يمينها كانت الفرقة الفرنسية الخفيفة الأولى تحتل ضفاف الرين حتى « رينو »، وكذلك جيب « كولمار » حتى « سيليستا ». لقد كان ديغول مصيباً عندما قال انه لا يجوز التخلي عن ستراسبورغ، ولم يكن ايزنهاور مخطئاً عندما أكد ان الفن العسكري كان يملي هذا التخلي.

بدأ الهجوم في ٧ كانون الثاني شمالي ستراسبورغ وجنوبيها. والى الجنوب قامت فرقة المشاة الالمانية ١٩٨ يساندها لواء صاعقة مصفح بإلقاء الفرقة الفرنسية الخفيفة الاولى على « الرين »، وشقت لها طريقاً حتى « ارنشتاين » وأتى الهجوم الرئيسي من الشمال فاشتركت فيه ٧ فرق، منها ثلاث مصفحة، الا ان فرق المشاة كانت مرهقة، وكانت الفرق الألمانية المصفحة مقتصرة على حفنة دبابات.

• دارت رحى القتال شمالي غابة « هاغونو » فكان ان تحملت فرقتا المشاة الاميركية ١٤ و٧٩ الصدمة. وكانت قرى « بول » و« هاتن » و« ريتيرشوفن » مسرحاً لمعارك طاحنة. وفي ٩ كانون الثاني اعترف الجيش الالماني بأنه على الرمق الأخير بسبب افتقاره الى الذخيرة والمشاة.

ورفض هتلر الاذعان للأمر الواقع فاكتفى بتحويل محور الهجوم الى الشرق اكثر مما كان. وانحصرت المعركة في سهل الرين، وعاد الجيش ١٩ الى ممارسة جهوده، والتحم الجيش الأول بجيب « غامبشيم ». في الواقع كانت عملية الالزاس قد فقدت كل مغزى جماعي، اذ غدا محالاً تدمير جزء هام من القوات الحليفة. وأما الكسب الوحيد الذي كان بمتناول امل هتلر فهو صوت نفير يقوي المعنويات الالمانية باعلانه استعادة ستراسبورغ.

كان ٩ كانون الثاني يوم عاصفة في « زيغنبرغ ». كان غوديريان عائداً لتوه من جولة في الجبهة الشرقية، وهو موقن ان شن الهجوم السوفياتي الكبير كان رهن ساعات. وأجاب هتلر بأن هذه الفكرة سخيفة للغاية. وبأنه يجب وضع « غهلن » رئيس المكتب الثاني، في مصح



• في ممر «دانتزيغ».. المدفعية السوفياتية الثقيلة.

للأمراض العقلية. ورد غوديريان بقوله: «ضعني انا فيه كذلك، لأن وجهة نظره هي وجهة نظري بالذات». واستمر هتلر في الإصرار على عدم التخلي عن المبادرة في الغرب، الا أنه تنازل لغوديريان بسحب جيش الصاعقة السادس من الاردين ليعاد اكماله قبل نقله الى الشرق.

لم يخرج اليومان اللاحقان عن نطاق الحرب الروتينية. فهناك ٧٠ ألف رجل من بينهم ٣٣ ألف الماني، كانوا محاصرين في بودابست ينقل الامداد اليهم بواسطة المظلات، وهم ينتظرون بقلق شديد انطلاق الهجوم الكفيل بتحريرهم. واما ما تبقى من الجبهة الشرقية فقد بقي في سباته. كانت العمليات في الالزاس في نقطة موات. وفي الاردين اسهم نهائياً انصراف فرق الصاعقة في جعل الوضع الالماني جحيماً لا يطاق. واستولى الفيلق البريطاني ٣٠ على «لاروش»، واستولى الجيش الاميركي الاول على «بيهان»، والجيش الاميركي الثالث على سانت - هوبير. ولم تبق هوفاليز الا على بعد نحو ١٠ كيلومترات، وهي نقطة التقاء الجهود الحليفة. كان الجنرالات يطمحون جميعاً الى الانكفاء وراء خط سيغفريد. ولم يقف روندشتاو عند هذا الحد، بل قدم في مذكرة رفضها الى القيادة الحربية الالمانية العليا، اقتراحاً بالإنسحاب الى ضفة الرين اليمنى، لكن هتلر رفض المذكرة بغضب بالغ، وما لبث ان أصدر أمراً يقضي بالدفاع عن الأرض شبراً شبراً.

* * *

ما من أحد على الجبهة الشرقية كان يفكر تفكير هتلر ويقول انه من البلاهة الاعتقاد بأن هجوماً وشيك الوقوع. فثمة دلائل كثيرة تثبت ان الروس



يقومون بمحركات نقل ضخمة، وأن الاصطدام بات قريباً. فمجموعة الشمال المطوقة براً والممونة بحراً، والخاضعة لإمرة الكولونيل - جنرال «شورنر»، بجيشيها الـ١٦ و١٨، وفرقها الـ٢٢، متشبثة ببلدان البطليق، وعبثا تبذل المحاولات لحمل هتلر على اصدار أمره بالجلاء عنها طالما ان الظرف يسمح بذلك، وتعود الجبهة الالمانية لتستأنف امتدادها على «النييمن»، معتمدة على مجموعة الوسط الخاضعة لقيادة الكولونيل - جنرال «راينهارد»، والمشتملة على جيش الدبابات الثالث، والجيشين الثاني والرابع، وتتلو ذلك بالقرب من فرصوفيا المجموعة «أ» يقودها الكولونيل - جنرال «هاربي» فتضم فضلاً عن الجيش الأول، فرق الدبابات ٤ و٩ و١٧، وتمتد بعد ذلك مجموعة الجنوب عبر «سلوفاكيا» و«المجر» بقيادة الكولونيل - جنرال «فوهلر»، فتتصل على «الدراف» بمسرح العمليات الجنوبية الشرقية التي تدافع بقيادة المارشال كيسلرنغ عن «كرواتيا» وايطاليا الشمالية.

تركزت الجبهة منذ الخريف فماشت على وجه التقريب حدود بروسيا الشرقية حتى الناريف، ثم جرت بمحاذاة



• بعض الجنود الفرنسيون يقفون خلف الجدار اتقاء لنيران العدو.

• جنود وناقلات جند في ثلوج ضواحي مدينة « دييريون ».

الناريف حتى نقطة التقائه بالفيستول، وتبعت الفيستول حتى نقطة التقائه بالفيسلوكا، فالفيسلوكا حتى الكربات. وقد قلل من قيمة خطوط الماء الدفاعية التجمد العميق الكثيف، ورؤوس الجسور التي احتفظ بها الروس بالرغم من المحاولات الالمانية التي بذلت لاخضاعها. شملت الجيوش عدداً من الفرق يراوح بين ٥ و ١١ وقامت قوات الاحتياط العامة على ١٢ فرقة متحركة بين مصفحة وآلية، لفت انتباه الفوهرر الى ضآلتها ازاء جبهة تمتد مسافة ٧٠٠ كلم وتهددها تكتلات معادية ضخمة، ولكن هتلر اجاب بأن على الجبهة الشرقية ان تصمد، أما غوديريان فقد تنبأ بانهيار هذه الجبهة « انهيار قصر من الورق ».

بدأ الزحف الروسي في ١٢ كانون الثاني منطلقاً من رأس جسر « بارانوف » في شمالي شرقي كراكوفيا، وقد تولت امره جبهة اوكرانيا الأولى الواقعة تحت أمرة المارشال « كونييف »، وما ان حل مساء اليوم الأول حتى بلغت المصفحات الروسية نقاطاً تقع على بعد ٢٥ كلم من خطوط الانطلاق. وفي الغد تحركت جبهة روسيا البيضاء الاولى بقيادة المارشال « جوكوف »

انطلاقاً من رأسي جسر «بولافي» و«مغنوزيف» جنوبي فرصوفيا. وامتد الزحف في اليوم التالي الى جبهتي روسيا البيضاء الثانية والثالثة يقودها المارشالان «روكوسوفسكي» و«تشيريناكوفسكي» وفيما برز الأول من رأس جسر «بولستوسك» على «الناريف»، ومضى باتجاه «دانتزيغ»، هاجم الثاني بروسيا الشرقية، وما لبثت جبهتا البطليق الأولى وأوكرانيا الرابعة ان بسطتا الزحف الى الجناحين، فاتجهت الاولى شطر «كونيغزبرغ»، ويممت الثانية شطر «راتيبور». لقد زج الإتحاد السوفياتي بقواته كلها في المعركة، فإذا هي خليط لا يوصف اجتمعت فيه دبابات «جوزف ستالين»، احدث الدبابات في العالم، بشراذم وجماعات آسيوية كادت تكون بلا سلاح.

جاءت ردة الفعل الالمانية غاية في الضعف، فلم تهيأ اي مناورة معاكسة جماعية، أما قوات الاحتياط التي أمر هتلر بابقائها قريبة جداً من الجبهة، فقد تكلت بها توطئة المدفعية، أو فككت اوصالها سرعة التقدم الروسي، شُطر الفيلق المصفح ٢٤ شطرين بالقرب من «كيلس»، ثم عاد فالتأم بفضل عزيمة قائده «فالترنهرينغ»، وراح يتقهقر وسط حشود الاعداء، جامعاً حوله عناصر ممزقة من جيش الدبابات الرابع والجيش التاسع. وسحب هتلر فيلق المانيا الكبرى المصفح الذي يقوده الجنرال «سوكن» من بروسيا الشرقية ليزج به في منطقة «بوزان»، واذ قضى عدة أيام في القطار تمّ احتلال منطقة نزوله وكاد لولا القليل، يقع في قبضة العدو: عبثاً نبحث عن فكرة موجهة ليعتمدها الدفاع الالماني، فلا نجد سوى معارك متفككة وجهوداً لا رابط بينها تحاول الصمود في وجه امواج صاخبة مندفعة تزج بمياهها في فجوات السدود المتصدعة.

في ١٤ كانون الثاني تقدم الروس على طول الخط الممتد من البلطيق الى الكربات. وفي ١٥ استولى جوكوف على «كيلس». وفي ١٦ استولى على «رادوم». وفي هذا اليوم بالذات اصدر هتلر الامر بوقف حركات الهجوم في الغرب، وعاد الى برلين حيث توارى الى الابد في معقل المستشارية الجديدة. وفي اليوم ذاته علم غوديريان ان جيش الدبابات السادس الصاعق الذي تم سحبه من الاردين لم يوجه نحو الاودير، بل نحو الدانوب ليسهم في معركة بودابست. فصعق للأمر. وفي هذا اليوم بالذات حل شورنر محل هاربي كبش المحرقة على رأس المجموعة «أ». وفي اليوم التالي، استولت جبهة اوكرانيا

الأولى على شيستوكوفا، وطوقت جبهة روسيا البيضاء الاولى مدينة فرصوفيا. ونتيجة لخطأ سببه قطع خطوط المواصلات نقل خبر سقوط المدينة الى هتلر قبل أوانه، فظن ان هناك عملية تحريف مقصودة، فأمر الغستابو باعتقال «الكولونيل بونين» وضابطين من فصيلة العمليات، مهدداً بتحطيم زمرة مثقفي ٢٠ تموز، أي هيئة الأركان العامة. سقطت «لودز» و«كراكوفيا» في ١٩، و«تيليست» في ٢٠، ثم «غومبينن» و«تانبرغ» في ٢١، فأمر «راينهارد» بنسف نصب المارشال «هايدنبرغ» ونقل نعشه ونعش زوجه الى برلين.

كانت بولونيا الغربية قد ضمت سابقاً الى المانيا وقسمت قطاعين: بروسيا الغربية ومركزها «دانتزيغ»، و«مارتا» ومركزها «بوزيف»، وأعيدت إليها الأقليات ذات الاصل الالماني التي اجتثت منها عام ١٩٣٩ - ١٩٤٠، عقب تحالف هتلر وستالين: وهي جموع من الاشراف والفلاحين القادمين من أراضي الاستعمار الجرماني القديمة، أي «كورلاند» و«ليفونيا» و«غاليسيا»، و«ترانسلفانيا». لقد أعادوا بناء منازلهم واستنبتوا الأرض ثلاثة مواسم أو أربعة. أما الآن فقد انقضت فترة الاستراحة: عاد الروس ولم يبق امامهم الا الرحيل.

الرحيل؟ يا للمفاجأة! ففي اليوم الذي بدأت فيه الجبهة الالمانية بالانهيار، جمع «الفردنومان»، وزير الدعاية المساعد، السلطات في «بوزين»، وراح يبين لهم ان خطوط الفيستول كالفولاذ صلابة. وان المعركة التي دارت رحاها لا بد من ان تنتهي باستئناف المسيرة الالمانية الى موسكو. ورجع المسؤولون اصداء هذه الكلمات الرسمية. قائلين للسكان ان ليس ما يدعوهم الى مغادرة منازلهم. نام الكثيرون على حرير هذا التطمين، ليستفيقوا على هدير مصفحات تملأ شارع القرية، ما لبثوا ان تبينوا انها ليست المانية! وفر الباقون في اللحظة الأخيرة عندما أيدت الصرخة غير المعقولة: «وصل الروس»! موجات الفارين الاولى.

يا له من جلاء رهيب! انه يعلن بدء انهيار بشري سيفوق حجماً وفظاعة كل ما سببته الحرب من تحركات بين السكان في الغرب. فالثلوج تغطي الطرقات، وميزان الحرارة يشير الى الدرجة العشرين تحت الصفر، أما وسائل النقل فقوامها بعض عربات ريفية تجرها ثيران وخيول سيستحيل اطعامها بعد فترة وجيزة.

لقد زادت حالة العطش سوءاً في الاسبوع الاخير من كانون الثاني حتى لقد قيل ان ما تساقط من الثلج كان

أكثر ما عرفه القرن بأسره، وجرفت الجداول أثقل العربات، ففكر البعض بتحطيم جليد الاودير لتعاد الى النهر قيمتـه كحاجز. ولما استدعي عالم الاحوال الجوية الى معقل الفوهرر اثبت ان الفكرة غير ممكنة، وغير ذات جدوى. واستمرت المعركة في الزمهرير، ولم تكن في ظروف كثيرة غير فرار مضنك أمام عدو زاحف تعوقه مناسف الثلج أكثر مما تعوقه اسلحة الجيش الالماني.

لم يتسلم «شورنر» قيادة مجموعة الجيوش «أ» فعلياً الا في ٢٠ كانون الثاني، وقد رفع شعار «القوة عن طريق الذعر» وكان هذا القائد بافاريا من أصل وضيع يكره الارستقراطية البروسية، ويؤمن بهتلر الى حد كبير، وبالنظر الى ايمانه هذا أوكلت إليه مهمة انقاذ «سيليزيا»، مستودع أسلحة الرايخ الثالث.

وفي الوقت الذي كان الدمار يبسط ظله على الرور والسار كانت سيليزيا لا تزال في مأمن. كانت بريسلو المدينة الألمانية الوحيدة التي لم تسقط عليها قنبلة واحدة، ولذا فقد انتقلت الصناعات الحيوية تباعاً إليها، ولو سقطت سيليزيا لكان المضي في الحرب يمسي مستحيلا، بيد أن سيليزيا اجتيحت يوم تسلم شورنر زمام القيادة بالذات، ولم يكن من مجال لرد هذا الاجتياح الذي قام به خصم ضعضع التقدم السريع صفوفه، سوى حشد من الفرق الجديدة، ولكن من أين يؤتى بهذا الحشد؟!.

تمكنت قوات «نهرينغ» المنهكة من انقاذ فيلق المانيا الكبرى المصفح، ولكنها اخفقت في محاولة تركيز خط الاودير، فكلف الجيش السابع عشر بحماية الحوض الصناعي، ولكنه عجز عن الحؤول دون سقوط «كاتوفيتز» و«أوبيلن» و«غليفيتز»، وتطويق «بوثن». واذ ايقن شورنر من حلول الكارثة القريبة الشاملة طلب من هتلر السماح له بإخلاء الرور الشرقي، إلا أن ردة فعل الطاغية جاءت، ربما للمرة الاولى، ردة رجل مستسلم للاقدار، اذ أجاب: «ان كنت تعتقد انك لا تستطيع ان تفعل غير هذا يا شورنر فافعل»!.

كانت بريسلو تعد مليوناً من السكان، وقد أصدر الحاكم العسكري «هانكي»: أولاً اصدار امر يحظر فيه على أي شخص ان يغادرها. وعندما اعلن هتلر انها «قلعة تستوجب الذود عنها»، بدل موقفه وأمر بإجلاء المدنيين، ولو سيراً على الاقدام، في جو كانت درجة الحرارة فيه قد بلغت حوالي ٢٠ تحت الصفر، وكانت كثافة الثلج على الطرقات تبلغ ٢٥ سم.

وحصلت المأساة نفسها في «بوزنانيا»، اذ لم يكن للجنرال «تبزيل» من أجل الدفاع عن «بوزين» سوى ألفين من طلاب المعهد العسكري، وبعض كتائب الجرحى المعادين الى الخدمة، تخلى «غريزل» عن مركزه، وبدأ الحصار في اليوم الأخير من كانون الثاني.

أخذت الكلابة تشتد على عنق بروسيا الشرقية فعزل «تشيرنيا كوفسكي» «كونيغزبرغ»، في حين تقدم «روكوفسكي» نحو النشتاين فاوستيرودي، وفي ٢٧ بلغ «فريشزهاف»، وبذلك تم عزل جيش الدبابات الثالث الخاضع لامرة الجنرال «راوس» والجيش الرابع. بقيادة الجنرال «هوسباخ»، فأمر هتلر راوس بالدفاع عن «كونيغزبرغ» و«بيلاو»، في حين امر «هوسباخ» باتخاذ موقف التنفيذ حول موقع «لوتزن» الصغير بين بحيرات «مارور». غدت «رستنبورغ» معقل ادولف هتلر على أقل من ٢٠ كلم.

شق «هوسباخ» عصا الطاعة، وكان حوله ٣٥٠ الف جندي اراد أن يوفر عليهم مأساة ستالينغراد جديدة تضاف إليهم جماعات غفيرة من السكان التواقين الى مواصلة فرارهم الشاق نحو الغرب، فكلف الفيلق ٢٦ الذي يقوده الجنرال «ماتزكي»، بمهمة اعادة فتح طريق «دانتزيغ»، وشارك «راينهارد»، قائد مجموعة الجيوش العصيان، اذ غطى بصمته نيات مرؤوسه وتحركاته، وساقت مسيرة ٢٠٠ كلم فرقتا المشاة ١٣١ و١٧٠ من منطقة لوتزن الى منطقة «فورمديت»، فشنتا هجومها مساء ٢٦ في برودة تدنت حتى ٣٠ درجة مئوية تحت الصفر، وتحت اضواء قمر رائع زاد من سحر الطبيعة، وقد تمكنت هاتان الفرقتان من مداهمة قرى روسية عديدة، وقد تعتع اهلها السكر، فراحت تعمل فيها قتلاً وذبحاً دونما شفقة. وفي اليوم التالي استمر تساقط الثلوج، فزادت من صعوبات القتال، ومع ذلك فقد كان الألمان يقاتلون كسجناء فروا لتوهم من السجن. وما ان أتى يوم ٢٩ كانون الثاني حتى بلغت فرقة المشاة ١٧٠ «بروسيش هولاند» حيث كان الجيش الثاني لا يزال يقاوم، وكان هوسباخ يأمل في اعادة الاتصال به خلال النهار، بيد أن سقوط «لوتزن» التي أخليت بدون قتال، ووشايات «ايريك كوخ» حاكم بروسيا الشرقية العسكري قد كشفت لهتلر حقيقة تمرد هوسباخ، وزين له ذهنه سر ما حصل: فإذا التخلي عن بروسيا الشرقية مؤامرة الى اعلان حكومة معادية للهتلرية على أرض المانيا، ومنبثقة عن لجنة «ألمانيا

الحرة »، وقال: « ان هوسباخ ورواينهاردت على اتفاق مع سيوليتز. انها الخيانة بعينها! وانها ليستحقان المثول امام القضاء العسكري! « فحل النمساوي « روندليك » محل « راينهاردت » في حين حل محل هوسباخ نازي آخر عنيد هو الجنرال « فريدريك فلهيلم مولر ». فأوقف الهجوم الفراري، وعاد الجيش الرابع يتوغل ناحية الشرق بغية الاتصال بجيش الدبابات الثالث. وحاول آلاف اللاجئين النجاة باللجوء الى ثلوج « الفريشيزهاف » المتجمدة، بالرغم من نيران المدفعية الروسية، فإذا بجثثهم تنتثر فوق الصقيع.

في مطلع ١ شباط اوقف الجيش السوفياتي امتداد خطوط تقدمه الا أن الهزيمة الالمانية كانت رهيبة منكرة. فتم عبور قسم مهم من الاودير، وقارب الزحف السوفياتي في الجنوب « نايسي لوزاسين » وهي حدود سيليزيا الغربية، واحتفظ الالمان برأسي جسر في تخوم فرانكفورت على ضفة الاودير الشرقية، غير أن الروس قد بلغوا الضفة اليسرى وباتوا على بعد ٧٠ كلم من برلين.

ورغبة من هتلر في سد الثغرة التي انفتحت امام عاصمته عمد الى تشكيل مجموعة جيوش جديدة اطلق عليها اسم الفيستول مع انها لم تكن اوفر حظاً باعادة فتح الفيستول منها بالفولغا. وطالب غوديريان بأن تسند قيادتها الى المارشال « فون فايخس » فرفض هتلر ذلك، زاعماً انه لا يثق بهذا الجندي القديم والمسيحي المتدين »، ثم ما لبث ان اسند مهمة الدفاع عن برلين الى « هملر » الذي تدرب حديثاً في الرين الاعلى على قيادة جيش الميدان. كانت الجبهة الشرقية اذ ذاك تشمل ١٠٣ فرق من فرق المشاة، و٣٣ فرقة مصفحة المانية، فيما ضمت الجبهة الغربية ٦٥ من فرق المشاة و١٢ فرقة مصفحة. وتساءل الجنرالات كلهم تقريباً لماذا لا تحول الى الشرق قوات الغرب كلها، حتى ولو أسفر هذا التحويل عن احتلال الحلفاء الغربيين لألمانيا بكاملها، أو بالحري من أجل ذلك بالذات.

* * *

كانت الاوضاع في الغرب قاسية، وان تكن المعارك هنا أقل عظمة ووحشية مما هي عليه المعارك الدائرة على الجبهة الألمانية الروسية.

في ١٦ كانون الثاني التقت كوكبة الخيالة الاميركية ٤١، من الجيش الثالث، في هوفاليز، فوج المشاة المصفح ٤١، من الجيش الأول، فختم هذا الاتصال معركة « الاردين ». وعادت القوات الاميركية الى مواقعها في ١٨

• بيان عمليات معارك روسيا ابتداءً من ت ١٩٤٤/٢ حتى نيسان ١٩٤٥.

كانون الأول. هذا وقد منح هجوم هتلر المعاكس الرايخ الثالث فترة استراحة ضد عدو الغرب، وأعطى عدو الشرق هامش تقدم في غزو المانيا واحتلال اوروبا الوسطى.

لقد كبدت معركة الاردين المفاجئة الحلفاء ٨ آلاف قتيل و٤٨ الف جريح و٢١ الف مفقود، كما تركت اثاراً سلبية على صعيد الفكر، وبات ايزنهاور يعتقد بضرورة الحذر اكثر من أي يوم سابق، وبالضغط المستمر المتضافر على الجبهة بكاملها. وعاد مونتغمري الى الحاحه بصدد هجومه الفريد شمالي الرور، وقد وضع ترشيحه لقيادة مجمل الجيوش الحليفة في أوروبا الغربية، تؤازره في ذلك قوة الرأي العام البريطاني بكاملها، الا أن هالة ايك لم تكن قد بهت رونقها تماماً من جراء احداث كانون الأول، وكانت للأميركيين ٥٠ فرقة مقابل ١٥ فرقة للكومنولث. وعاد برادلي نفسه الى المسرح، وهو ذلك القائد الباهت. وبعد انقضاء يومين على اتصال هوفاليز اعاد إليه ايزنهاور الجيش الاميركي الاول تاركاً لمجموعة مونتغمري الجيش التاسع فحسب.

ومن أجل استمرار العمليات خطط ايك كمرحلة أولى، لتطهير ضفة الرين اليسرى، اما المرحلة الثانية فكانت تتمثل بعبور الرين، وكانت الثالثة تقضي بالتوغل في ما وراء النهر الذي كان ارتفاع المياه فيه، وعنف مجراه يجعلان من المحال اجتيازه قبل شهر أيار. وهكذا منح ايك نفسه خمسة اشهر لتنفيذ المرحلة الأولى من خطته، التي ما لبثت ان بدأت بهجوم فرنسي اميركي في الالزاس قبل أن يزول الخطر الذي كان يثقل كاهل ستراسبورغ كلياً. كان الجيش الالماني الأول قد أقام اتصاله مع جيب «غامبشيم». وأما الجيش الاميركي السابع الذي كان يغادر حاشية غابة «هاغونو» الشمالية، فقد تراجع حتى «المودير» وكان على الفرقة الجزائرية الثالثة ان تقوم بقمع هجمات عنيفة عديدة شنت على ستراسبورغ، ومع ذلك فقد ارتأت القيادة الحليفة ان افضل وسيلة لتصفية الوضع في الالزاس تقضي بإزالة جيب كولمار الذي كان يضغط على جناحها الايمن منذ ثلاثة أشهر. وفي الجيب انتقل الجيش ١٩ الى إمرة الجنرال «راست». وكان يضم الفيلق ٦٤ في الشمال والفيلق ٦٣ في الجنوب، وكانت فرقه الثماني ناقصة ومنهكة، ولسوف تشهد احداها - وهي الفرقة الجبلية الثانية المؤلفة من نمساويين والقادمة من النروج، عدداً ضخماً من الفارين، الا أن القوات الفرنسية - الاميركية كانت قد أصيبت، بدورها،

بمثل هذا الانهاك، وكان الطقس غير ملائم تماماً لشن هجوم.

تقدم الفيلق الأول بقيادة «بيتوار» ليشن هجومه على سفح الجيب الجنوبي بين «ثان» و«مولوز». كان على ميمنته ان تبلغ الرين في «فيسينهيم». وكان على ميسرته ان ترتفع على طول الفوج لتتصل مع الفيلق الثاني في «روفاخ». الا أن النتائج بقيت سلبية. وعلى سفوح الفوج وقفت الفرقة الغربية الجبلية دون حراك. وأمام مولوز كانت فرقة المشاة الآلية تقرع الأرض متعثرة بخطاها، واقترح بيتوار تعليق الهجوم بانتظار تحسن يطرأ على الأحوال الجوية، وراح «دي لاتر» يشجعه، ولكن التقدم بقي اليماً وبطيئاً.

وبعد يومين شن مونسابين هجومه على جانب الجيش الشمالي بأربع فرق منها فرقتا المشاة الاميركيتان ٣ و٢٨. كان عليه ان يغشى كولمار لبلوغ الرين في «نوف - بريساك». ولسوف يتجه سهمان من الهجوم نحو «روفاك» و«سانت - كروا - اون - بلين» لملاقاة الفيلق الأول.

كانت النتائج الاولية افضل مما كانت عليه في الجنوب، وألقى العدو بجد الحربة، الذي كان قد اغمده في اتجاه ستراسبورغ بين «ايل» و«الرين». وقد تم تطهير غابة كولمار وبلوغ ترعتها، ولكن «دي لاتر» كان بحاجة الى فرقة لكي يحافظ على ديناميكية الهجوم فطالب بها دون جدوى في البدء، ثم منحه «ديفيرز» في ٢٥ كانون الثاني الفيلق ٢١ بكامله وهو بامرة الماجور - جنرال «ميلبورن»، فنزل الى الميدان من على يمين مونسابير.

وعاد الهجوم الى الانتعاش بعد فترة جمود. وفي ٢ شباط تم تحرير «كولمار» على يد فرقة المشاة الاميركية الثالثة. ثم تنحت هذه الاخيرة لكي تتيح لدبابات الفرقة الفرنسية المصفحة الخامسة مجال الدخول الى المدينة في المقدمة. واستمر التقدم في اتجاه «روفاخ» على الرغم من ذوبان الثلوج الذي حول الانهر الصغيرة المنحدرة من الفوج الى سيول. وكان الفيلق الاول قد استعاد تقدمه، فسبق فرقة المشاة الاميركية ٧٥ في الدخول الى روفاخ. وتم الاتصال في ٥ شباط، فشطر جيب كولمار شطرين. وأما القوات الالمانية التي كانت في شطره الفوجي حول «مونستر» و«فيبويلر»، فقد تم أسرها جميعاً في الأيام التالية، وسقطت قلعة «نوف - بريساك» من دون قتال في السادس من شباط. وفي ٩ وصل اواخر الجنود الالمان الى الضفة اليمنى من جسر «شالامب» الحديدي الذي تفجر من ورائهم. وهكذا غدت الالزاس حرة.

• الزعماء الثلاثة: ستالين، روزفلت، وتشرشل.

مؤتمر يالطا: زعيمان ونصف

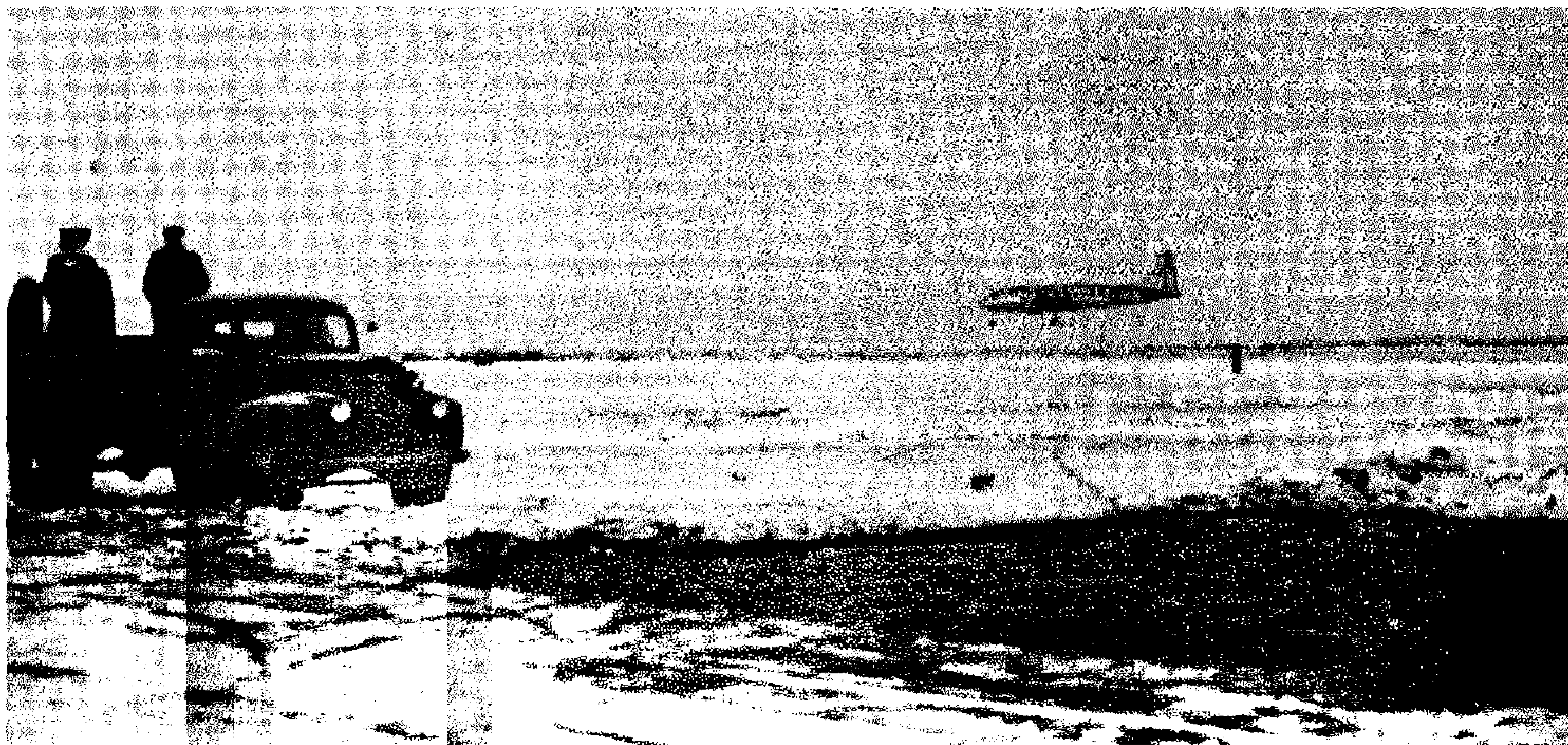
كما حصل بشأن مؤتمر طهران عام ١٩٤٣ حصل مثله بشأن مؤتمر يالطا عام ١٩٤٤ انفجر الصراع حول مكان انعقاد المؤتمر. تشرشل عارض بكل قوة اقتراح عقده في القرم، وابلغ ذلك لروزفلت شخصياً. معتبراً ان هذا المكان «لا يصلح لأن يكون جنة لغير البراغيث»! وعارضاً ان يكون المؤتمر في «ايدنبورغ» أو «ناسو»، أو «مالطة»، أو «أثينا» أو «قبرص» أو «القاهرة» أو «القدس» أو «روما»، وكلها مدن سالمة توفر تسهيلات واسعة بشأن السكن او مطارات حسنة التجهيز وشبكات مواصلات كاملة مضمونة. كل ذلك لم يؤد الى نتيجة لأن ستالين كان يصر على التقاء الثلاثة الكبار على الارض السوفياتية لسببين، اولهما انه يخاف ركوب الطائرة، ويأبى ان يعرض نفسه لاخطار السفر، وثانيهما انه اراد ان يثبت بانه الاكبر، مع العلم انه كان في



السنة الماضية قد قبل، ولو بكثير من الجهد، ان يذهب الى طهران. اما الآن فقد كانت نشوة الانتصار تسكره الى حد انه ابلغ زميليه القرار الحاسم: «اما ان تأتيا الي، واما الا يعقد المؤتمر».

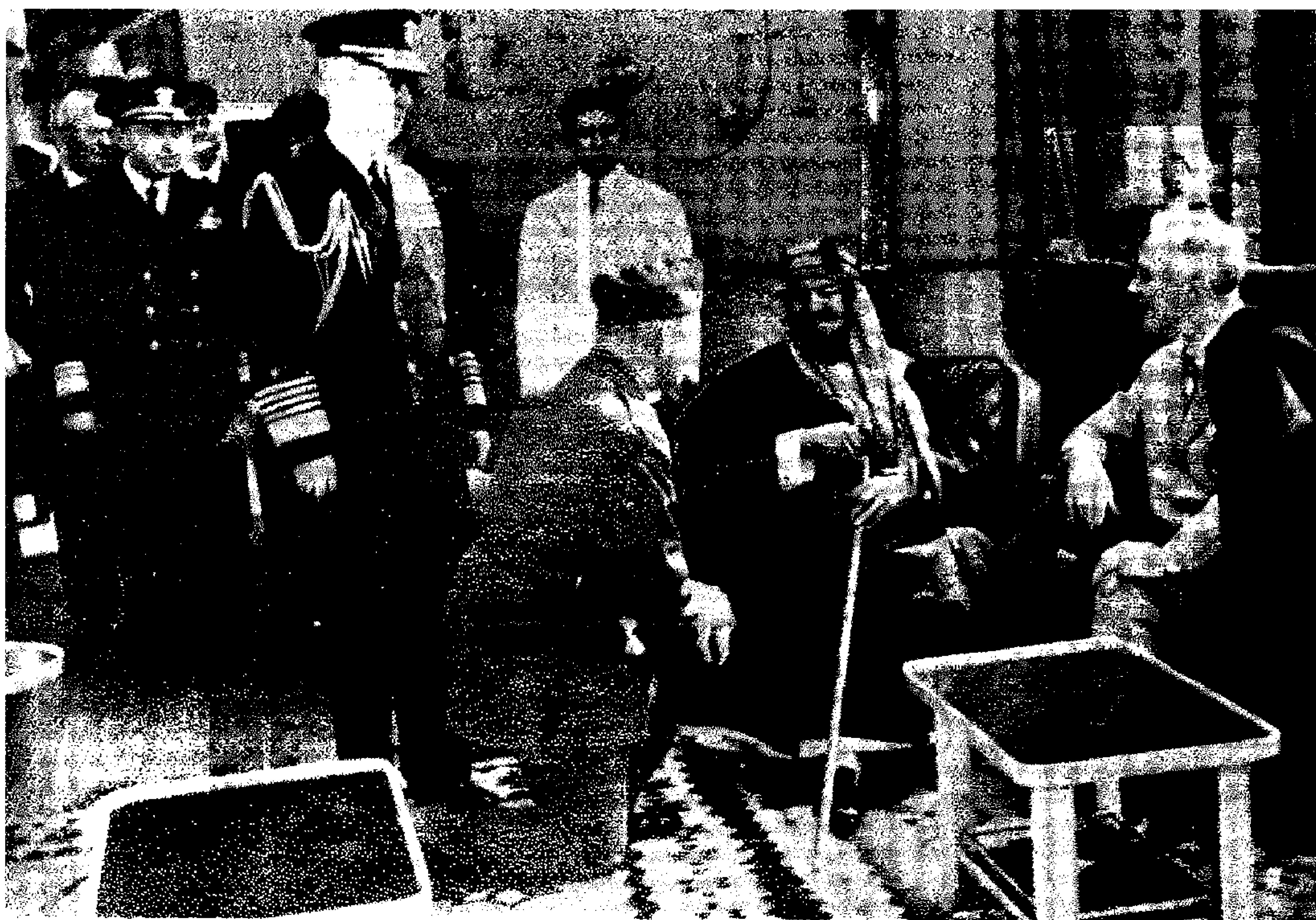
كان بوسع روزفلت ان يقف وحده في وجه تلك الارادة الطاغية، اولاً بالنظر لما يمثل، وثانياً بسبب توعك صحته، اما تشرشل فما حيلته اذا ما اذعن روزفلت وقبل؟ اما النعمة الوحيدة التي حصل عليها تشرشل فهي لقاء انكليزي - اميركي تمهيدي يعقد في «مالطة» على طريق «يالطا». وقبل روزفلت ذلك بمنتهى القرف والامتعاض زاعماً ان لقاء كهذا قد يثير ستالين ويوهمه بأن الغربيين يتفاوضون لمواجهته جبهة واحدة. وفي ٢ شباط وقف رئيس الوزراء الانكليزي ينتظر الطراد «كوينسي» في مرفأ «لافاليت». ولشد ما انتابته الدهشة عندما شاهد روزفلت التعب، وهو لا يعلم ان روزفلت لم يغادر حجرته طوال الرحلة، وقد عمل طبيبه الاميرال «مك انتاير» ليل نهار على تنشيطه استعداداً للمؤتمر. وكان يرافق روزفلت المتهالك مستشار اكثر تهالكاً هو «هوبكنز» الذي اخطر ان يقطع الاطلسي طريح الفراش. كانت وزارة الخارجية قد اعدت له ولرئيسه مذكرات رائعة حول مسائل اوروبا الشرقية، ولكن كيف لهذين المتهالكين ان يبذلا الجهد في الانكباب على هذه الملفات؟

لقد رفض روزفلت البحث في «مالطا» في الموضوعات التي ستطرح على بساط البحث في «يالطا». وفي الغد حطت الطائرات التي تقل الوفدين الاميركي والانكليزي المؤلفين من حوالي ١٥٠ شخصاً في مطار «ساكي» بالقرب من «اوباثوريا» التي ما زال يفصلها عن «يالطا» مسافة ٢٠٠ كلم وسلسلة من الجبال يستغرق اجتيازها ست ساعات، حشدت القوات على طول الطريق، ووضعت في القرى وعلى الجسور حراسة شديدة اشرف الجنود النساء على قسم منها، وانتشرت الدبابات المحطمة والشاحنات المحروقة التي هي خير شاهد على ضراوة المعارك التي نشبت في سبيل امتلاك طريق القرم الستراتيجية. هبت الريح عاتية، وقطع الموكب «سيمفيروبول» التي أحرقتها النار حتى الأرض، فما كان من هزات الطريق ومنعطفات الجبل الضيقة الا أن حطمت روزفلت، فوصل منهوكاً، وقد علت وجهه صفرة الموت، فبادر «ماك انتاير» يطمئن من استبد بهم القلق قائلاً: «انا أعلم الناس به.. لقد نال منه العياء.. وسرعان ما سيستعيد نشاطه»!.



• « البقرة المقدسة » أو طائرة روزفلت فوق مدرج « أوباتوريا ».

• الرئيس « روزفلت » تلقّى زيارة من الملك « عبد العزيز بن سعود » عاهل السعودية على ظهر السفينة « كوينسي ».



اما ستالين فسيصل من موسكو بالقطار، وقد اعلن انه لن يصل الا في صباح الغد.

لقد اثبت الواقع صحة التذمرات التي كان يتوقعها تشرشل والتي دفعته منذ البداية الى رفض اقتراح القرم: فشروط الراحة معدومة تماماً، بحيث ان تشرشل انزل على بعد ١٠ كلم من يالطا وفي قصر «فوروفتزوف» سابقاً الذي نهب حتى آخر قشة فيه مما استلزم احضار سرير كبير يلائم عادات تشرشل في حين انزل اعلى اعضاء الوفد رتبة بمعدل اربعة او خمسة في الحجرة الواحدة في حين كدس الباقون في مصحين تفصل بينهما عدة كيلومترات. وخصص حمام واحد لكل عشرين جنرالاً، واذ لم يكن للبناء الواحد غير مغسلة واحدة وجب توجيه نداء استغاثة الى السفينة «فرانكونيا» لكي ترسل بعض الآنية لتأمين ما يسمح لاعضاء هيئة اركان المملكة المتحدة المدنيين والعسكريين بغسل وجوههم على الاقل.

ولم يكن الاميركيون بأوفر حظاً، اذ انزلوا في صرح «ليفاديا» الذي كان من عادة «نقولا الثاني» ان ينزل فيه شتاء، فضمت الحجرة الواحدة ثمانية جنرالات وستة عشر كولونيلاً، ولسوف يتأثر جو المؤتمر بهذا الازدحام. ومع



هذا فقد بذل الروس ما استطاعوا من الجهد، خصوصاً وان المدينة خالية من اي مورد، فاستقدم من موسكو كل شيء: من اصغر منضدة الى زجاجة الفودكا، فقامت ١٥٠٠ عربة من عربات القطار برحلة استغرقت خمسة ايام لتحمل الى القرم هذه الملطفات التي وجدها الاميركيون والانكليز غاية في التقشف. وقام بالرحلة الخدم انفسهم. ومن التفاصيل المؤثرة انه قد عثر على عدد من الأحذية النسائية ذات الكعب العالي، فانتعلتها الخادمات، ولم يكن لهن عهد بها.

حتى الحدائق اعيد ترتيبها وغرسها



• روزفلت في سيارة «جيب» وقد بدا تشرشل الى يمينه.

باشجار السرو والبرتقال التي جيء بها من «جورجيا» قبل ان تطهر تلك الارض من الالغام. وما كاد مارشال الجو «بورتال» يشير الى عدم وجود الاسماك، حتى جيء بها في الغد، والقيت في الاحواض.

حل ستالين في فيلا «كوريز» على بعد كيلومترات قليلة من يالطة؛ الا انه تساهلاً منه، قرر ان تعقد الجلسات العامة في قصر «ليفاديا». وسبق الجلسة الاولى، التي جعل موعدها الساعة ١٧,١٠ احد تلك اللقاءات التي لا يجود بها رئيس الولايات المتحدة لرئيس حكومة بريطانيا العظمى الا بصعوبة كبيرة، وكانت فرنسا موضوع الحوار الرئيسي، فروى ستالين قصة الزيارة التي قام بها ديغول الى موسكو والتي عاد منها هذا الاخير بمعاهدة صداقة فرنسية - سوفياتية غريبة، ومما قاله ستالين: «لا اعتقد بأن ديغول شخصية بالغة التعقيد، ولكنه يفتقر الى الواقعية افتقاراً كلياً في تقدير الدور الذي تلعبه فرنسا في تحقيق النصر. فقال روزفلت: «لقد كان في الدار البيضاء يقارن نفسه

بـ «جان دارك» و «كليمنصو». فقال ستالين: «ولقد اعلن لي في موسكو ان الرين يشكل حد فرنسا الطبيعي، وان على القوات الفرنسية ان تحتله الى الابد.. وبالمناسبة، أتعتقد منح الفرنسيين منطقة احتلال في المانيا امراً ضرورياً؟ «فاجاب روزفلت: «سيكون ذلك من قبلنا مجرد هدية!».

كانت قاعة الاجتماع الكبيرة هي قاعة العرش القديمة، الا ان الحرب قد اتلفت كل ما كان يزينها. البحر كان قاتماً، وما عتمت القاعة ان تحولت الى قتام هي الأخرى بعد هبوط الليل واضاءة تلك المصابيح المرتجفة، اما المائدة فمستديرة، وحولها ثلاثة أقواس متعانقة متباينة، متناقضة متقابلة.

تميزت القوس البريطانية بالزهد والتصلب والقلق، وكان المدني الوحيد فيها هو انطوني ايدن، وقد ارتدى العسكريون «بروك» و «الكسندر» و «بورتال» وايسمي، باستثناء الاميرال «كانينغهام»، لباس سلاح الطيران الازرق البسيط. كان تشرشل متجهماً غاضباً، فخلال الحرب تعمد ان يتلطى خلف روزفلت الذي كان ينتظر منه الكثير، واما الآن فقد ادرك الافول الذي اصاب بريطانيا العظمى عشية انتصار ما كان ليتحقق لولا عنادها البطولي الفريد في فترة ١٩٤٠ - ١٩٤١. الحقيقة ان يالطا قد ضمت عظيمين ونصفاً.

وفي القوس السوفياتية كان المدنيون اوفر عدداً، فهناك مولوتوف وغروميكو ومايسكي وبافلوف. اما ستالين فلم يبد عسكرياً بالمعنى الكامل على الرغم من ارتدائه لباس مارشال الاتحاد السوفياتي. ولم يكن بأفضل مزاجاً، فجيوشه غدت على ابواب برلين، وحلفاؤه ينزلون عند ارادته، وتلك هي من الامور التي لا تتاح الا للعظام القلائل.

القوس الاميركية كانت توحي بالفجيعة. فروزفلت يكاد يلفظ انفاسه الاخيرة، وقد استبدت الرعشة به والسواد بعينيه، جلس بين «ستيتينيوس» التافه وهاري هوبكنز الذي برح به المرض الذي لم يخط خطوة واحدة في غير اتجاه سريره وطاولة المؤتمر. الا ان هذا الانهيار الجسدي لم يسبب انهياراً ذهنياً، وهذا مما كان يتضح من حركاته ونظراته، ولكن روزفلت، على العكس من ذلك، كان، الى جانب مرضه مشتت الافكار، مضطرب البال. اما الاميركيون الباقون فعسكريون من «مارشال» الى «دين»، الى «كوتر»، الى «ماك فارلاند» الى «كينغ» الى «ليهي» كانت القوة المادية التي تخضع لهم تفوق كل وصف فجيوشهم البحرية تسيطر على

المحيطات، وتحاصر اليابان، وتردي الى قعر المحيط الاطلسي بسحب من الغواصات التي جعلت منه مدفناً للسفن، واساطيلهم الجوية، واسراب قلاعهم الطائرة، تسحق المدن الالمانية وتبيدها، اما جيوشهم البرية فتبلغ ١١ مليوناً من الرجال يضاعف عددهم مراراً اقوى الاسلحة، واسرع سبل النقل اطلاقاً. هذا وتدعمهم بلاد شاسعة سليمة، وصناعة حربية لم تبلغ بعد انتاجها الكامل، وقنبلة ذرية لم يبق بناؤها الارهن اسابيع معدودة.

فاستناداً الى المنطق السليم والوقاحة الصحيحة كان من حق الاميركيين دون سواهم ان يسيطروا على مؤتمر يالطا هذا، الا انهم قد اتوا ومركب النقص يسيطر عليهم فوقفوا موقف السائل المستعطي، اما ما تسعى اليه اميركا فهو قبل كل شيء، الحصول على اسهام روسيا في حرب المحيط الهادىء والحق ان لهذا الاهتمام ما يبرره، بيد ان اللياقة الاولية كانت تفرض اعتبار اليابان بحكم المريض، واسطولها بحكم المنهي، كما يفرض التنويه بطائرات «ب ٢٩» التي عاثت خراباً في الجزر اليابانية، والاشارة الى ان اسهاماً سوفياتياً مؤجلاً الى مابعد هزيمة المانيا لا يشكل غير قيمة نسبية رهينة بظروفها، ولكن اميركا اعتنقت الموقف المعاكس، وراحت تستعطي التدخل الروسي مبدية استعدادها لدفع اي ثمن مقابل ذلك.

وينطلق روزفلت في هذين الموقفين المتناقضين من جملة مبادىء يؤمن بها في مقدمتها اقتناعه بان «ستالين ليس مستعمراً»، في حين ان تشرشل «في دمه ٤٠٠ عام من الفتوحات».

وقال موجهاً كلامه لتشرشل: «لا يسعني القبول بانا نحارب الرق الفاشستي، ونأبى في الوقت نفسه تحرير الشعوب الخاضعة لنظام استعماري. ينبغي الا يسمح السلام بالابقاء على الاستبداد اياً كان شكله..».

اما المستبد فهو الانكليزي، وقد غدا اسير ماضيه. اما الروسي، مع ما يمكن ان يثيره من تحفظات، فيبقى ديمقراطياً، ورجل مستقبل، ومحرراً.

وكذلك روزفلت يستعطي لابنه الحبيب: هيئة الامم المتحدة، فيقبل ستالين بعد جهد ان ينتمي إليها، الا انه طالب بأن تعطي كل من الجمهوريات السوفياتية الست عشرة صوتها في الاجتماع العام، فاعتبر مصممو المستقبل الاميركيون انه لا يمكن القبول بهذا الطلب، فبات من الواجب حمل ستالين على التخلي عنه، على ان يمنح بعض الامتيازات في حقول اخرى.

وللحقيقة يمكن القول من خلال

الجلسات التي تتالت ان هذا المؤتمر يشهد من النشاز وعدم الانسجام ما لم يشهده مؤتمر آخر في السابق. لم يهيأ اي موضوع، ولم يكن هناك جدول اعمال، وقد سيطرت الرتابة على كل المناقشات في حين سيطرت التفاهة على اجتماعات وزراء الخارجية ورؤساء الاركان، بالنظر الى التشبث بالرأي الذي نماه عند روزفلت وستالين طول عهدهما بالحكم والسلطة. وتراخت في النهاية عزيمة تشرشل واضحى ذلك الرجل الكهل المتعب الذي يعود كل مساء الى سريره في القصر شبه المهجور، في حين كان الاميركيون يحلمون برؤية العالم خارجاً من الحرب موحداً في الايمان الديمقراطي عينه وفي مبادىء احترام الشخصية البشرية وحكم الشعب للشعب. أما هو «تشرشل» فمقتنع بالعكس، ولعل هذا ما دفعه الى عنونة المجلد الاخير من مذكراته باسم: «نصر ومأساة».

لقد تأثرت العلاقات الشخصية بتوتر الآراء. فغدا تشرشل مثلاً موضع سخرية الروس بصورة مكشوفة، وهم يكادون لا يخفون ضيقهم عندما يذكر الحرارة التي تبنى بها برلمانه وشعبه قضية البولونيين الذين حققوا المآثر الكثيرة في سماء لندن. ففي رأيهم - رأي السوفيات - ان تنويه رؤساء الديمقراطيات الغربية بما تعتقده



شعوبهم - حجج كاذبة، ان لم تكن دليل ضعف. وشاء ستالين ان يداعب تشرشل اثناء تناول طعام العشاء فقال له: «تبدو لي مذعوراً من برلمانك، ومن انتخاباتك المقبلة.»، فاجاب تشرشل: «انا الوحيد هنا من بين الثلاثة، من يستطيع ممثلو بلاده ان يطيحوه في كل لحظة. واني لفخور بذلك.



• مؤتمر يالطا حول طاولة مستديرة.

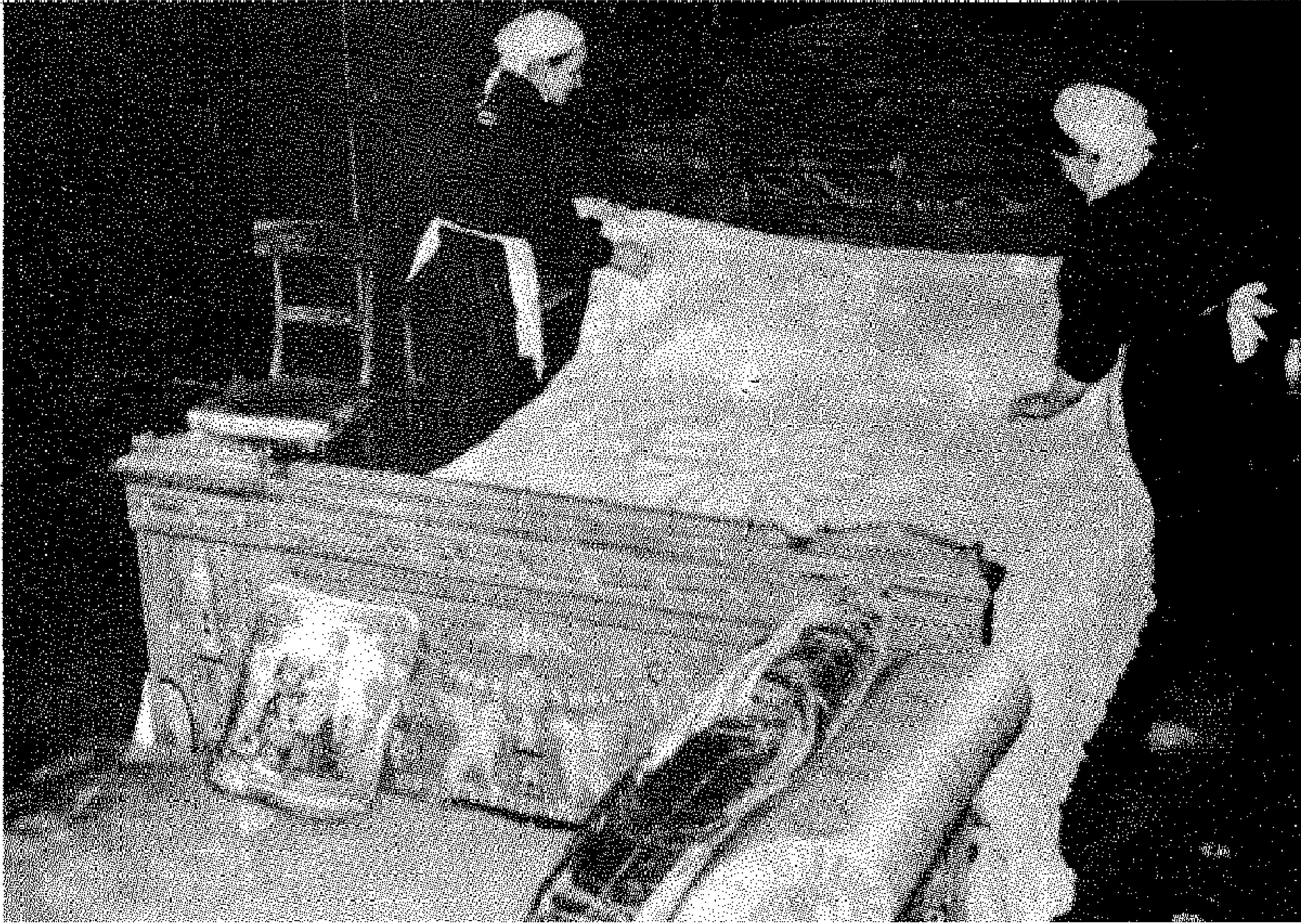
لقد كان الوفد الانكليزي بالغ الحماسة في الدفاع عن فرنسا، وقد وصف هوبكنز هذا الدفاع بانه «كفاح الاسود». ففي احلك ساعات ١٩٤٠ عندما اخذ التحالف الفرنسي - الانكليزي يتهالك قال تشرشل انه لو كتب النصر لبريطانيا العظمى فلسوف لن تتأخر عن ان تقيل فرنسا من عثارها، وتعيد اليها كرامتها وعظمتها. والآن، وقد حان الوقت، فقد بر

تشرشل بوعوده، علـى الرغم من انـه رجل عاطفي.

كانت اوروبا في شهر شباط من عام ١٩٤٥ كُوَم من الخرائب المادية، والمدن المـدمرة، او المشتعلـة، او الـدارسة، والارياف المهملة التي يجتاحها الجوع، الا ان رجل الدولة كان يشاهد عبر هذه الخرائب ما هو أخطر بكثير: الخرائب السيـاسيـة، او الفراغ السيـاسي المريع الـذي سينشأ بعـدمـا تلوذ المـدافـع بالصمت.

ففي «الـدار البيضـاء» حـكم علـى المانيا بالاستسلام دون قيد او شرط، وفي طهران تقرر الغاء الدولة الالمانية بالذات. فلو ظلت فرنسا عاجزة لامتد الفراغ السيـاسي حـتى جرف المـانش مجتـذبـاً التوسع السوفيـاتي لم يكن، في الجوهر، من الخطورة القصوى، ان ينـال الفرنسيون منطقـة احتـلال في المانيـا، فالمهام التي تنتظرهم في بلادهم المدمرة كثيرة جداً، ولكن موضوع البحث هو وضـع فرنسا كـدولـة كبـيرة. وتصلـب ستالين لا يشفق ولا يرحم، قال: «لقد عانت فرنسا من الآلام اقل مما عانته بلجيكا وهولندا، واسهامها في الحرب بثماني فرق يقل عن اسهام يوغوسلافيا الـتي أسهمـت بتسع فرق، وأقـل من اسهام «بولونيا لوبلين» التي اسهمت بـ«فرقـة.. ثم ان فرنسا قـد فتحـت ابوابها للعدو». وهنا فات ستالين انه قد امر بذلك، لأنه، عام ١٩٤٠، كان حليـــف هتلر، ولأن الحزب الشيوعي الفرنسي، نزولاً عند اوامر موسكو، تخـلى عن الـدفـاع القومي. واذا شاء الانكليز والاميركيون، بالرغم من هذا كله، ان يفسحوا لفرنسا مجالاً في المانيا، فليضيقوا على انفسهم ولكن عليهم الا يطلبوا من روسيا ان تحد من قطاع الاحتلال الذي ترك لها. وعليهم، فضلاً عن ذلك، الا يطلبوا منها ان تقبل الفرنسيين في هيئات الرقابة التي يجتمع فيها الثلاثة الكبار وفي النهاية تغلب تشرشل، فسلم روزفلـت اولاً بمنطقـة الاحتـلال وبالاسهام في الرقـابـة، ولم يلبـث ستـالين ان سلم بـذلـك ايضـاً. وهكذا لم يتم اقصاء فرنسا في مرتبة الدول الاوروبية الثانوية. سيترتب عليها طبعـاً، النهوض من هوانها المـادي والمعنوي، ولسوف تظل، خلال سنين طويلة، موسومة بهزيمة ١٩٤٠ المقيتة التي لا تغتفر، الا انها ستجلس على قدم المساواة المبـدئيـة في كـل المؤتمرات الـدبلومـاسيـة وستتمكن من استعـادة الكـلام تـدريجيـاً للتـأثـير في مجرى الاحداث العالمية وهي مدينة بذلك، بدون شك، لتشرشل.

اما بشأن معاملة المانيا فلم تأت يالطا بما لم تأت به طهران، ولو صح ان مبدأ



● تهيئـــة سرير لتشرشل يتنـــاسب مـــع حجمـــه وعاداته.



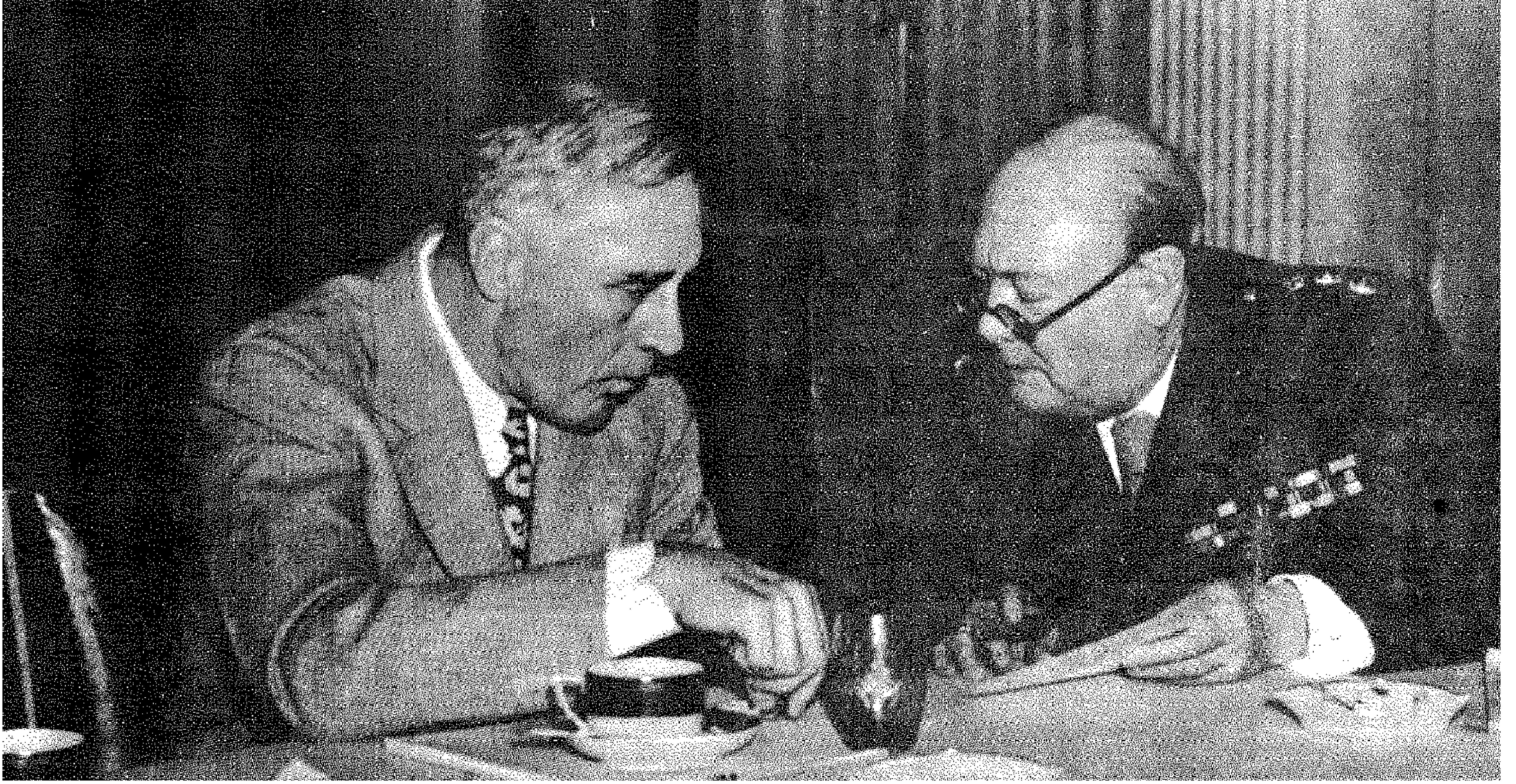
● قصر « ليفاديا » حيث عقد المؤتمر.

التقسيم قداعيد اقراره (مع العلم بأنه قد تم الاتفاق على ابقائه سراً حتى موعد التسليم دون قيد او شرط). فالسبل والطرق ما زالت بحاجة الى تحديد. اما موضوع التعويضات فقد ظل مترجحاً بالرغم من وجود مشروع سوفياتي يفرض فك ما يعادل ٨٠ في المئة من الصناعات الالمانية وتوزيعها استناداً الى مبدأي الاضرار الحاصلة والاسهام في تحقيق النصر (مما يقصي فرنسا بنظر الروس). ولم يتم الاتفاق الا على تحديد مناطق الاحتلال، ومبدأ احتلال برلين غير المنفصم.

واستأثرت بولونيا بالقسط الاكبر من المناقشات، ولكن جهود تشرشل الملحة الضارية، وجهود روزفلت المتحفظة، منيت جميعها بالاخفاق الذريع، فلقد صمم ستالين على ان يجعل من الدولة البولونية كوكباً سياراً كتب له الدوران في فلك موسكو ودرعاً يقي حدود الاتحاد السوفياتي الغربية، فالحرب قد بدأت بسبب بولونيا التي ضمنت بريطانيا سلامتها وحريتها السياسية وترميم اراضيها الكاملة، قال تشرشل: «انها بالنسبة لنا قضية شرف» فأردف ستالين: «اما بالنسبة لنا فهي قضية حياة او موت».

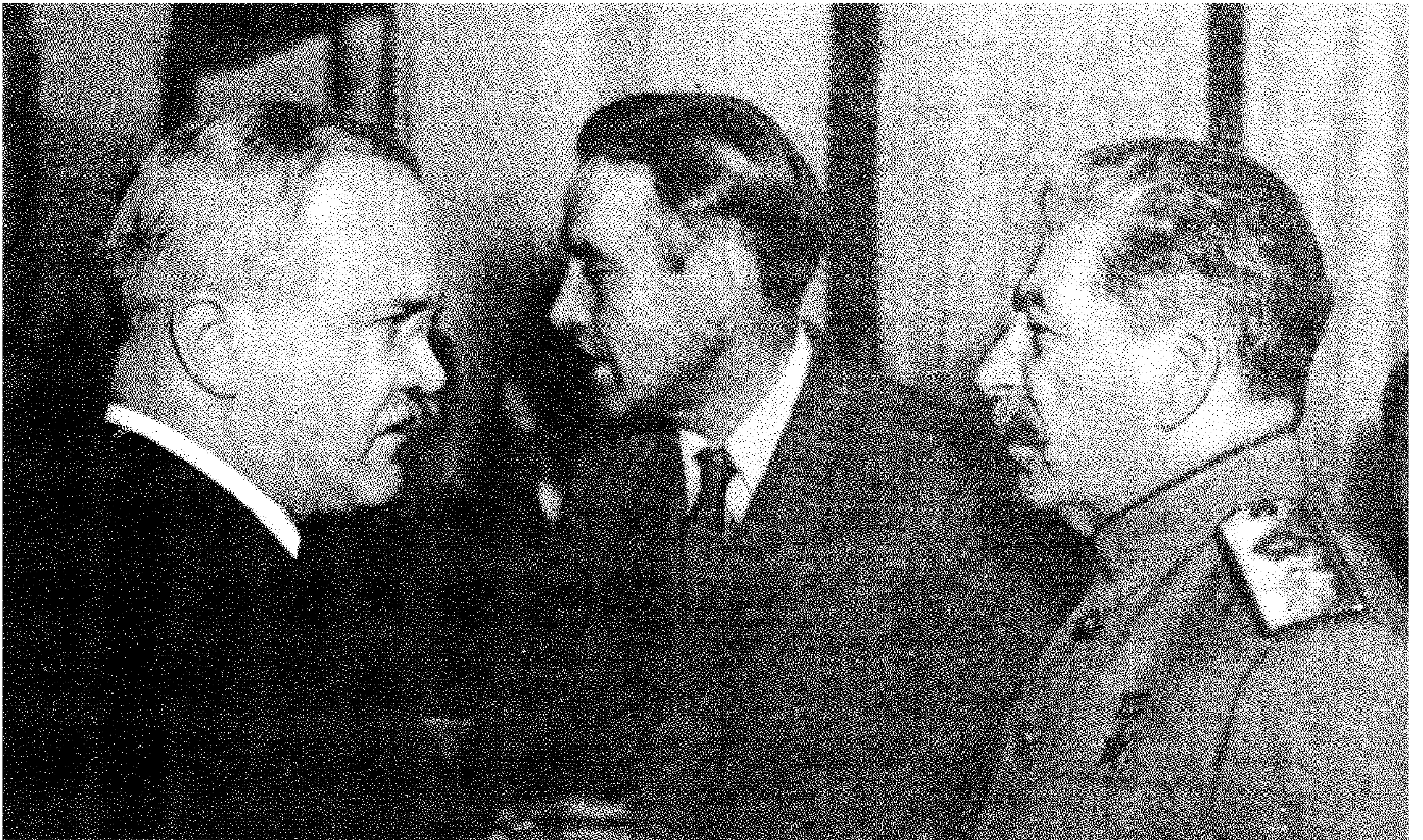
وعلى الرغم من احتجاجات الوطنيين البولونيين فقد قبل تشرشل بأن تعاد حدود بولونيا الشرقية الى الخط الذي اقترحه «كورزون» عام ١٩١٩، فلم يلح حتى على بقاء «لفوف» تحت العلم البولوني، فرسم الحدود امر ثانوي، اما القضية الجوهرية فبقاء بولونيا سيدة مصيرها، حرة في الاستجابة الى الدعوة العميقة التي تشد بها الى الغرب. فالمعركة تدور حول هذه القضية وحدها الا انه قد قضي على هذه المعركة بالاخفاق سلفاً. فعندما اعلن ستالين انه يريد بولونيا «قوية ديمقراطية» اعرب عن رأيه بوضوح. فالقوة تعني ان على بولونيا ان تمتد حتى الاودير (وحتى الى ما وراءه لتشمل «ستيتن» البولونية بقدر ما هي بورنيو بولونية!) وحتى النايسي الغربية. اما الديمقراطية فتعني ان عليها ان تنظم مؤسساتها وفقاً للنظام السوفياتي. وهكذا قضي على رجال لجنة لندن «الذين وجهت اليهم أقذع التهم». اما الانتخابات الحرة التي وعد بها ستالين فلن تحصل اطلاقاً.

وما يصح في بولونيا يصح، بالتالي، في بلدان اوروبا الشرقية الباقية، البلقانية منها والدانوبية، فقد حصلت على الضمانات نفسها في ما يتعلق بالحرية والاستقلال والانتخابات الحرة وحرية اختيار انظمتها. الى انها ضمانات مصطنعة. فستالين عنيف في واقعيته،



• مصير « بولونيا » في محادثة بين تشرشل وروزفلت.

• ستالين في حديث مع « مولوتوف ».





• مأدبة روسية..
بعد جلسة من جلسات المؤتمر.

وهو يعتقد بأن الجيوش تحمل معها مبادىء الامم التي ابرزتها. فكل ما يحرره العلم الاحمر سيصبح احمر بالتأكيد. وما تبقى لا يثير اهتمامه، مؤقتاً على الاقل.

ولذا فليالطا من الخطورة اقل مما اعتاد الناس ان يعطوها بناء للمعان اسمها. قيل انها قد سلمت الامبراطورية السوفياتية ١٠٠ مليون اوروبي: وليس ذلك صحيحاً الا على الصعيد الرمزي. فيوم التأم المؤتمر كان الروس قد احتلوا رومانيا وبلغاريا ويوغوسلافيا والمجر، فضلاً عن قسم من تشيكوسلوفاكيا وبولونيا وبروسيا وسيليزيا. اما يالطا فلم تكن غير غرفة تسجيل، وغادر الوفد الاميركي القرم على اجنحة التفاؤل، حاملاً بعض الضمانات الشفهية في ما يتعلق بمصير الشعوب الاوروبية، وحمل كذلك انتماء الاتحاد السوفياتي الى الامم المتحدة بعدما اكتفى ستالين بثلاثة اصوات في المجلس العام بدلاً من الاصوات الستة عشر التي كان يطالب بها. ولقد حمل، بالاخص، الوعد الروسي بالتدخل ضد اليابان، «خلال الاشهر الثلاثة او الاربعة التي تعقب استسلام المانيا». اما اشكال هذا التدخل ومداه فقد ترك امرها للكرملين.

غير ان ما تم تحديده هو الثمن: فلن تدخل روسيا حرب المحيط الهادىء الا بعد تسلم شحنات عسكرية وصناعية متنوعة تضم ١٢٠ الف طن من البنزين و ٣٠ الف شاحنة، و ٥٠٠ طائرة الخ.. وستتسلم على سبيل التعويض جزر «الكوريل»، ونصف «ساخالين» الجنوبي، و «بورارتر» كقاعدة عسكرية، و «دايرن» كمرفأ تجاري، واخيراً الاشتراك في ادارة الخطوط الحديدية الآسيوية - الشرقية والمنشورية - الجنوبية. وهكذا تصرف روزفلت، من غير علم وزير خارجيته، بما يملكه حليفه تشانغ كاي تشك. وعندما سأل ستالين ان يخفف متطلباته اجاب الروسي انه لا يطالب الا باعادة الوضع في الشرق الاقصى الى ما كان عليه زمان القيصر الاسبق.



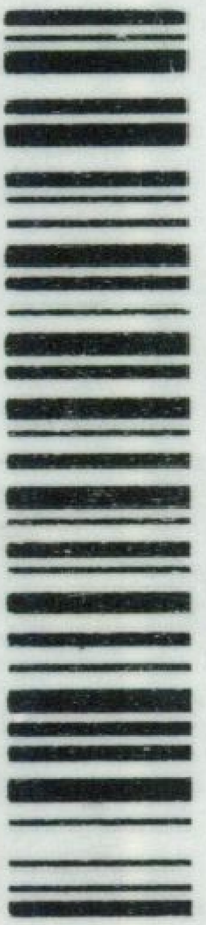


هذه الموسوعة

هل يتجه العالم اليوم نحو حرب عالمية ثالثة ؟

هذا السؤال لم يعد نوعاً من الغرغرة الصحفية ، بل بات مطروحاً على كل شفة ولسان ، وفي كل منتدى ومحفل حتى القواد العسكريون لم يستبعدوا نشوب حرب ثالثة اذا ما تجاوز أحد المعسكرين الجبارين الخطوط الحمراء .

وفي هذه الفترة من مرحلة ما بعد الحرب الثانية ، ومرحلة ما قبل الحرب الثالثة ، يسر " دار الآفاق الجديدة " أن تقدم إلى قرائها العرب تاريخ الحرب العالمية الثانية بالوقائع والصور ، وذلك على شكل مجلدات ، عسى أن يجدوا فيها المتعة والعبرة والفائدة .





منشورات دار الآفاق الجديدة بيروت